



مجلة القلزم

لدراسات الأمنية والاستراتيجية



ISSN: 1858 - 9987

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

في هذا العدد :

- ❖ رؤية حول السلام المستدام في السودان
د. محمد إبراهيم أرباب
- ❖ الاتفاقية الدفاعية الأمريكية الإيرانية 1959م (دراسة تحليلية)
أ. عبد الوهاب ربح خلف - د. أحمد عبد الله محمد آدم
- ❖ الطاقة المتجددة من الماء الجاري الإيجابيات والسلبيات (سد النهضة، إثيوبيا أنموذجاً).
أ.د. عوض أحمد الحفيان
- ❖ التدخل الإماراتي في اليمن الدوافع والمهددات والمآلات
د. مایسة مدني محمد مدني
- ❖ نوبة كينيا السودانيون: قضية إنتهاكات حقوق الإنسان التي طواها النسيان-دراسة تعريفية.
د. صلاح الصافي رحمة الله البدوي



العدد الخامس - صفر 1443 هـ - سبتمبر 2021 م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Alqulzum Journal for security and
strategic studies

الخرطوم : مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر 2021
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع- السوق العربي-
الخرطوم - السودان
ردمك: 1858-9987

مجلة القلزم للدراسات الأمنية والاستراتيجية

الهيئة العلمية و الإستشارية

- أ.د . عبده مختار موسى محمود - جامعة أم درمان الإسلامية - السودان.
أ.د . ياقوت الشيخ عيسى كلاخي- جامعة ابن خلدون تيارت- الجزائر.
د. إعتدال محمد أحمد الأمين - جامعة الزعيم الأزهري - السودان .
د. وليد عبد الخالق - جلمعة شرق كردفان - السودان.
د. سعاد محمد عمر الجفال - جامعة طرابلس - ليبيا .
د. محمد الواثق عبد الحميد الجريفواوي - مستشار الدراسات والبحوث
القانونية - دائرة البلديات والنقل - امارة ابوظبي - الامارات العربية المتحدة .
د.إلهام النور سلمان النور - جامعة الزعيم الأزهري - السودان .
د. مبروك كاهي - جامعة ورقلة - الجزائر.
د. أميمة محمود محمد بشير - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر
الأحمر - السودان .
د.إبتهاال بابكر نور الدائم السماني - جامعة الرباط - السودان .
د. خالدة عبد الرحمن وقيع الله بلاص - جامعة أم درمان الإسلامية - السودان.
د.راشد التجاني سليمان - جامعة أم درمان الإسلامية - السودان.
د. رضوان بن الرقي بن أحمد شافو - جامعة الوادي - الجزائر.
د.معتز محي عبد الحميدعباده-المركز الجمهوري للدراسات الإستراتيجية-العراق.

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.مصعب سليمان الجمل
مدير جامعة سليمان الدولية-تركيا

رئيس التحرير

د.حاتم الصديق محمد أحمد

نائب رئيس التحرير

د.عوض أحمد حسين شبا

سكرتير التحرير

د.دينا العشري

التدقيق اللغوي

أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الفني

أ. عادل محمد عبد القادر

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

ترسل الأوراق العلمية على العنوان التالي:

هاتف: 2491215662071 - 249910785855

بريد إلكتروني: rsbcsc@gmail.com

السودان - الخرطوم - السوق العربي - عمارة جي تاون - الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلُوم) للدراسات الأمنية والاستراتيجية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

رؤية حول السلام المستدام في السودان.....(1-34)

د. محمد إبراهيم أرباب

الجغرافية الاستراتيجية للمملكة السنارية (1504 - 1821م).....(35-68)

د.آمال جاد الرب علي فضل المولي

الاتفاقية الدفاعية الأمريكية الإيرانية 1959م (دراسة تحليلية).....(69-102)

أ.عبد الوهاب ربح خلف - د. أحمد عبد الله محمد آدم

الطاقة المتجددة من الماء الجاري الإيجابيات والسلبيات (سد النهضة، إثيوبيا أمودجاً).....(103-140)

أ.د. عوض أحمد الحفيان

نوبة كينيا السودانيون: قضية إنتهاكات حقوق الإنسان التي طواها

النسيان-دراسة تعريفية.....(141-168)

د. صلاح الصافي رحمة الله البدوي

التدخل الإماراتي في اليمن الدوافع والمهددات والمآلات.....(169-186)

د. مايسة مدني محمد مدني

تدابير الحماية التقنية لحماية حق المؤلف على شبكة الإنترنت.....(189-212)

د. فردوس عمر عثمان عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نبدأ ونستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً..

القارئ الكريم:

سلام من الله عليك ورحمة منه وبركاته ونصلى ونسلم على سيدنا وعلى آله
وصحبه أجمعين، تغمرنا السعادة ونحن نخطو مع حضراتكم أولى خطواتنا في إصدار
العدد الخامس من مجلة القلزم العلمية للدراسات الأمنية والاستراتيجية آملين
أن تكون هذه الخطوة قفزة في إطار تطوير النشر والبحث العلمي بمركز بحوث
ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان.

القارئ الكريم:

تصدر هذه المجلة المتخصصة بالتعاون مع واحدة من أهم الجامعات الرائدة
في مجال التعليم والتي حققت نجاحات أكاديمية مميزة على مستوى العالم وهي
جامعة سليمان الدولية-تركيا.

القارئ الكريم:

هذا العدد من مجلة القلزم العلمية للدراسات الأمنية والاستراتيجية يشمل
عدد من العناوين والبحوث الرصينة الهادفة والتي نرجو من الله تعالى أن تجدوا
فيه المثمر والمفيد وفي الختام نسأل الله تعالى التوفيق والسداد للجميع.

هيئة التحرير

رؤية حول السلام المستدام في السودان

د. محمد إبراهيم أرباب

مستخلص:

يمر السودان حالياً بمرحلة حرجة بعد حدوث ثورة سلمية أنهت عقوداً من الحكم العسكري والأيديولوجي سببت كثيراً من النزاعات وانتهت بفصل الجنوب ولما كان أول هدف للحكومة الانتقالية الجديدة هو استتباب السلام فإن هذه الورقة تبحث في التطور التاريخي للنزاعات من الاستقلال حتى ثورة 2019 والأطر النظرية لأسباب النزاعات خاصة في إفريقيا والتي تتراوح بين الاتجاه الأيكولوجي الذي ينسب النزاعات لعوامل بيئية مثل تغير المناخ ومرتباته إلى مدرسة تركز على الأبعاد الاجتماعية الأنتروبولوجية وتري ضرورة التعرف على مكونات الجماعات المتنازعة والرجوع إلى الحلول التاريخية المعتادة والعلم الشعبي في تلك المجتمعات ويرى بعض الباحثين ضرورة تطوير البنى التحتية التي تتيح الجاهزية الاجتماعية لحل النزاعات وسيطرة الدولة في نفس الوقت وتطل المalthوسية الجديدة برؤية حتمية للنزاعات في ظل عدم التوازن بين الموارد والسكان كما أن مدرسة الاقتصاد السياسي تري الأسباب الحقيقية في ضعف الدولة وغياب الديمقراطية والعجز عن إدارة الاقتصاد والحد من الفساد . أما المدرسة الانسانية فهي تري الاسباب الحقيقية في عدم المساواة بين الجماعات وهشاشة المجتمعات وانتشار الفقر . ويركز بعض الباحثين على شكل التركيب المكاني الذي يلخص كل سلبيات وإيجابيات الحيز السياسي كما توحد بحوث تسوق اسباب مفردة للنزاعات لكنها نتاج لمركب من العوامل سألقة الذكر مثل الامن الغذائي والمائي واستلاب الارض ولا شك ان العوامل الجديدة مثل انتشار جائحة الكورونا تلقى بظلالها على مشكلة النزاعات ويخلص البحث إلى مجموعة من التوصيات التي اهمها انشاء نظم الانذار المبكر والاخذ بمنهج المخاطر المتعددة -

الكلمات المفتاحية : المخاطر - النزاعات - الاتجاهات الانسانية - العلم الشعبي - التركيب المكاني - المalthوسية الجديدة- استلاب الارض - جائحة COVID-19

Abstract:

Sudan is currently going through a critical stage after a pacific revolution that ended decades of military and ideological rule that caused many conflicts and ended with the separation of the south. As the first goal of the new transitional government was to establish peace, this paper examines the historical development of conflicts from independence to the 2019 revolution and the theoretical frameworks for the causes of conflicts, especially in Africa, which ranges from the ecological approaches that attributes conflicts to environmental factors such as climate change and its consequences, and there is a school that focuses on Socio- anthropological dimensions and sees the need to identify the components of conflicting groups and return to the usual historical solutions in those societies, and some researchers see the need to develop infrastructure that promotes

social preparedness to resolve conflicts and control at the same time. Neo-Malthusianism looks at the inevitability of conflicts in light of the imbalance between resources and population, and the school of political economy sees the real reasons for the weakness of the state, the absence of democracy, the inability to manage the economy and corruption. As for the humanistic school, it sees the real causes of inequality between groups, the fragility of societies and the spread of poverty. Some researchers focus on the form of the spatial structure that summarizes all the negatives and positives of the political space. It also exist researches analyzing single causes of conflicts, although it is the product of a combination of the aforementioned factors such as food and water security and land expropriation. Undoubtedly, new factors such as the spread of the COVID-19 a shadow over the problem of conflicts, and the research concludes with a set of recommendations, the most important of which are the establishment of early warning systems and the adoption of multihazards approach

Key words: Hazards – Conflicts – Humanistic Approach – Folk Science – Spatial Organization – neo- Malthusian –Land expropriation

مقدمة :

يقع السودان على تكوينات ثابتة جيولوجيا ولذلك لا توجد مخاطر جيوفيزيكية حقيقية من براكين وزلازل ولكن تكثر المخاطر الجيومورفولوجية التي تؤدي الى تدهور الارض مثل التعرية وزحف الرمال والتملح والهدام كما ان البحر الاحمر لا تكثر به المخاطر مثل التسونامي والاعاصير العنيفة كما في المحيط الهندي مثلا وذلك لضيق البحر – لهذه الاسباب فان المخاطر البيولوجية اكثر انتشارا مثل الاوبئة والجراد وحرائق المراعى والغابات وتدهورها وكذلكالمخاطر الهيدرولوجية من سيول وفيضانات وجفاف ويمكن اعتبار تغير المناخ عاملا مؤثرا في كثير من المخاطر الطبيعية – ونسبة للتخلف الصناعى وقلّة درجة الحضريّة وتواضع احجام المدن فان المخاطر التكنولوجية ضئيلة من حرائق ممتلكات وانفجارات مصانع وسقوط طائرات وانبعاثات الاشعاعات النووية واشكال التلوث الخطرة أما المخاطر البشرية والاجتماعية فتضم بدورها قائمة طويلة من الحروب والنزاعات واضطرابات المدن والحوادث المرورية وانتشار المخدرات والعنف والجريمة علاوة على الفقر

المدقع والهشاشة وفي هذه المجموعة تداخل بين الاسباب والنتائج في حلقات مفرغة ولكن يمكن اعتبار النزاعات والحروب على اشكالها هي الاكثر تأثيرا وانتشارا في الوقت الحالى ينتمى السودان الى اقليم افريقيا جنوب الصحراء والذي يمثل مع منطقة جنوب غرب اسيا اكثر مناطق العالم معاناة من النزاعات المسلحة على اشكالها التى تتفاوت من حرب الدولة ضد اقليم باكملة او فئة عرقية او عدة أعراق أو النزاعات المسلحة بين جماعات مختلفة قبلية او اثنية داخل نفس الحيز السياسى وقد تختلف أسباب الحروب ولكن تتماثل نتائجها من انتشار العنف والجريمة وزيادة أعداد اللاجئين والنازحين وارتفاع معدلات وفيات الاطفال ونسب الاعاقة والتسرب التربوى كنتيجة للهجرة القسرية للمعسكرات او الهوامش المتردية في المدن والعجز عن المنافسة في اسواق العمل لتواضع القدرات لذا فان الفقراء يزدادون فقرا في دائرة مفرغة .

يلاحظ ان اغلب النزاعات تتركز في خمسين دولة تضم المليار نسمة الافقر في العالم وتقع معظمها في افريقيا جنوب الصحراء والتي تمثل أكبر حجم للضحايا والخسائر المادية (اذا استثنينا افغانستان وسوريا) وفي الاطار الافريقى فان بعض الدراسات تقدر ضحايا النزاعات ب 67 مليون نسمة ولكن تقديرات اخرى ترفع الرقم باضافة التأثيرات غير المباشرة الى 167 مليون نسمة ويمثلالسودان اكثر دولة حافلة بالنزاعات التي ما زالت في انتظار الحلول.

المشكلة :

الملاحظ أن أجندة القرن او ميثاق هيوغو لم تتحقق اهدافه المرسومة كما كان متوقعا في عام 2015 بالصورة المطلوبة على الاقل في دول افريقيا جنوب الصحراء كما مضت خمس سنوات على توقيع الرؤية 30⁽¹⁾ (Vision 2030 دون انجاز واضح في تحقيق الاهداف وكلا الميثاقين هدفا الحفاظ على الموارد الطبيعية على المستوى العالمى والحد من تغير المناخ والتعاون المشترك للحد من الكوارث وانهاء الفقرعلى مستوى العالم وتحقيق المساواة في البلدان وبين البلدان وحق الافراد في التعليم مدى الحياة وترقية مجتمعات يسود فيها العدل والسلام والمؤسسية..

تتخير المساعدات الدولية القضايا التى تدعمها من منطلق تحقيق اهداف الالفية الحاصة بالبيئة اكثر من اى هدف اخر لأنها الأكثر تأثيرا في المجتمعات الغربية وبالضرورة فان المخاطر الاجتماعية في الدول النامية لا تمثل الاولوية في العالم الغربى حتى في مجال البحوث والخلاصة ان السودان كان اكثر سلما واكل في حجم النزاعات قبل هذه الموثيق وعلى السودان ان يصوغ اولوياته وموثيقه من اجل السلام الداخلى هذه الورقة كما يدل عنوانها هي

ابتدار نقاش يشترك فيه كافة المتخصصين ذلك لان مخاطر النزاعات تقع في دائرة كل العلوم الانسانية وعلوم البيئة والعلوم التطبيقية تقريبا

الخلفية التاريخية للمشكلة

كما ان الحرب ليس آحادى السبب فان الحلول كذلك مهمة شائكة لا سيما وان للعنف تاريخ طويل في السودان بدأ منذ خان الساسة الشماليون عهدهم لأهل الجنوب بقدر من السيادة والمساواة ثم استأثروا بالسلطة بنسبة عالية قرب الاستقلال فكانت احداث توريت 1955 وتمرد الجنوب الذى اخمد آنذاك بقسوة ولم تحاول الديمقراطية الاولى (-1956 1958) فهم الرسالة والعمل على رسم استراتيجية تؤدى الى التماسك القومى بنبذ العنصرية والمساواة بين الاعراق والتي يقيسها الجمهور من خلال تقسيم الحقائق الوزارية والوظائف العليا والدبلوماسية والتي اجحفت بحق جماعات الهامش وبالاخص الجنوبيون

1/1/2 تبذت طاقة الديمقراطية الاولى على قصر فترتها في الخلافات الحزبية الضيقة اما الحكومة العسكرية الاولى (1958 - 1964) فرغم انها تسلمت اقتصادا فويا وازافت بدورها مشروعات رائدة الا انها افتقدت الحنكة السياسية والدبلوماسية والتي يضيق المجال بذكر تفاصيلها ولكن نشير الى فشلها في ايقاف النزاعات القبلية المستمرة في شمال السودان اما في الجنوب فانها تعاملت مع التمرد الذى نشأ هناك بوحشية زادت التمرد ضراما ثم انها طردت البعثات التبشيرية المسيحية وحولت مشكلة الجنوب من قضية سياسية داخلية الى نزاع ذو طابع عنصرى ودينى ورغم استخدام لغة السلاح بكثافة الا انها فشلت في وأد التمرد بحيث انها حين سقطت تركت الوضع اسوأ مما كان.

2/1/2 كانت الديمقراطية الثانية (1964-1969) استمرارا للحروب القبلية في الشمال واشتداد ساعد قوات جنوب السودان التي بدات تتلقى دعم الجيرة والغرب والكنائس

3/1/2 لم يكن عهد نميرى (1969 - 1985) الا امتدادا للوضع السابق حتي عام 1972 حيث وقعت اتفاقية سلام مع الجنوب تحت مظلة اطراف دولية واقليمية عديدة وتمتع السودان بفترة طويلة من السلام في الجنوب ولكن النظام الذى وقع اسير اتجاهات راديكالية عمد الى سياسات اضررت بالاقتصاد الوطنى مثل سياسة التاميم الذي حرم السودان من الاستثمارات الاجنبية في وقت نشب فيه حرب اكتوبر 1973 وارتفعت اسعار البترول وخسر فيه السودان العرب بانحيازه لاتفاقية كامب ديفيد كما خسر الولايات المتحدة بسوء تعامله مع شركة شيفرون.

قرر نميري الغاء الادارة الاهلية والتي كانت اهم الية لجمع الضرائب من القبائل الرعوية وشبه الرعوية والقرى الزراعية لكن الدور الأهم كان فض النزاعات والاتفاق على المسارات الرعوية وتنظيم العلاقة بين الرعاة والمزارعين ودفن الديات والحفاظ على الامن ومقابل ذلك توسع الجسم الادارى الى اكثر من ستة الاف وحدة كلفت خزينة الدولة اموالا جليلة ولم ينجح الاداريون خريجو الجامعات الجدد في القيام بدور النظار والمشايخ القبليين وتزامن ذلك مع الثورة التعليمية وتغيير النظام القديم ولكن دون اعداد جيد وبتكاليف عالية للغاية.

حدثت عدة تحولات اثرت في قوة الدولة وسيطرتها على الحيز السياسى الى جانب الاسباب الواردة اعلاه مثل الارتفاع المفاجئ في اسعار الطاقة بعد حرب اكتوبر 1973 مقابل انخفاض اسعار السلع الاولية مثل القطن وتدهور النظام تدريجيا بعد محاولة اليسار الفاشلة للوصول للسلطة والارتقاء التدريجى لنميري في برائن اليمين الاسلامى السياسى - الذى اغراه اولا بتغيير نظام الحكم الاقليمى في الجنوب ثم اعلان قوانين الشريعة في -1983 واشتعال الحرب مرة اخرى في الجنوب وبضراوة هذه المرة

4/1/2 سقط نظام النميري في عام 1985 وكانت الديموقراطية الثالثة التى استمرت حتى انقلاب الحركة الاسلامية في 1989 اسوأ نموذج للنظم الديموقراطية حيث لم يكن للسودان حليف استراتيجى من القوى العظمى او حتى الاقليمية وقوى عود التمرد في الجنوب في وقت تردت فيه هيبة الجيش وبنيته اللوجستية وتعرض السودان لنوبات جفاف في هذه الفترة.

5/1/2 اتسمعهدنظام البشر -1989- 2019 بانها اسوا فترة في ما بعد الاستقلال في كبت الحريات والفساد الذى لم يشهد له التاريخ مثيلا ولكن ما يهمننا هنا هو ان النظام ومن منطلق النزاعات اتسم بالعناصر الاتية:

- تحولت الحرب في الجنوب من شأن سياسى داخلى الى حرب جهادية لا معنى لها اثارت العالم الخارجى ودعته لدعم ميليشيات الجنوب
- وضع السودان في قائمة الدول الراعية للارهاب بعد ايوائها لاسامة بن لادن وكارلوس. ودعمها لحركات خارج الحدود السياسية
- تطور الامر الى حصار اقتصادى اضر بالسودان ضررا بليغا.
- بعد اكتشاف البترول واستغلاله بواسطة الشركات الصينية فان هذا اثارحفيظة الولايات المتحدة الامريكية التى اعتبرت هذا التحول مساسا بشركة شيفرون الامريكية التى اجرت كل الدراسات الفنية الخاصة بالبترول وقطف ثمارها الصينيون .

- لأول مرة تندلع النزاعات بين الدولة والهوامش في دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق وشرق السودان بعد أن كانت قاصرة على الجنوب.
- عمقت الجهوية والقبلية ورفعت شعار العروبة والإسلام في مجتمع متنوع الأعراق والديانات مما أضعف التماسك الوطني وزادت حدة العرقية بالانحياز للقبائل العربية الرعوية على حساب الجماعات الأصلية الزراعية المستقرة بأمداها بالسلاح وتكوين مليشيات مع الاستخدام المفرط للقوة بالجوء للهجوم بالطيران. على القرى الآمنة
- تم فصل الجنوب في 2011
- لم يلعب الإعلام ونظام التعليم أي دور في تعزيز الهوية الوطنية وقيم التعااضد والتسامح وربما فعل الإعلام العكس في تصويره للحرب في الجنوب كجهاد مقدس
- حدث 41 نزاع قبلي في الفترة 1912 - 2000 أي 88 عاما ويلاحظ أن 33 نزاعا منها حدث في العقدين الأولين من عهد البشير أي 80% (ملحق 1) وابتداءً فإن الحروب القبلية تمهد السبيل للحروب الأهلية على نطاق واسع بين الجماعات العرقية كما حدث في دارفور وهي مدعاة لسباق تسلح ويبين الجدول (1) نموذجا لخسائر قبيلة واحدة هي المساليت في فترة عامين فقط من جراء هجمات الجيش والمليشيات العسكرية العربية وهي بمثابة حرب تجويع (Hunger War) يقوض الأمن الغذائي وليس هذا النموذج لفترة أعقبتها حروب وخسائر أكثر فداحة وقسوة كما منع النظام دخول المساعدات الإنسانية إلى مناطق الصراع إلا لحلفائها.
- كان في ظن ساسة المؤتمر الوطني أن فصل الجنوب يعني شمالا عربيا إسلاميا خالصا قادرا على تنفيذ مشروعهم الحضاري وهو تكوين دولة خلافة - وهي مقولة غير علمية ولا واقعية- ولذلك فإن فقدان ثلث مساحة البلاد لم يشعروهم بالأسى وانقلب السحر على الساحر وغدت دولة الجنوب هي الراعية لتمرد أقاليم الشمال كما أشعلت مشكلة أبيي.

دول (1) خسائر قبيلة المساليت من جراء هجمات
الجيش والميليشيات-1995 1997

الحيوانات المنهوبة	عدد الجرحى	عدد القتلى	البيوت المحروقة	القرى المحروقة	الفترة
2743	84	312	607	13	1996 - 1995
6060	85	347	2226	37	1997 - 1996
8803	169	659	2833	50	الاجمالي

المصدر (1)

6 / 1/2 حين قامت ثورة ابريل 2019 وسقط الانقاذ فان الحكومة الانتقالية ورثت تركة ثقيلة من النزاعات والمناطق الساخنة وميليشيات مسلحة وعشرات معسكرات ايواء اللاجئين والنازحين هي باختصار ورثت كل تراكمات الماضي او الفترة -1956 2019 اى اقل قليلا من ثلثى قرن لكنها افتتحت عهدها بقرار ان السلام هي الغاية الاولى في سلم الاولويات استهلكت الحكومة الانتقالية عهدها بلقاءات مكثفة مع قادة الحركات المسلحة في جوبا وفي معاقلمها في حوارات صعبة ووقعت اتفاقية اطارية تمهيدا للحل النهائي ومن هنا تنبع اهمية تحليل المشكلة و اثناء الحوار حول قضايا السلام وما بعد السلام ورسم خارطة للطريق هكذا تصبح المشكلة او القضية واضحة وهالبحث عن الية مستمرة دائمة للحد من النزاعات القبلية والعرقية خاصة وان السودان مرشح ايضا لحروب مياها وحدودسياسية.

وتستدعى المشكلة طرح الاسئلة التالية :

- ما هي انماط او اشكال النزاعات في السودان ؟
 - ما هي الاسباب الحقيقية للنزاعات ؟
 - هل يتولد العنف والحرب اكثر في الفترات الديموقراطية ام العسكرية ؟
 - هل في الامكان عمل نظام انذار مبكر للنزاعات وما هي المؤشرات ؟
 - ماذا بعد استتباب الامن والسلام كيف ننتقل الى سلام مستدام وما هي شروط الضرورة؟
- مرة اخرى فان هذه الورقة تطرح اسئلة اكثر مما تجيب عليها ولذلك فاننا سوف نتناول فقط بعض المسائل المطروحة

المنهجية :

لا يمكن التوصل الى نتائج سليمة في هذه القضية معقدة التفاصيل والعناصر الا من خلال فريق بحثى متعدد التخصصات في الجغرافيا والجيوبوليتيكا والتاريخ والانثروبولوجيا والاقتصاد والادارة والنقل والاجتماع

والعلوم السياسية الى جانب فريق متخصص في الاحصاء ونظم المعلومات الجغرافية كما يستدعى الامر التركيز اولا على الجانب الوثائقي ورسم صورة تفصيلية عن النزاعات ثم الانتقال الى الجانب العملي وهو زيارة مناطق النزاع واجراء مقابلات الا اذا توافرت المعلومات المطلوبة بدون اجراء العمل الحقلى المرهق والمكلف ماديا وفي الامكان انجاز بحوث متعددة تدرس كل منها منطقة نزاع بعينها .

لا يهدف هذا البحث الى اجراء دراسة مكثفة سواء على النطاق الشمولى او اقليمى نزاع بذاته بقدر ما يهدف الى عمل حوار عام وعصف ذهني حول نظريات النزاع والاسباب المترتبات وتحليل بعض الادييات التى تمثل كل واحدة منها مدرسة بذاتها.

14/ النزاعات :

الصراع Disute هو التنافس على موارد بين جماعتين دولتين او عدة دول فاذا تم استخدام العنف وحدثت خسائر فانه يعتبر نزاعا conflict لكن الادييات العربية تستخدم المصطلحين بالتبادل ويطلق مصطلح الصراع احيانا على المعنيين رغم الفوارق فالصراع ازمة crisis بينما النزاع يعتبر نوعا من المخاطر risk والتى ان فشلنا في حلها تحولت الى كارثة disaster والتى ان تفاقمت وتنامت خسائرها تحولت الى فاجعة catastrophe ان هذا مدعاة لتوحيد اللغة التى نتحدث بها عن النزاعات . والصراع والنزاع بسبب الموارد والمكانة او النفوذ او اختلاف القيم قديم قدم الوجود الانسانى وشكل من اشكال التفاعل الاجتماعى ولا يخلو منها مجتمع من المجتمعات⁽²⁾ يصنف الباحثون النزاعات الى الانماط الاتية⁽³⁾

- النزاعات داخل الدولة الواحدة Intra state conflicts
- وهى التى تحاول فيها مجموعات مسلحة اسقاط الدولة او نزاع بين مجموعات داخلها..
- النزاعات بين دولتين او اكثر.
- النزاعات المدولة والتى تسهم في حلها قوات دولية.
- يمكن اضافة النزاعات الفردية الى هذا التصنيف لا سيما وان كثيرا من النزاعات القبلية تبدأ فردية وربما لنفس الاسباب اى الصراع على الموارد وانتشار العنف والسلاح.
- تشهد افريقيا كل هذه الانماط من النزاعات التى تتدخل فيها القوى الاجنبية باجندات مختلفة بدرجة او باخرى (ويمكن القول بان السودان ليس الا نموذجا مصغرا من افريقيا يضم كل هذه الانماط .

اسباب النزاعات: المدرسة الايكولوجية:

تكثر الادبيات التى تتحدث عن اسباب النزاعات ورغم وجود ارضية مشتركة الا ان هناك اختلافا في ترتيب الاهمية فهناك اتجاه يمكن تسميته المنهج الايكولوجى Ecological Approach تركز على الجانب البيئى وتدهور الموارد مع ملاحظة ان المصطلح في علم الاجتماع يقتصر على الحضر⁽⁴⁾ ومعظم الادبيات الغربية تعتبر مسألة تغير المناخ الذى يعنى التغير في احدى عناصره من الحرارة والرياح والتساقط وذلك في مدى زمنى طويل اهم اسباب النزاعات وتوجد معادلات تبين مدى الانحراف عن المتوسط دلالة على التغير ولذلك فان رصد عام واحد لا يكفى للقول بالتغير ويذهب البعض بعيدا بالقول بان ارتفاع الحرارة درجة واحدة تزيد النزاعات الفردية بنسبة 2.4 % ونزاع المجموعات بنسبة 11.3% وذلك من خلال 55 دراسة⁽⁵⁾

ربما سادت هذه المغالاة في التركيز على بعد التغيرات المناخية من منطلق ان الغرب يواجه مهددات كثيرة بسبب التغير من ارتفاع لدرجات الحرارة و منسوب البحار مسببة تاكل الشواطىء وتغير نظم الامطار والعواصف , كما يوجد اتجاه تتبناه المؤتمرات الدولية يرمى الى تقليل العمليات التى تؤثر في تسخين الارض خارج المنظومة الغربية لاسيما في افريقيا جنوب الصحراء وامريكا الوسطى والجنوبية وذلك بالتركيز على تقليل المناشط التى تزيد من نسبة ثانى اكسيد الكربون في الجو وفي المقابل فان ساستها ينفذون اجندات تشعل الحروب وتؤدى الى تدمير الموارد وانتشار السلاح لدى الجماعات البسيطة وتصدر نفاياتها الخطرة الى تلك البلدان

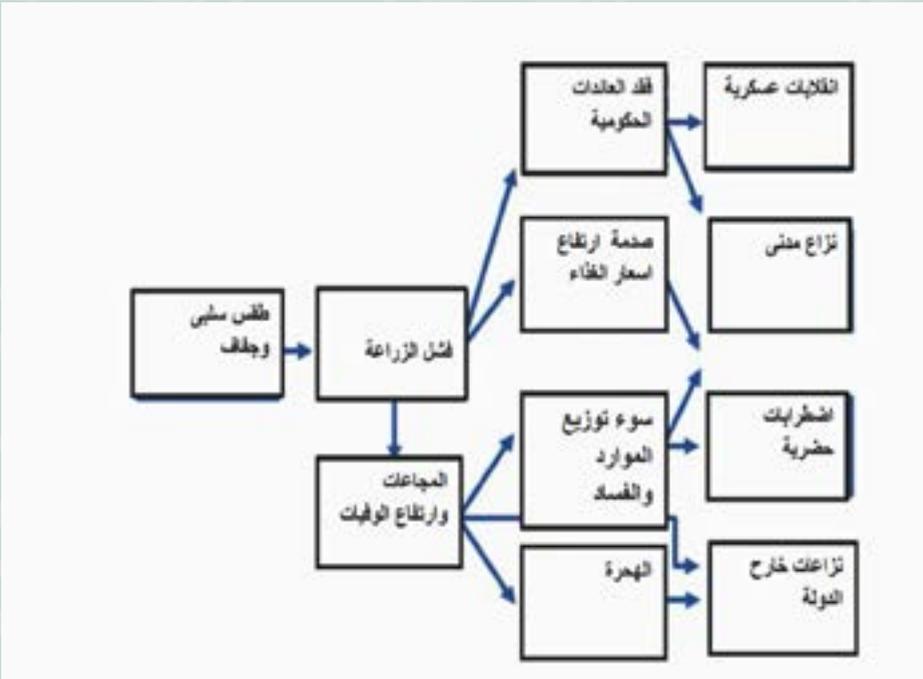
يمكن اتخاذ دراسة⁽⁶⁾ 1 (Buhaus et al 2010) كمثال على مدرسة تغير المناخ كسبب احادى للنزاعات في افريقيا جنوب الصحراء فكما يتضح من الشكل (1) فان ملخص النظرية هو:-

ان تغير المناخ وسيادة الجفاف يؤدى الى فشل المواسم الزراعية ولأن السلطات تعجز عادة عن التنبؤ بالخطر ولا أن تتعامل مع مترباته فانه تسود المجاعات وترتفع نسب الوفيات , كما يؤدى فشل المواسم الزراعية الى قلة العائدات الحكومية من ذلك القطاع في كل دول افريقيا جنوب الصحراء وبدرجات متفاوتة , كما يقترن ذلك بصدمة ارتفاع الاسعار محليا مع صعوبة استيراد الغذاء لأسباب مالية ولوجستية , ويعزى الارتفاع ليس للندرة فقط بل التضخم المستمر في اسعار العملات الوطنية - في ظل هذه الظروف المتفاقمة المتداخلة تحدث هجرات قسرية وطوعية وتحول في توزيع الموارد وينتشر الفساد وتنشأ

سيناريوهات عدة فقد يحدث اللجوء الى دول الجوار مع احتمال وجود نزاعات مع الجماعات المستقبلة للهجرة , وفي حالة الهجرة للمدن قد تحدث اضطرابات حضرية وعنف ناشئ من تردى نوعية الحياة والبطالة والفقر المطلق , وفي مناطق النزاع تتجدد المخاطر طالما فشلت الدولة في تحقيق حلول عملية .

يعيب هذا النموذج في تحليل النزاعات جعله تغير المناخ سببا احاديا مولدا لكافة الأسباب الأخرى ورغم أن معظم الادبيات تطبق الفكرة في افريقيا جنوب الصحراء الا أن هناك بحوث تحاول اثبات تلك العلاقة في العالم الآسيوي مثل الفيليبين⁽⁷⁾ وبابوا وهناك من يشكك في مسئولية الطبيعة عن تغير المناخ ويقول بان الانسان هو سبب التغير والتحول في البيئات بتدميره للغابات وزيادة القطعان عن طاقة المراعى . والحقيقة أنها تغير في الطبيعة لكن الانسان يسهم في زيادة حدتها . وتختلف السيناريوهات عن مستقبل وضع الأمطار في العالم فهناك مناطق ستزداد أمطارا وأخرى يحل بها الجفاف على الأمد الطويل وليست المشكلة في السيناريو الخاص بالسودان بقدر السيناريوهات التي ترشح اثيوبيا لقلّة في الامطار وترشح مصر لغرق الدلتا نسبة لتسخين الارض وارتفاع منسوب البحر المتوسط وكلا الدولتين يزيد تعداد سكانهما عن مائة مليون نسمة مما قد يدفع بهجرات قسرية الى التخوم السودانية متخلخة السكان وانبثاق حروب .

شكل (1) نموذج العلاقة السببية بين تغير المناخ والنزاعات



(Source 6)

2/5 البعد الانثروبولوجي الاجتماعي:

هناك اتجاه يقر بأثر التغير المناخي إلا أنها تغلب في السببية البعد الأنثروبولوجي الاجتماعي الذي يعطى وزناً لمنظومة القيم والعادات والعرف في عملية التأقلم مع التغيرات وفي حل النزاعات، وتوجد أدبيات كثيرة في هذا الاتجاه، في منطقة جبال النوبا⁽⁸⁾ ودراسة أخرى عن كينيا⁽⁹⁾. تحلل النزاع بين مجتمعات بدوية أو بدوية مقابل جماعات زراعية والتي قضت زمناً طويلاً في حل نزاعاتها بالتراضي ولكن الاستعمار جلب نظاماً هيراركيًا أو تراتيبياً في الإدارة أدخل بالأساليب التاريخية في حل النزاعات ومما زاد من حدة المشكلة تغير المناخ وتأثيره السلبي على الموارد والمؤسسات الاجتماعية^(10, 11)

تبدو آراء هذه المدرسة منطقية في ظل ما ذكرناه سابقاً عن اندلاع النزاعات بعد الغاء نميري للإدارة الأهلية من نظار قبائل وعموديات ومشائخ ولكننا في الوقت المعاصر لا يمكن أن نركز فقط على القيم المحلية ونظام (الأجاويد) لأن السودان في حاجة للعودة الدولية والاستفادة من التجارب الأخرى ولا سيما أن الاستعانة بالجهود الشعبية في نزع فتيل النزاعات ليست إلا نوعاً من اتجاه عريض هو التأقلم مع تغير المناخ، فالصراع على الموارد ينشأ عادة من تدهور الغطاء النباتي والتربة وموارد المياه ولا تملك الجهود الشعبية إلا إعادة توزيع الموارد والاتفاق على مسارات رعوية جديدة وتنظيم العلاقة بين الرعاة والمزارعين وحقق الدماء بدفع الديات دون الحلول الجذرية للمشكلات لكن لا يمكن إنكار الدور الشعبي في نجاح إدارة الأزمات والكوارث فهو أداة في إطار أدوات.

الحاجة إذن ماسة إلى استراتيجية للحد من المخاطر في إطار عريض يشمل الطبيعية منها والاجتماعية Risk Reduction Approach، وهي مظلة يمكنها استيعاب المنهج الأنثروبولوجي الاجتماعي وهذا لا ينفي بالضرورة أهمية (العلم الشعبي Folk Science) في تفهم الطبيعة وتقلباتها المناخية كما أن دراسات أخرى توصي بشدة بالتزواج بين العلم الحديث والعلم الشعبي في التنبؤ المناخي لصياغة الإنذار المبكر في المناطق الرعوية⁽¹²⁾

5/3 البنية التحتية :

نشر دراسة عن النزاعات في إفريقيا جنوب الصحراء⁽¹³⁾ إلى أن ارتفاع درجات الحرارة والجفاف أو غزارة الأمطار والسيول والفيضانات تؤدي بالفعل إلى حدوث عدم استقرار سياسي ولكن لا تؤدي بالضرورة إلى حدوث العنف والنزاعات ولا يوجد دليل على ذلك كما أن الاستجابة للعنف أقل من الاستجابة للسلم بالتأقلم مع الأوضاع الجديدة والمعاناة الصامتة مما يعني أن العلاقة

أكثر تعقيدا ويستدعى تحليلا أدق للمتغيرات الاقتصادية الاجتماعية. تحاول الدراسة المذكورة سد هذه الثغرة وبتركيز على البنية التحتية من الطرق والمياه والأسلوب الذي يؤثران فيه على العلاقة بين الجفاف و مخاطر النزاعات في افريقيا جنوب الصحراء. ان قلة الامطار وتأثيرها على الزراعة المطرية والبدواة مدرجة في النقاش كمهددات محتملة للسلام والاستقرار في البلدان الافريقية وفي نفس الوقت هناك ما يدعو للاعتقاد- بأن البنية التحتية الأساسية مثل الطرق الهامة ونظم امدادات المياه قد تخفف من قوة العلاقة بين الجفاف ومخاطر النزاعات وذلك للأسباب الآتية

- تسهيل وصول المساعدات الانسانية والمنفذية لموارد مياه بديلة تخفف من هشاشة المجتمعات الريفية ازاء الجفاف.
- تعكس اهتمام الدولة بمواطنيها وحمايتهم منالمخاطر المناخية مما يخلق علاقة وطيدة بين السلطة والمجتمع المهدهد بالجفاف.
- امكانية وجود فرص للسيطرة واعاقه حراك المجموعات المسلحة وتقليل نفوذها وتسهيل رسم استراتيجيات عسكرية .

رغم هذا لا توجد دراسات كثيرة عن تأثير البنية التحتية على النزاعات في افريقيا جنوب الصحراء ولذلك هدفت الدراسة الى تاكيد الفرضية نظريا وتطبيقيا ومن الوجهة النظرية فهي تميز الآليات التي تربط بين الجفاف والبنية التحتية الأساسية ومخاطر النزاع مع توجيه عناية خاصة للدوافع والفرص المتاحة لسيادة العنف تحت وطأة تغير المناخ لفهم كيفية التأثير في حالة وجود او غياب البنية التحتية .

المalthوسية الجديدة:

تعتبر المدرسة الايكولوجية نوعا من المalthوسية الجديدة ولكن في اطار ضيق يقتصر على مبدأ أن تدهور الطبيعة يسببالعنف والجريمة والنزاعات ومعروف أن نظرية مalthوس مؤداها ان الغذاء يزيد بمتواليه عديدة بينما يزيد السكان بمتواليه هندسية مما يعنى اما الحد من النمو السكاني أو تحقق ما سمي بثالوث مalthوس (المجاعات - الاوبئة-الحروب) ولكنها لم تنطبق على الاقل في الواقع الاوربي نسبة للهجرات الكبرى للعالم الجديد وتطور الصناعة وانتاج الغذاء .

ولكن هذه النظرية بدأت تنهض وبمسميات جديدة وافكار متفرقة يجمعها مصطلح المalthوسية الجديدة neo-Malthusianism وأشهر تجمع علمي يمثلها هو (نادى روما) الذي ضم عشرات الاكاديميين وأصدر كثيرا من التقارير والكتب مثل (حدود النمو) والفكرة في مجملها هي تعديل للمalthوسية التقليدية في انها لجأت الى اساليب احصائية لتحليل العالم من حيث السكان والموارد والتكنولوجيا والمعطيات الخاصة بالانتاج والدخول ومعدلات النمو

وتوصلوا الى تقسيم العالم الى عشرة اقاليم متباينة في علاقة السكان - الغذاء وفقا للمتغيرات المذكورة وهم يدقون ناقوس الخطر لبعض المناطق .

تقع افريقيا جنوب الصحراء في تصنيف نادى روما في اقليم يسود فيه الاقتصاد المعاشي وتدهور التكنولوجيا ويرتفع معدل النمو السكاني مما سيخلق العلاقة المalthوسية وهو اقليم يمثل حقيقة اسوأ السيناريوهات المطروحة - ونحن نلاحظ في طرحنا لأسباب الحروب والنزاعات غياب بعد النمو السكاني الفائق مقابل تدهور الغذاء الا في اشارات قليلة .

مدرسة الاقتصاد السياسى :

العامل السياسى:

ازدهرت مدرسة كاملة للاقتصاد السياسى في علم الكوارث تلك التى تحلل المخاطر التى تهدد المجتمعات البشرية من منطلق فعالية النظم السياسية في تنظيم العلاقة بين الانسان والبيئة لأن معظم المخاطر مثل التلوث وحرائق الغابات وتدهور التربة وحتى المجاعات لا تظهر فجأة ولكنها نتاج تراكمات طويلة كان يمكن تداركها , ولا توجد تلك الحتمية المطلقة التى تنسب كل المخاطر للطبيعة وحدها والأمثلة على ذلك كثيرة فالخسائر الجسيمة التى حاقت بالثروة الحيوانية السودانية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين كان يمكن تداركها لو توافر المخزون الاستراتيجى من الاعلاف والمياه وتيسرت المنفذية او سهولة الوصول الى المناطق المتضررة او لو اتيحت آليات لتنظيم المراعنفسها والتدخل باثرائها وعمل دورية لاستخدامها والحفاظ على طاقة المراعى والآبار ولكن الدولة كانت غائبة عن مسرح المخاطر التى تولد النزاعات والحروب الأهلية ولذلك فان احدى الدراسات اثبتت أن النظم الديموقراطية تشهد مستويات اقل من العنف وقابلية اقل لتجربة الحرب الاهلية⁽¹⁴⁾ ولكن بعض الآراء تقول بأن الديموقراطيات الناجحة هى التى تنشأ في ظل اقتصاد قوى مثل كوريا وتايوان مقارنة بظهور الديموقراطية في ظل اقتصاد ضعيف كما في بنجالاديش ولكننا في السودان لا نملك الا تأكيد الديموقراطية حتى ولو في ظل اقتصاد ضعيف , فلقد فشلت الديكتاتوريات فشلا ذريعا في تحقيق اقتصاد متطور رغم كبت الحريات ولذلك ايضا فان مفهوم الديموقرا;طية المطلوب من منطلق نزع فتيل النزاعات هو المشاركة والمساواة.

تنفق بعض الدراسات على أن ضعف الدولة هو السبب الاساسى لانتشار العنف والنزاعات التى اصبحت الخيار في المجتمعات التى تغيب فيها الدولة كما يشير باحثون اخرون الى ان فشل الدول الافريقية في التطور من أشباه دول الى دول ناضجة أدى الى الجمود الاقتصادى وتزايد أعداد اللاجئين ونشأة التمرد المسلحوبأن دور الدولة في الأساس هو ادارة النزاعات.

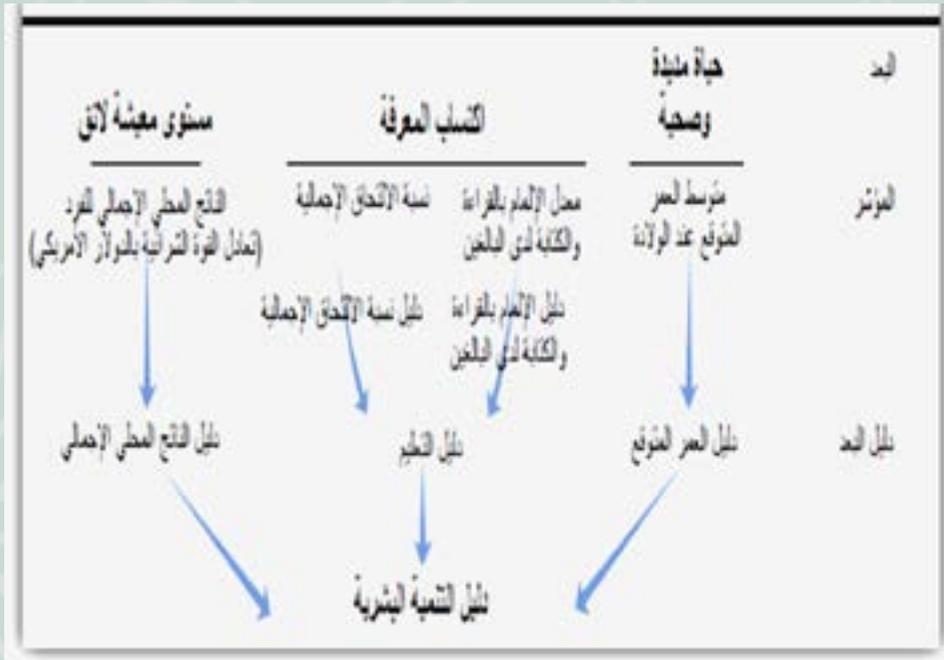
تدهور الاقتصاد:

ان المستويات الأقل من اجمالي الناتج القومي ترتبط بالنزاعات العنيفة رغم أن تفاوت الناتج الاجمالي المحلى من خصائص الدولة بالضرورة الا أنه مؤشر لمدى كفاءة ادارة الدولة للاقتصاد وبالتالي يصبح متغيرا في تحليل العنف السياسي وهذا عنصر واحد من جملة العناصر التي تكون المدرسة الاقتصادية في تحليل المخاطر ودرأها .

يشير البعض الى ان ذلك الارتباط مؤشر لسوء ادارة الاقتصاد⁽¹⁵⁾ وفي كل الاحوال فان ذلك التدنى يدخل الدولة في شبك الديون الدولية وخدمة فوائدها وانعكاسات ذلك على مستويات فرص العمل والدخل الفردي والنصيب الفردي من الخدمات الاجتماعية وتطور دائرة فقر مفرغة وبالضرورة نشوب نزاعات اذا ما افترن ذلك بسوء توزيع الدخل .والتضخم والعجز عن كفاية الحاجات الاساسية.

يميل بعض الدارسين عدم التركيز على محض الاقتصاد ولكن بمؤشرات التنمية البشرية المتفق عليها عالميا والتي يلخصها شكل (2) حيث يمثل الناتج القومي المحلى مؤشرا واحدا من جملة ثلاث مؤشرات تكون المؤشر العام للتنمية البشرية والبعدان الاخران هما الصحة والتعليم

شكل (2) مؤشرات دليل التنمية البشرية



شكل (3) خارطة الشفافية في العالم 2014



Better-
المصدر: Transparency International -2014

18 (2) -
2014

الدرجات	الدولة	
8		1
8		2
8		3
11		4
14		5
15		6
16		7
17		8
17		9
17		10
17		11
18		12
19		13
19		14
19		15
19		16

المدرسة الانسانية: حقوق الانسان:

تتخذ بعض الدراسات انتهاك الحقوق الاساسية للانسان منهجا لتفسير العنف السياسى والنزاعات باتخاذ معايير التنمية المستدامة في نوعية الحياة وبالتالي طرح الحلول الممكنة ومن هذا المنطلق فان تحليل النزاعات يركز على مدى احترام او انتهاك حقوق الانسان مثل حرية العبادة واحترام الاقليات والجماعات الأصلية بمساواتهم بالمواطنين الاخرين هذا الى جانب الحقوق الاساسية مثل التعليم والصحة والمسكن والترويح وغيرها. انبثقت المدرسة الانسانية في التنمية وتغيرت مفاهيم قياس الرفاهية بالدخل كما ذكرنا الى مؤشرات جديدة تضم الحاجات الاساسية ونوعية الحياة الى جانب الحرية والديموقراطية.

تنتهج المنظمات الطوعية هذا الاتجاه كمؤشرات في شرحها وتحليلها للنزاعات وتقديم الخدمات وحفز المنظمات الدولية والقوى العظمى على التدخل في مناطق النزاعات وفي وقت لم تكن فيه حكومة الانقاذ تملك الدفاع عن نفسها كانت الادبيات تترى باستخدام هذا المنهج مما مهد الازهان لفصل الجنوب.

تكونت منظمة دولية لاجراء مثل هذه الدراسات مثل المجموعة الدولية لحقوق الاقليات وقد نشطت مثل هذه المنظمات بعد اعلان الامم المتحدة لحقوق الشعوب الاصلية عام 17⁽¹⁷⁾ International Minority rights Group (2007)
الهشاشة الاجتماعية :

يشير هذا المصطلح الى قدرة المجتمعات على مجابهة المخاطر فقد يواجه مجتمعان مختلفان نفس التحديات وتختلف درجة التأثير وسرعة الاستجابة تبعاً للحالة الاقتصادية والصحية للسكان ومدى التعاضد ووجود المخزونات الاستراتيجية من الغذاء والعلف في المجتمعات البدوية وفعالية التنظيم الاجتماعي والادارة الحكومية . تزداد الهشاشة الاجتماعية اذا ما تعاقبت المخاطر مثل الجفاف والجراد والسنون العجاف لأنه تنشأ حالة من دائرة فقر مفرغة تؤثر سلباً في الجاهزية الاجتماعية للمخاطر والكوارث المستقبلية.

من المعروف أن الهامشية تركز على الخصائص الديموغرافية والاجتماعية للمجتمع ومدى ثراء القاعدة الاقتصادية أو البيئة التي حولها وأخيراً دعم السلطة بتطوير البنية التحتية الانتاجية والاجتماعية لا سيما في الريف. توجد دراسات تشير الى مؤشر الهامشية او الهشاشة الاجتماعية (Social vulnerability Index SVI) لكنها تأتي في اطار مجابهة الكوارث الطبيعية ولا نجد لها نظيراً في تحليلات المخاطر الاجتماعية في افريقيا جنوب الصحراء ولكن من المؤكد ان تضافر الهشاشة الاجتماعية مع ذبذبات البيئة وضعف دعم الدولة تقلل من القدرة على مجابهة مخاطر الجفاف والسيول والنزاعات التي تنتج عنها⁽¹⁸⁾

علاقة التنظيم المكاني بالنزاعات:

عندما غزت جيوش الحكم الثنائي السودان عمدت الى انشاء قطب نمو يرتكز على زراعة القطن في الجزيرة ومدت خطوط السكك الحديدية من الميناء لافضل الأماكن صلاحية للانتاج مثل الذرة والسمسم في القضارف وكسلا والصمغ العربي في شمال كردفان وما حولها وتركزت بالتدريج كبريات المدن وأعلى رتب الخدمات والطاقة والطرق في هذه الممرات الحضارية التي اصبحت مرتبطة بالتجارة العالمية بينما سادت البداوة والزراعة الاكتفائية باقى الاقاليم⁽²⁰⁾ فصلت منطقة المستنقعات - والتي تبلغ 160000 كلم² اى مساحة دولة صغيرة - بين الشمال والجنوب ولم تحاول الحكومات المتعاقبة كسر هذا الحاجز الجغرافي بالاساليب الحديثة مما عمق الفوارق الثقافية بين الاقليمين

- ولاية نهر النيل وشمال ولاية النيل الابيض .
 - هوامش متدنية وهى البعيدة عن المركز وتفتقد الخدمات الأساسية وهى النطاق الثالث
 - أقاليم المشكلات الخاصة وهى التى تعانى مثلا من انتشار الاوبئة او النزاعات والحروب او متطرفة جغرافيا .
- ورث السودان هذا النموذج وعمل على تعميقه واضفاء العنصرية على هذا التركيب بتريد مقولة الشمال العربى المسلم والجنوب المسيحى الوثنى او الغرب الزنجى وترديد العناصر الهامشية لما اسموه بالنخبة النيلية و اتهامها بالهيمنة على الموارد النادرة والحاكمية الخ لم يؤد هذا النموذج وتعميقه الا لهجرة الصفوة ورؤس الاموال الى المركز والاقاليم المتاخمة له وافقار الاقاليم الاخرى التى عاشت فى ظل فقر مدقع وبالضرورة صراع على موارد ناضبة باستمرار كما ان هذا النموذج والجهل بمغباته أديا الى فقدان أراضى شاسعة وببساطة لانها تخلو من الحضرية الحقبة والقاعدة السكانية التى تستطيع الدفاع عن الارض مثل الفشقة وحلايب وشلاتين وابيبيى والاسفين النوبى على النيل وكلها مهددة بان تتحول فى اية لحظة الى بؤر نزاع دولى.

الأمن الغذائى :

اذا كان التركيب المكانى لدولة مثل السودان هو التعبير الجغرافى لتوزيع السلطة والثروة كوراثية لنمط استعمارى استمر تعميقه حتى غدا واضحا فى خرائط مؤشرات التنمية , فان افتقاد الأمن الغذائى تعبير يجسد لا الهامشية فقط بل التراكم التاريخى لمشكلات الجماعات الاصلية ,ومن الغريب ان الخريطين اللتين تمثلهما متطابقتان.

يكتسب هذا المفهوم اهمية كبرى سواء فى تحليل النزاعات او مترباتها ذلك لأن انعدام الأمن فى الغذاء يكاد يلخص كافة الاسباب المذكورة سالفا فالملاحظ مثلا أن هذه المشكلة ترتبط اكثر بالمناطق الهامشية البعيدة عن المركز والقلب المتطور وهى التى عانت اكثر من فشل النخب الحاكمة فى استيعاب مفهوم السلام الاجتماعى والهوية متعددة الثقافات أو من الاسلوب الخاطئ للحكومات العسكرية فى حل مشكلات الصراع على الموارد واستخدام السلاح والاستئثار بالسلطة

يلخص انعدام الامن الغذائى ايضا الاراء القائلة بان تواضع البنى التحتية فى المناطق المعرضة للمجاعات بسبب نوبات الجفاف فى افريقيا جنوب الصحراء اهم مفجر للنزاعات بسبب عدم الاستجابة المبكرة للزمات بامدادات الطعام ومن ثم اشتعال الصراع على الموارد المحدودة.

يسود الامن الغذائى حين يمتلك السكان وفى كل الأوقات المنفذية الفيزيقية والاقتصادية لطعام وفير وآمن ومغذى والذي يغطى كل العناصر الغذائية وتشبع الرغبات والتى تكفل

حياة نشطة وصحية . وتتضمن الابعاد الاتية:

1. الوفرة availability والتي تعنى وجود كميات كافية ونوعية مناسبة
2. المنفذية Access: امكانية وصول الافراد الى موارد مناسبة لاعداد طعام مناسب لوجبات مغذية على اسس منتظمة
3. الاستخدام utilization اى استعمال الطعام من خلال وجبات مناسبة ومياه نظيفة وعناية صحية وبيئة طبيعية معطاءة للوصول الى الصحة الغذائية التى تعنى كل الحاجات الفسيولوجية.
4. الاستمرارية stability: لا بد ان يكون كل السكان والاسر والافراد ذو قدرة على الوصول الى الطعام فى كل الاوقات وبدون التعرض لمخاطر فقدان المنفذية نتيجة لصدمات مفاجئة أو احداث دموية .

إن اى اخلال بعنصر من العناصر المذكورة تقود لعدم الامن الغذائي كما ان البعد الاخير المتعلق بالاستمرارية غالبا ما يرتبط باضطرابات تهدد الاستقرار الاجتماعى وبمظاهر اكثر حدة من نزاعات و تسبب افتقاد عنصر او اكثر من عناصر الامن الغذائي .

ما هى القضايا التى تربط الامن الغذائي بالنزاعات ؟

يذكر البنك الدولى فى تقريره عن التنمية فى العالم 2011 العناصر الاتية :-

- تغير المناخ وفشل المواسم الزراعية
- إن احتمال النزاع يكون عاليا خاصة حين تقود عمليات التدهور البيئى الى تهيمش قاس لقطاع كبير من السكان وصراع على الارض والمياه.
- المساس بحقوق الارض.
- الزيادة السكانية .
- انفلات اسعار السلع الغذائية.
- النزوح حيث لا يجد النازحون العاطلون عن العمل ملجئا احيانا سوى الانخراط فى المليشيات العسكرية.
- ضعف المؤسسية والقدرة على ادارة الازمات مما يفاقم من مشكلات الغذاء.
- ليس ادل من اهمية استتباب الامن الغذائي ان ثورة ابريل 2019 كان مبدأه ازمة فى الحاجات الاساسية وصفوف الخبز مع ارتفاع اسعار السلع الغذائية وتحولت الى ثورة سياسية عارمة والملاحظ ايضا ان النزاعات المرتبطة بالارض والمياه والذى يعبر فى ملخصه عن الخبز تعطل الانتاج وتهيئ لصراعات ونزاعات جديدة فى حلقة مفرغة.

شكل 5 توزيع الجوع المزمن ودرجاته في العالم لعام 2020



يتبين من شكل 5 مدي تركيز درجات الجوع المزمن Acute Hunger - والذي يمثل اقصى مستويات افتقار الامن الغذائي - في افريقيا جنوب الصحراء وكيف ان اكثر المستويات تدهورا تخطى بالسودان مما يصعب الحل على مستوي الدولة الواحدة .

اختلال الامن المائي:

إن اختلال او عدم الامن المائي water insecurity مصطلح ذو معانى متعددة مثل ندرة المياه Water scarcity الذى يعنى افتقار التوازن بين العرض والطلب على المياه العذبة في اطار جغرافي معين اقليميا او بلدا او حوضا نهريا باكملة بسبب ارتفاع معدل الطلب مقارنة بالعرض المتاح في الظروف المؤسسية السائدة واحوال البنى التحتية اما نقص المياه water shortage فيعنى نفس المعنى في اطار جغرافي اصغر في ظل تصميماته لكفاية العرض اما التوتر المائي Water stress ان صحت الترجمة فيشير الى مستويات المصطلحين السابقين من حيث الوفرة والندرة وتدهور مستويات الثقة في المصادر المائية والمرتبات من فشل المحاصيل الزراعية و عدم الامن الغذائي ويمكن قياسه كميًا بنسب العرض مقابل الطلب

يأتى الاهتمام بالامن المائي في مرحلة متأخرة من الاولويات في الذاكرة السودانية مع ان رصيد السودان من مياه النيل لا يتجاوز 18 مليار متر مكعب/سنة وحتى هذا المقدار غير مستغل بالكامل وصحيح ان معظم سكان

السودان بعيدون عن المحور النيلي ويعتمدون اكثر على الامطار والمياه الجوفية ولكن معظم الانتاج الزراعى الحديث يعتمد على المياه النهرية - ان خط العوز المائى هو 1000 متر مكعب للفرد ومعنى هذا أن السودان يحتاج حاليا مليارات مياه بحجم عدد ملايين سكانه اى 42 مليار متر مكعب ولكن الطلب يزداد سنويا بمقدار مليون نسمة تقريبا اى زيادة مليار مترمكعب من المياه سنويا فالسودان اذن على اعتاب خط العوز المائى ولكن هذه الحقيقة لا تسكن في وجدان المخططين للتنمية.

يوجد في العالم 30 دولة تقع تحت خط العوز المائى منها 26 دولة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا وصحيح ان السودان في وضع معقول بالنسبة للنصيب الفردى من المياه ولكنه محاط بدول ذات توتر مائى عالى ولا توجد فرص منظورة لحل مشكلات الطلب مثل مصر ومالى وتشاد وارتريا بل ان اثيوبيا مرشحة للدحول في مرحلة العوز المائى قريبا وبالتالي فان مترتبات زيادة التوتر سوف تدفع ملايين السكان في هجرة قسرية الى السودان .

رغم وفرة المياه النسبية في السودان اذا حسبنا جماع مصادره الا ان هناك تباينا جغرافيا في النصيب الفردى من المياه لعوامل مختلفة منها تدنى تكنولوجيا المياه بالنسبة للحواضر حيث تواجه حواضر الخرطوم والعواصم الاقليمية النيلية من نقص المياه او تدنى نوعيتها اما في النطاق الريفى فان التباين واضح وتعانى المناطق الجافة وشبه الجافة من ندرة او نقصان المياه فصول طويلة من السنة وقد ينشأ اختلال الامن المائى من فشل مؤسسي في ادارة المياه من توفير المصادر والتنقية والنقل وغيرها من المعالجات (21) أمر ينطبق على الريف والحضر مما يجعل افتقاد الامن المائى سببا هاما من اسباب النزاعات على النقاط الرطبة والمنخفضات والودية الغنية بالمياه وفي هذه الاوضاع فان قلة الامطار عن المتوسط في سنوات عجاف متعاقبة تخلق كوارث حقيقية كما حدث في العقود الاخيرة من القرن الماضى هكذا فان ثالثوث الارض - المياه - الكلا هي التى تفجر الصراعات والنزاعات المريرة ولا بد ان نضع في الذاكرة ان افتقاد الامن المائى يعنى تلقائية افتقاد الامن الغذائى .

المساس بحقوق الارض:

في التحليل السابق يأتى (المساس بحقوق الأرض) سببا من اسباب اختلال الامن الغذائى لكن يمكن اعتباره ايضا سببا قائما بذاته من اسباب النزاعات سواء كانت مصادرة الاراضى بواسطة جماعة معادية كما في اقليم الفشقة او الدولة نفسها كما في حالة اراضى الولاية الشمالية التى صودرت لصالح وحدة

السدود وهى تبعية غير منطقية ثم ان تلك الاراضى وزعت على المستثمرين الاجانب لمدد تصل 99 عاما ,كما ان كل مناطق الزراعة الآلية التى يملكها افراد وبمساحات شاسعة تقع فى مناطق الجماعات الاصليه كما فى جبال النوبا وولاية النيل الأزرق والنيل الأبيض وقدقضت تلك المشروعات على الغابات وأثرت سلبا على التنوع الحيوى والمحاصيل الغذائية ولذلك شكلت قضية الارض بندا هاما من بنود اتفاقيات السلام الجارية هذه الايام وحفلت الاتفاقيه الاطارية ببنود عديدة عنها .

الحقائق الجديدة فى 2020:

- فى ابتداء وقت كتابة هذا البحث فى يونيو 2020 تنعقد الاجتماعات فى الخرطوم بين اثيوبيا ومصر والسودان لحل المشكلات المتعلقة بالنواحى الفنية فى ادارة تخزين المياه فى سد النهضة وهى مفاوضات ابتدت منذ خمس سنوات ولم تتوصل الى حلول بالنسبة للسلامة الفنية للسد ولا خطورته فقد ارتضت مصر والسودان بتجاوز هذه المسالة ورغم ذلك فان اصرار اثيوبيا على الانفراد بقرارات ابتداء التخزين وادارة الانسياب وفقا لمصالحها يعرقل جهود التوصل الى اتفاق ولكن المغزى ان الصراع سيتزايد بازدياد السكان والتنمية مقابل أنصبه المياه مما يهدد بحروب مياه مستقبلية وقد يتكرر الأمر بالنسبة لدول المنبع الاخرى اى مصادر النيل الابيض علاوة على مشكلات الحدود المعلقة مع مصر واثيوبيا وجنوب السودان والتى يمكن ان تتحول الى حروب ,كل هذا يستدعى حل النزاعات الداخلية وهى إحدى أذهم عناصر ضعف الدولة
- اجتاحت جانحة الكورونا Covid 19 العالم كله انطلاقا من الصين فى مطلع عام 2020 وانتشرت فى كل بلدان العالم تقريبا وبمعدلات أعلى فى أوروبا وأمريكا الشمالية وتهاوت النظم الصحية فى بعض بلدان الجنوب مثل اليمن والبرازيل وعجزت حتى الدول المتقدمة عن التحكم فى الجانحة والتى من المقدر ان تستمر على الاقل حتى نهاية 2022 وهناك احتمال ان تظهر موجات جديدة .أثرت الجانحة على الاقتصاد العالمى نسبة لتوقف النشاط من صناعة وتجارة ولكن اكثر القطاعات تضررا كانت السياحة والنقل والخدمات مما أدى الى جانب الارتفاع المستمر فى الوفيات بالجانحة الى تراجع أسهم البورصات العالمية

واقترن ذلك بالتدهور المذهل في أسعار النفط وبذلك خلقت الكورونا حقائق جديدة على الارض كأكبر كارثة حلت بالبشرية منذ عهد الطاعون والحربين العالميتين , ولم ينج السودان من تأثيرات حالية مثل تآثر قطاع الخدمات والقطاع التقليدي الحضري نسبة للحجر الصحي وتعطل دولاب العمل الحكومي كما تأثرت قطاعات النقل الجوي والبري الى حد كبير وكانت أكثر الفئات تضررا هم العاملون بالقطاع التقليدي وفقراء الريف والحضر على حد سواء.

استيقظ العالم على كارثة تولدت عنها مزيد كوارث وتفشت بأسلوب لم يحدث في حالة الفيروسات التي انتشرت سابقا وبدأ العالم يفكر في أسلوب جديد للحياة أكثر قدرة على تلقي الصدمات وبدا علماء التخطيط العمراني يفكرون مثلا في العلاقة بين انتشار الجائحة واحجام المستوطنات البشرية لان المدن العملاقة مثل نيويورك وطوكيو وباريس وريودي جانيرو الأكثر تأثرا وفي كل البلدان فان أكبر المدن هي بدورها الأكثر تأثرا بالجائحة كما في مصر والسودان والمملكة العربية السعودية واليمن - لقد بدأ المخططون يفكرون في اشكال واحجام جديدة للعمران بل تنادى البعض بالعودة للقريه كافضل نمط للحياة - بيت القصيد هنا ان أسلوب التخطيط للعمران والاقتصاد والمشكلات الاجتماعية على وشك ان يشهد ثورة .

ما يهمنها هو تأثير الجائحة المرتقب على قضايا الحرب والسلام فهناك اصوات تنادت في الغرب بأن المهاجرين من مناطق النزاعات والحروب في جنوب شرق آسيا وافريقيا جنوب الصحراء هم السبب في تفشي الوباء وهو تفكير يريد ان ينحى باللائمة على ضحايا الحروب التي أشعلها الغرب بطريقة مباشرة او غير مباشرة ويزيد اوارها ما هو تأثير الجائحة على السودان في المرحلة الراهنة ؟ فيما يلي نماذج لفرضيات محتملة:

- اثرت الجائحة سلبا على الاقتصاد السوداني مما سيققل من قدرة الدولة على دعم السلام
- تهدد الجائحة معسكرات اللاجئين والنازحين نسبة للكثافة السكانية العالية من جهة وتردى الخدمات الطبية في الاصل وقلّة الوعي.
- غدت الجائحة هي الهم الأول حاليا لأنها تهدد كل الامة ووجودها مما قد يعنى تراجعاً نسبياً في أولوية قضايا السلام ودعمها.

- قد تؤدي الجائحة الى تعطل ولو جزئياً للقطاع الزراعى خاصة مع العجز فى انتاج الذرة فى موسم 2018/2019 ومخاوف من فشل فى المواسم المقبلة مما قد يعنى ارتباك الأمن الغذائى وانبثاق موجة جديدة من الصراع على الموارد .
- يجب الاخذ فى الاعتبار أن سكان الهوامش الفقيرة فى مدن العاصمة والمدن الكبرى هم نتاج الهجرة القسرية من مناطق النزاعات والعنف وأن تلك الهوامش هى الأكثر تأثراً بالجائحة ومرتباتها السلبية خاصة وان أكثر المتضررين من الحجر الصحى هم العمالة اليومية والقطاع التقليدى غير الرسمى عموماً لتدنى دخولهم وصعوبة الوصول الى اماكن العمل لتوقف النقل العام .ان تلك الهوامش (مثل امبدة - السلام - النصر - الانقاذ- سوبا الشهداء - السلامة) هى متردية فى الاصل فى نوعية المسكن والصرف الصحى والخدمات الطبية والترىيح مقارنة بمراكز المدن وأحياء الطبقة المتوسطة مما يعنى أن الجائحة أكثر تأثيراً على بيئة منهاره فى الأصل والاهتمام بسكان الهوامش الحضرية هو جزء لا يتجزأ من عملية السلام الشامل على مستوى الدولة ولكن الملاحظ أن الحديث يدور فقط عن معسكرات الايواء.
- يقول روبين نيبلت مدير معهد تشاتام هاوس بالولايات المتحدة الامريكية ان جائحة فيروس كورونا ستحدث انقلاباً فى العلاقات بين القوى العظمى وتسود فترة من الانكفاء على الذات وسيدفع الفيروس الحكومات والمجتمعات لتقوية قدراتها الذاتية فى فترة الانعزال الطويلة المقبلة وأن العالم لن يعود الى فترة التبادل العولمى الذى تنامى فى بداية القرن الواحد والعشرون. (22)
- كان السودان يأمل فى كثير من الاعانات التى سوف تأتية من دول الخليج العربى والاتحاد الاوربى والقوى الاخرى ولكن يبدو أن العوامل المذكورة التى اقترنت بانخفاض اسعار النفط وتدهور الاقتصاد العالمى سوف تؤثر بوضوح على المعونات والهبات المرتقبة والتى كان يأمل ان يحل بها قضية السلام مما يعنى استراتيجية جديدة لتقوية القدرات الذاتية والتى تبدأ باصلاح الاقتصاد وتنمية المناطق المتأثرة بالنزاعات .

الخلاصة:

يمكن تلخيص مقولات تفسير اسباب النزاعات وبتطبيق على الواقع السوداني في الجدول 3

جدول (3) مدى انطباق المقولات المفسرة للنزاعات على السودان

النموذج أو النظرية المفسرة للعنف والنزاعات	مدى الانطباق على حالة السودان
تغير المناخ يؤدي الى فشل الزراعة والمجاعات والهجرة القسرية واحيرا العنف والنزاعات	شهد السودان ذبذبات مناخية عديدة في تاريخه لكنها لم تؤدي للعنف السياسي ولكن في العقود الاخيرة اقترن التغير بانتشار السلاح وعوامل اخرى فتغير المناخ احد الاسباب وربما الالم ولكن ليس الوحيد
يؤدي تغير المناخ وانتشار الجفاف او الفيضانات الى العنف في حالة تردى البنية التحتية	تنطبق هذه المقولة على السودان حيث يوجد حاجز طبيعي من المستنقعات تحول الى حاجز ثقافي بين شمال وجنوب السودان وقلل من التفاعل و قدرة السكان على الحراك وفاعلية الجيوش البرية وتوجد حواجز اقل حدة في الشمال ولكن يزيد تأثيرها تدهور النقل باشكاله والطرق وخدمات المياه وقلة المنفذية للخدمات
يؤدي تغير المناخ الى العنف والنزاعات اذا ما تحطمت النظم والمؤسسات التقليدية لحل الصراعات واستبدلت بنظم ادارة هرمة صارمة	عانى السودان من تغيرات المناخ وتأثيراته على مدى طويل وتسبب ذلك في حدوث نزاعات قبلية مستمرة ولكنها كانت تحل بالاحاويد ولكن الغاء الادارات الاهلية القبلية اخلت بالاليات القديمة ومع ذلك لا يمكن اعتبار ذلك سببا وحيدا
السبب الاساسى للعنف هو ضعف الدولة وفشلها في بسط هيبتها وتاخر النضج القومى وتبلور الهوية وادارة الموارد	تنطبق هذه النظرية على كافة الدول الافريقية جنوب الصحراء ولكن الادبيات تقرر ضعف الدولة مع تهميش الاقليات والظلم الاجتماعى والفساد وعرقية الطبقة الحاكمة ليتشا العنف السياسى

مدى الانطباق على حالة السودان	النموذج أو النظرية المفسرة للعنف والنزاعات
استهل السودان استقلاله بالديموقراطية ولكنه لم يعززها بالعدالة الاجتماعية والتنمية المتوازنة فكانت مشكلة الجنوب لكنه مارس انتخابات نزيهة حتى مجئ الانقاذ بمعنى ان النموذج ينطبق أكثر على شمال السودان	الديموقراطية والانتخابات النزيهة تقلل لجوء الجماعات للعنف السياسى فالحوكمة هى العامل الاساسى للعنف
تدهورت احوال السودان منذ الديمقراطية الثانية وتوالى التدهور وتواتت النزاعات بما يوحى بعلاقة طردية ولكن يجب النظر الى ابعاد اخرى مثل توزيع القوة او السلطة والموارد النادرة والسياسات العرقية	المستويات الاقل من اجمالى الناتج القومى ترتبط بالنزاعات العنيفة وهو مؤشر لضعف الاقتصاد
تسكن هذه المقولة وجدان الشعب السودانى منذ تولى حكومة المؤتمر الوطنى السلطة واستشرى فساد لم تدرك ابعاده الحقيقية حتى الان مما اعاق تنمية الاقاليم الهامشية المؤهلة للنزاعات	الفساد هو اهم سبب يؤدي بطريقة غير مباشرة الى نشوب النزاعات
التاريخ السودانى حافل بانتهاكات حقوق الانسان لا سيما فى العهود العسكرية فاذا ما تفاقمت الانتهاكات فى الاقاليم الطرفية نشبت النزاعات	انتهاك حقوق الانسان الاساسية والسياسية واضطهاد الشعوب الاصلية من اهم اسباب النزاعات
اهم سبب لتفاقم الهشاشة لا سيما فى اقاليم العزلة هى افتقاد اساسيات الحياة مثل المياه والخدمات وغياب التنمية المستدامة ونشأة دائرة فقر مفرغة	الهامشية الاجتماعية تعنى عدم القدرة على تطوير الجاهزية الاجتماعية ازاء المخاطر وتطور النزاعات على المستوى الفردى والجمعى
ورث السودان نظاما مكانيا مختلا مرسوما لخدمة الهدف الاستعمارى لكنه استطرد بالنموذج وعمق سلبياته	اختلال التنظيم المكانى يقلل من قوة الدولة وهيمنتها على الهوامش ويخلق فجوة بين المركز والهوامش

مدى الانطباق على حالة السودان	النموذج أو النظرية المفسرة للتعنف والنزاعات
ترتبط النزاعات في السودان بمناطق العجز الغذائي خاصة المعرضة للجفاف وتغير المناخ بيد ان النزاعات نفسها تؤدي الى افتقاد الامن الغذائي نسبة لتعطل الانتاج والمساعدات الدولية ليست كافية لحل المشكلة جذريا	انعدام الامن الغذائي يلخص كافة الاسباب السياسية والاقتصادية والنماذج المكانية للتنمية
تمادى النظام السابق في نزع الاراضى وتوزيعها بفساد	المساس بحقوق الارض
معظم النزاعات القبلية في السودان هى على الارض والماء والكلا ومن المتوقع ان يصل السودان سقف نصيبه في مياه النيل ويدخل مرحلة العوز المائى وربما يواجه في المستقبل حروب مياه دولية	احتلال الامن المائى يؤدي نلقائيا الى اختلال مماثل في الامن الغذائي ويسبب هجرات قسرية ونزاعات دولية ومحلية

التوصيات :

1/8 السلام المستدام وترقية الجاهزية الاجتماعية

تمر الكوارث بمراحل دائرية يمكن اختيار الكارثة كمبتدأ لها والمرحلة التالية هى الاستجابة او الاستعادة Recovery وهى مرحلة الجهود التى تبذل لاعادة الحياة الى طبيعتها بقدر الامكان عبر اعمال الاغاثة والايواء وعزل المرضى فى حالة الاوبئة واستنفار الدولة والخارج ويواكب هذه المرحلة تحليل الاسباب التى ادت للكارثة او مخاطرها Risk Assessment اما المرحلة الاخيرة فهى ترقية الجاهزية الاجتماعية Social preparedness وذلك بمحاولة ازالة الاسباب التى ادت للحدث أو الحد منها بقدر الامكان وترقية البنية التحتية فى المنطقة وغيرها من الخطوات بحيث لا تحدث كارثة مستقبلا أو تحدث بدرجة أقل حدة وتأثيرا .

لم يكن أمام سكان الهوامش الفقيرة فى فترة من الفترات الاحمل السلاح للحصول على الحقوق المشروعة وليجدوا مكانا فى خارطة الوطن واستخدمت الدولة نفس اللغة لاستعادة الهيبة وفرض النظام وكان فى الوسع بدلا من لغة السلاح انفاق ما بدد فى الحرب على عمليات التنمية.

يصعب التوصل الى حلول سهلة لتراكمات تجاوزت سبعة عقود فى اطول حروب اهلية وقبلية فى فارة افريقيا باستثناءات قليلة ولا تكفى المفاوضات وحدها للتوصل الى حلول نهائية فلا بد من تهيئة المسرح لعملية السلام

بأحداث تحول في السلوك السياسى والمجتمعى وبديهي ان التحولات الاجتماعية لا تحدث بين يوم وليلة ولكن ينبغى بناء صروح الآليات التى تؤدى الى السلام الاجتماعى..وتعتبر الاتفاقية الاطارية التى وقعت بين الدولة واللجان الثورية نقطة بداية جيدة للانطلاق اذ انها تضم معظم هموم الهوامش والاقليات ولكنها تحتاج لتعميق.

ولا يمكن فى اطار المبحث الحالى طرح حلول فقد نوقشت الاسباب المحتملة للنزاعات كاطار نظرى ونطرح بعض الرؤى لمرحلة ما قبل السلام من واقع السرد السابق :-

- اثبتت الدراسات انه لا توجد وصفة جاهزة لاحلال السلام فى اى مكان ولذلك فان المبدأ الاساسى الذى يجب ان ينتهج عند الحديث عن السلام هو ضرورة تحليل المشكلة من جذورها ومعرفة اسبابها وتطورها التاريخى والحلول العلمية والايمان بان الحلول ليست احادية
- لما كانت اكثر المخاطر لا سيما النزاعات متعلقة بالبيئة وتذبذب معدلات عناصرها عن المتوسط كما فى حالة التغيرات المناخية ومترتباتها من الجفاف وزحف الرمال فلا بد اولاً من تفعيل الاستراتيجية القومية للبيئة حيث ما زالت حبرا على ورق مع تنقيحها والاهتمام باستعادة الغابات ورسم سياسات جديدة للزراعة الالية التى اضررت كثيراً بالغطاء النباتى والتنوع البيولوجى لأن الطبيعة مصدر الحياة للجماعات ذات المنشط المعاشى او الاكتفائى. فهى تسهم فى الأمن الغذائىوأمن الطاقة حيث أن الأخشاب هى مصدر الطاقة الوحيد فى المجتمعات الريفية الفقيرة لذا ينبغى تحقيق توصيات المؤتمرات الدولية بألا يكون التخطيط البيئى فى معزل عن القطاعات الاخرى بل فى وشائجها واقامة مرصد بيئى فى كل ولاية.
- ان افريقيا كانت هى الاكثر حضوراً فى مؤتمر كوبنهاجن 2009 ولكن مخرجات ذلك المؤتمر وتوصياته ومن ثم الدعم الدولى لتقليل نسبة الكربون فى العالم انصبحت على المناطق التى تتمتع ببيانات مناخية مستفيضة ولم تستطع الدول النامية خاصة فى افريقيا من جذب الدعم الدولى لهذا السبب.
- حل النزاعات يرتكز فى المقام الاول على قوة الدولة وهيبتها التى تتأتى من القوة الاقتصادية والعسكرية مما يقلل من التدخلات الاقليمية والاجندات الخفية .

- احدى عناصر قوة الدولة هى الديموقراطية الحقنة وحفظ حقوق المواطنين وتحقيق حقوق الانسان فى كل الابعاد الجغرافية
- احدى عناصر قوة الدولة هى التلاحم بين الهويات المحلية والاقليمية فى سبيل هوية سودانية مشتركة لا تنحاز لعرق او ثقافة بعينها.
- للتربية والمؤسسات الاكاديمية والاعلام باشكاله دور بارز فى عملية الحوار الوطنى من اجل السلام ولكن الملاحظ انه لا يوجد حديث عن استراتيجىة لتحليل قضايا الحرب والسلام وما زالت البرامج التليفزيونية مستغرقة فى فقرات الترفيه وان حدث تغير ملحوظ فى الفترة الاخيرة ولا بد من انتقال الكاميرا باستمرار الى الهوامش ومناقشة المشكلات على الطبيعة فما زال الاعلام المرئى موجهاً للنخبة الحضريه وبالمثل فان الجدل حول المناهج التعليمية لم يتطرق الى هذه المسالة بل انغمس فى جدل عقيم حول وضع الدين فى المناهج التربوية
- لا بد من تغيير فى التخطيط الاقصادى الحالى القائم على التخطيط القطاعى ووجود امراطوريات منفصلة فى صنع القرار وتوزيع الموارد. واللجوء الى التخطيط الاقليمى الحضرى الشامل الذى
- يحقق التنمية المتوازنة والتكامل الاقليمى ويتضمن استراتيجىة حضرية تؤدى لتقليل عملة العاصمة وتطوير المدن الاقليمية بترقية قاعدتها الاقتصادية حيث انها الآن مجرد مدن خدمات واهنة الدخول .
- تصميم ما يسمى الحضريه المتعمدة Deliberate urbanization وهو مصطلح يشير الى انشاء مدن معتد بها فى مناطق الفراغ البشرى الحضرى فى ظل خطة مرسومة بعناية تحقق الهيراركية او التسلسل الهرمى الانسب مما يحافظ على التخوم متخلخلة السكان مثل المسافة من بورتسودان الى حلايب او شرق ولايات كسلا والقضارف والنيل الازرق وايضا لملاء الفراغ الحضرى بين التجمعات القائمة حالياً مما يزيد من فاعلية التمازج وكسر عزلة الجماعات الاصيلية ويقلل من حروب الحدود المحتملة.
- ينبغى ادراج المتغيرات الدولية من جراء جانحة الكورونا فى وشائج الجدل ولا بد من محاولة التنبؤ بالمتغيرات المحتملة وانعكاساتها على الوضع الاقصادى للسودان واسهام العالم

الخارجى فى الدعم الممكن لعمليات السلام .

2/8 الانذار المبكر للنزاعات

- ذكرنا ان أهم مرحلة فى ادارة الكارثة الطبيعية كانت او بشرية هى ترقية الجاهزية الاجتماعية بترقية البنى التحتية وتهيئة البيئة الطبيعية والبشرية لتلقى الصدمات المقبلة بدون خسائر أو بأقل قدر منها وعدم تكرار أخطاء الماضى بتصحيح المسار وقد ذكرنا نماذج لذلك .

- اهم عنصر فى الجاهزية هى الانذار المبكر - Early warning system وقد تطور هذا النظام اثناء الحربين العالميتين وتحت مسمى (الدفاع المدنى) حيث يقوم السكان غير المشتركين فى الحرب من المدنيين بحراسة المنشآت ووضع سيناريوهات التعامل مع مترتبات الغارات الجوية ولكن تطور بعد الحرب ليشمل كافة المخاطر الحضرية من حرائق وانفجارات وسقوط مبان وحوادث وغيرها وقد انتقل النظام الى السودان بنفس المعنى ولم يتطور ولكنه تبلور فى العالم المتقدم الى نظم شمولية تعتمد على التنبؤ العلمى بالمخاطر قبل وقوعها ورسم سياسات التعامل معها ونشأت نظم انذار مبكر اقليمية لمخاطر معينة مثل اعاصير التايفون وموجات التسونامى ولكن العالم بدأ يسعى لنظام عالمى ذلك لان الكوارث لا تعرف الحدود السياسية فكان اول مؤتمر عالمى للانذار المبكر فى بوتسدام 1998 ثم توالى اربع مؤتمرات بعدها علاوة على مؤتمرات اقليمية مثل المؤتمرات الاقليمية العربية واخرها فى تونس 2012

إن النظام المذكور يعنى ببساطة التنبؤ بالمخاطر قبل وقوعها وللسودان مرصد مناخية تتيح الانذار المبكر للفيضانات والأمطار الغزيرة على المستوى القومى ولكن لا توجد استراتيجية شاملة لكافة القطر وكافة المخاطر أهم مكونات نظام الانذار المبكر هى (المجلس القومى للدفاع المدنى 2016)

- تحديد والامام بالمخاطر
 - القدرة على المتابعة التقنية والتنبؤ
 - القدرة على نشر وايصال الانذار والتحذيرات .
 - القدرة على ترقية الوعى وردود الفعل.
 - الحاكمة اى السلطة القانونية للتصرف اثناء الكارثة.
- لا يوجد ان نظام قومى ولا استراتيجية مطروحة والوضع اسوأ بالنسبة

للمخاطر البيولوجية كما تبدى في التعامل مع جانحة الكورونا ومثل التعامل مع اوبئة تجرى في عروق التاريخ السودانى مثل الملاريا والسحائى والانتشار الحديث للايدز والتهاب الكبد الوبائى أو المخاطر الأجتماعية مثل انتشار ظاهرات التشرذ والعنف وتعاطى المخدرات والمتاح حاليا هو هيئة الدفاع المدنى المختص بالمخاطر الحضرية وتوجد لجان تتكون موسميا للتعامل مع مشكلات امطار الخريف والفيضانات .

تنبه العالم لضرورة وجود نظام للانذار المبكر فى افريقيا جنوب الصحراء بعد المجاعات التى اجتاحت اقليم الساحل فى السبعينيات والعقود التالية لها وشرعت منظمة الامم المتحدة للأغذية والزراعة فى اعداد نظم للانذار المبكر ولكنها كانت موجهة لجمال الغذاء فقط عبر تحليل الامطار والمساحات المزروعة ومهدداتها مثل اسراب الجراد والحراك الرعوى وباهتمام خاص بمناطق الكوارث مثل دارفور والصومال وتوجد جهود تبذلها منظمة الايقاد فى اطار شرق افريقيا ومنظمات طوعية اخرى فى اطر محدودة على الاقل بالنسبة للسودان مثل الخاصة بنزاعات الرعاة والمزارعين فى ولاية النيل الازرق وبعض التقارير التى اعدت عن دارفور.

نشأت منظومة للانذار المبكر فى وزارة التعليم العالى ما زالت فى مرحلة المشروعات البحثية وتحظى النزاعات بمشروع واحد وفى اقليم واحد هى ولاية النيل الازرق هكذا نجد الحاجة ماسة لوجود نظام انذار مبكر للنزاعاتفى اطار نسق عام بالطبع فكما راينا تعددت الاسباب والموت واحد فمثلا لا ينفصم رصد البيانات المناخية والتحركات السكانية عن التنبؤ بالامن المائى والغذائى والنزاعات فى ان واحد .

يمكن اعتبار الجدول (3) ملخصا لاهم العوامل المسببة للنزاعات ومدى انطباقها على السودان وهى ديباجة اولية يمكن تعديلها او الاضافة اليها ذلك لان النزاعات رغم انها فى الوجدان الانسانى منذ قتل قابيل اخاه هابيل فان الاسباب ديناميكية غير ثابتة وربما يتم ازالة اسباب صراع فتنشا اخرى كما ان العمران البشرى نفسه فى تحول من البداوة الى الاستقرار فسكنى المدن وكما راينا فالسودان على شفا ازمات مياه وحراك سكاني من الخارج يجتاح اراضيه نسبة للتحويلات المرتقبة فى الطبيعة وحجم السكان والموارد .

يصعب طرح التوصيات فى القضايا المعقدة ذلك ان المطروح رؤى قابلة للجدل والنقاش وقضايا السلام تحتاج الى مائدة اكاديمية مستديرة ومع ذلك فلا بد من خطوات اولية تنير الطريق.

التوصيات:

- إن النقاط الواردة في الجاهزية الاجتماعية تدخل في دائرة التوصيات ا ضرورات الحد من الفقر باشكاله وكسر حدته وهو بنود الالفية فشلت البشرية في تحقيقها وظلت بندا جديدا في الرؤية -30
- الملاحظ ان دراسات السلام مشتتة بين مراكز ومنظمات ومؤسسات متعددة لا تجمع بينها استراتيجية مشتركة والتغيرات الادارية عديدة مثل قطاع البيئة التي يتغير وضعها وتبعيتها كل حين فلا بد اذن من مركز يصوغ الرؤية الوطنية للسلام وهي التي تدير اية مراكز اخرى وتوجه صناع القرار في المجالات التربوية والاكاديمية والاعلام لتطوير اليات ترقية الوعي وضرورته وتصوغ الميثاق القومي للسلام المستدام وقد اشرنا الى مستوى الاعلام السوداني وعدم مواكبته لقضايا الوطن بالعمق الكافي
- تشرب التجارب الاقليمية الناجحة مثل التجربة الرواندية والاستعانة بالمؤسسات الدولية في مجال درء المخاطر كما ينبغي على السودان تطوير دور المركز الاقليمي العربي لدرء الكوارث والممول من الامم المتحدة ليتخطى دائرة الجمود على تناول المخاطر الايكولوجية واستتثار دول قليلة بمقدراتها.
- ترقية الجهود الشعبية للسلام باسلوب منظم وعصرى ومن الملاحظ ان اجتماعات جوبا بين الحكومة واللجان الثورية ضمت ممثلين شعبيين
- اطلاق حوار وطنى عام حول قضايا السلام فكافة المفاوضات في غرف مغلقة تصدر عنها تسريبات مثيرة للقلق كل يوم وقد بدأت البوادر الجيدة في التليفزيون القومي باستضافته للمتحدثين باسم اللجان الثورية وانطلاق حوار فاعل حول النزاعات وقضايا المناطق التي تعرضت للحرب .
- تعتبر الاتفاقية الاطارية الموقعة بين الحكومة الانتقالية واللجان الثورية وثيقة ممتازة رغم عدم شموليتها للحلول المقترحة اذ تضمنت قضايا استعادة الامن وتقديم المساعدات الانسانية للمناطق المتضررة وحسم قضايا الحوكمة وتحقيق المساواة بين الاثنيات المكونة للسودان وحسم قضايا الاراضى المنزوعة وتعويض السكان عنها وعن الممتلكات التي دمرت فهي نقطة انطلاق هامة وبقي الدخول في تفاصيلها
- يحتاج الوطن الى منسقية قومية للانذار المبكر ومراصد اقليمية للمؤشرات المتفق عليها ولا بد من تطوير منظومة الانذار المبكر بوزارة التعليم العالى والبحث العلمى وفي تكامل مع الدفاع المدنى ووزارات البيئة لصياغة استراتيجية قومية بعد تحليل التاريخ الطويل من الحروب والنزاعات القبلية (ملحق 1)

المصادر والمراجع:

- (1) سميحة دعباس (2015) الصراعات والحروب الاهلية في السودان دارفورانموذجا رسالة ماجستير غير منشورة - قسم العلوم الانسانية - جامعة محمد بن خيضر - الجزائر
- (2) الزبير بن عون عيسى (2012) تحليل سوسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة
- (3) رسالة ماجستير غير منشورة - قسم الاجتماع - جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر
- (4) Olaosebikan A. J october 2010 Conflicts in Africa meaning causes impact and solutionAfrican research review. Vol,4 no 17
- (5) انظر مثلا بن عون - المرجع السابق
- (6) Burke.M.S Solomon M. Hsiang,&Edward Miguel (2015) Climate and Conflict Annul. Rev. Econ. 7 :577-617
- (7) Buhaug,H.et al (2015)Climate variability, food production chocks and violent conflict in Sub- Saharan Africa. Envin.Rech.lett.15
- (8) Cost. et al(April,2015) Climate change.Agricultural production and Civil Conflict. Evidence from the Philippines. IZA Discussion paper No.8965
- (9) Amna Ahmed Rahama Durria Mansour Elhoussein(2009)Inter-Communal Conflict in Sudan Causes, ResolutionMechanisms and TransformationA case study of The Nuba MountainsUnpublished MA . Univ. of Khartoum
- (10) -9Ngaraiya,G.Wand Scheffran,J.(2016) Actors and networkers resource conflict resolution under climate change in rural Kenya. Earth system dynamics vol. 7 441-452
- (11) ادم الزين والطيب ابراهيم وادى (محررون) (1998) رؤى حول النزاعات القبلية في السودان - مجموعة مقالات معهد الدراسات الافريقية - الخرطوم
- (12) دور الجودية في حل النزاعات في السودان (نموذج دارفور) -11 يوسف خميس - ابورفاس
- (13) معهد الدراسات الافريقية - الخرطوم - وردت في ادم الزين ووادى
- (14) 12- Mercer,J. et al (2011) (Frame work for integrating indigenou and scientific knowledge for disaster risk reduction
- (15) 13- Deteges,A. (2018) Drought ,infrastructure and conflict risk in Sub- Saharan Africa. Phd. Dissertation. Political &SocialScience Dept. Freie Univ. Berlin
- (16) 14- Hegre,et al.(2011) Conflict Trap. Centre for the Study of Civil War, PRIODepartment of Political Science, University of Oslo
- (17) -15-Anke Hoeffler. 2004 Greed and Grievance in Civil War,- Oxford Economic Papers 56
- (18) 16- Chapman, Chris.(n.d) Why a minority rights approach for conflict?
- (19) Minority rights group international

- (20) United Nations(sept.2007) Declaration on the rights of Indigenous peoples
- (21) Berry, Flanagan et al (2011) A social vulnerability index for disaster management. Journal of homeland security and emergency management-Vol.8
- (22) Arbab,M.I(2010) The development of the Sudanese urban system 1956- 2008. Central Bureau of Statistics – Khartoum
- (23) Economist,(2019)Global food security index =/ building resilience
- (24) B Acheson, J.M., 2006. Institutional Failure in Resource Management. Annu. Rev. Anthropol. 35. pp.117–34
- (25) Forbes(20/3/2020) How the world will look after the Coronavirus Pandemic
- (26) ReadingsRESILIENCE IN THE FACE OF RISING
- (27) Anastasia Kagunyu.et al () The use of indigenous climate forecasting methods by the pastoralists of NorthernKenya
- (28) David Johnan (2001) Disasters and communities, vulnerability, resilience and preparedness Disaster prevention and management vol 10 no 4 pp 270 -277
- (29) -Dunning, Thad and Lauren Harrison. “Cross-Cutting Cleavages and Ethnic Voting: An Experimental Study of Cousin age in Mali.” 2009.
- (30) Hegre,et al.(2011) Conflict Trap. Centre for the Study of Civil War, PRIODepartment of Political Science, University of Oslo
- (31) Florian Somme (1998) Pastoralism, Drought ,Early Warning and ResponseH
- (32) Kirwin,M.F& Wonpin Cho. (2009) Weak States and political violence in Sub- Saharan Africa African Barometer work[ng paper No 111
- (33) Nhamo,T. et al (2019)Preparedness or short - term relief aid? Building droughtresilience through early warning in Southern Africa WaterSA vol.45 No.1
- (34) TorAbenjaminSen. Espen Sjaastad3 and Ole Theisen,(2015)Climate variability,food production shocks, and violent conflict in Sub-Saharan Africa.Env. Research
- (35) UN High Commissioner for Iraq(2018) Tribal Conflict resolution in Iraq. UNHCR
- (36) UN Fund For Peace (2019) list of Fragile Countries by order

الجغرافية الاستراتيجية للمملكة السنارية

(1504 - 1821م)

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية التربية -
جامعة الزعيم الأزهرى

د.آمال جاد الرب علي فضل المولي

مستخلص:

تناول البحث الجغرافية الاستراتيجية للمملكة السنارية (1504-1821م)، هدف البحث إلى التعرف على الاستراتيجيات التي أتبعها القبائل العربية ببلاد النوبة قبل بداية نشأة المملكة السنارية، وكذلك التعرف على الاستراتيجيات التي أتبعها ملوك المملكة السنارية عند بداية النشأة وأثناء حكم المملكة، كما هدف البحث إلى تحليل عوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية الاستراتيجية التي ساهمت في بناء المملكة السنارية مملكة قوية دامت أكثر من ثلاثة قرون. وكذلك إظهار النجاحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي توصلت لها المملكة السنارية عبر تنفيذها لخطط وفقاً لعناصر الجغرافية الاستراتيجية بالمملكة. تم جمع المعلومات عبر الكتب والمصادر التاريخية والجغرافية لتسي ذات الصلة بتاريخ الفونج عامة والجغرافية السياسية والاستراتيجية بصفة خاصة. بين البحث أن القبائل العربية التي ينتمي إليها العبدلاب والفونج سعوا إلى تكوين أمة تؤيدهم وتناصرهم قبل أن ينشأوا دولة ذات حدود سياسية عبر التزاوج والتصاهر ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في بلاد النوبة ثم بعد سقوط المغرة وعلوة تم الإلتقاء والتحالف في أريجى لتكوين إتحاد سناري يساعد في قيام دولة قوية كما توصلت الدراسة إلى أن عوامل الجغرافية الطبيعية الاستراتيجية من موقع وحجم وشكل الدولة ونشوء منطقة صنع القرار في منطقة مركزية من أكبر العوامل ساعدت في المحافظة على عمقها الجغرافي وعدم تمكن العدو على أختراقها حوالي أكثر من ثلاثة قرون، كما ساعدت العوامل الجغرافية الاستراتيجية على وجود تنوعاً بشرياً واقتصادياً واجتماعياً ربط الدولة بالعالم الخارجي، لكن عندما ضعفت الدولة بسبب الفتن والمؤامرت سقطت في يد الأتراك عام 1821م. أوصى البحث بالإهتمام بالدراسات في مجال الجغرافية الاستراتيجية للإستفادة من إيجابياتها وتجنب سلبياتها.

Abstract:

This research is concerned with the strategic geography of Sennar Kingdom (1504-1821). The aim of the research was to identify the strategies followed by the Arab tribes in Nubia before the beginning of the Kingdom of Sennar as well as to identify the strategies followed by the kings of the Kingdom of Sennar at the beginning of the emergence and the end of the Kingdom. The research aimed to analyze the strategic natural and human geographic factors which contributed to the construction of the Kingdom of Sennar, which was a strong kingdom, lasted more than three centuries. As well as to show the economic, social and political successes which reached by the Kingdom of Sennar through the implementation of plans according to elements of strategic geography in the Kingdom. Data has been collected from books and historical and geographical sources relevant to the history of Phong in general and geopolitics and strategy in particular. The research revealed that the Arab tribes of Abdalab and Funj , before they established a state

with political borders, sought to form a nation that supported and advocated them, through mating and mixing and the dissemination of the Arabic language and Islamic culture in Nubian country. Then after the fall of the kingdom of Makra and the kingdom of Alwa were met and alliance in Arbaji to form Union Sinari to help in the establishment of a strong state. The study also found that the strategic natural geographical factors from the location, size, and shape of the state and the emergence of the decision-making area in a central area are among the biggest factors that helped maintain its geographical depth and the enemy's inability to penetrate it for more than three centuries. The strategic geographical factors also helped to create a human, economic, and social diversity that linked the country to the outside world, but when the state was weakened by the seditions and plots fell into the hands of the Turks in 1821. The research recommended that studies in the field of strategic geography should be taken to benefit from their positives and avoid their negatives.

مقدمة:

الجغرافيا الاستراتيجية هي الشق الثاني للجغرافيا السياسية، وتشكل معها لوحة مزدوجة تزود القائد السياسي، والعسكري بأسلوب موحد للإقتراب من المشاكل المترابطة، فهي تعالج مجموعة العلاقات الأساسية في الحياة للدولة، فالقائد الاستراتيجي يستوحي أفكاره ليضع على أساسها الخطط الاستراتيجية الشاملة على المدى القريب والبعيد، وكذلك غايته الوصول إلى أقصى حد ممكن من المطلوب، ويستند إلى قواعد محددة، ويطبقها مباشرة بما يتلائم مع الواقع في الميدان الجغرافي المختلف، والاستراتيجية تعالج المشاكل أكثر إتساعاً، وأقل محدودية في الزمن، وعليها أن تدرك بعمق العوامل التي تقوم عليها الجغرافيا السياسية⁽¹⁾. وفرت عناصر الجغرافية الاستراتيجية الرؤية الاستراتيجية الكبرى للمملكة السنارية، كما حددت الإتجاه الذي يمكن أن تسير عليها، وعلى هديه تم التخطيط الاستراتيجي طويل الأجل، ولو كان في غياب إلى الرؤية الاستراتيجية الكبرى لن يتوفر للمملكة معيار الحكم للصراعات، والازمات منذ بدايتها، ومن ثم لا يمكن تقييم القرارات السياسية بشكل واف، لولا تم هذا في إطار توجيه السياسات وتحديد الأولويات لما أدى إلى إستمراريتها أكثر من ثلاثة قرون. إذ تقدم هذه الدراسة الجغرافية الاستراتيجية في هذا المكان الجغرافي المميز من

موقع جغرافي فريد وإمكانيات وثروات، وما أنجزه إنسان سنار بفكره في هذا الحيز الجغرافي المتعدد الثقافات التي أغنت البشرية في هذه الفترة .

أهمية البحث:

أن الجغرافية الاستراتيجية عملية شاملة تمس جوانب المجتمع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية عبر القرار الذي تتخذه السلطات العليا في الدولة لمجموعة معينة من الأهداف الأولية تلتزم بتحقيقها خلال الوصول إلى الغايات تبناها المجتمع من أجل تنمية قدراته اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً بتوازن، وتتبع أهمية البحث على عكس الجغرافية الاستراتيجية التي ساعدت حكام المملكة على قيام مملكة بخطى تتسم بالبساطة، ولكن أحسب أنه تفكير علمي لم يكن مجرد صدفة؛ لأن الصدفة لم تجعل الدولة تستمر أكثر من ثلاثة قرون، فلا بد من معرفة إيجابيات الجغرافية الاستراتيجية التي أستفادوا منها حكام المملكة في بناء دولة قوية.

أهداف البحث :يهدف البحث إلى الآتي:

1. مناقشة الاستراتيجيات التي ساعدت على تأسيس المملكة السنارية قبل بداية النشأة.
2. التعرف على الاستراتيجيات التي أتبعها ملوك للمملكة السنارية عند بداية النشأة.
3. تحليل عوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية الاستراتيجية التي ساهمت في بناء المملكة السنارية.
4. إظهار النجاحات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية التي توصلت لها المملكة السنارية عبر تنفيذها عناصر الجغرافية الاستراتيجية بالمملكة السنارية .

مشكلة البحث:

مع التغيرات الجارية على المسرح الجغرافي في بلاد النوبة التي دخلوا عليها العرب سواء كان من اتجاهها الشمالي أو جنوبي، أصبحت القبائل العربية أمام تحديات وخيارات تواجههم تختلف إختلافاً كبيراً من البلاد التي أتوا منها فلا بد أن تكون رؤية جديدة واستراتيجية كبرى للموقع الجغرافي الجديد كي يحققوا الأفكار، والغايات التي كانوا يصبو لتحقيقها. تدور مشكلة البحث حول الأسئلة التالية:

- ما الاستراتيجيات التي وضعتها القبائل العربية عند دخولهم لبلاد النوبة قبل تأسيس المملكة السنارية؟
- ما أهم الاستراتيجيات عند بداية تأسيس المملكة السنارية عام 1504م ؟
- ما هي مقومات الجغرافية الاستراتيجية في المملكة السنارية ؟
- إلى أي مدى ساهمت هذه الاستراتيجيات إلى الوصول إلى حالة التوازن في التنمية الإقليمية بين الأقاليم المختلفة وأنعكست على قوة الدولة ونجاحها لمدة أكثر من ثلاثة قرون؟

فرضيات البحث: يفترض البحث الآتي:

- هناك رؤية استراتيجية تكاد تكون متشابهة للقبائل العربية التي ينتمي إليها الشركين في حكم المملكة قبل الالتقاء في مدينة أربجي 1504م فهي تكوين أمة عبر التزاوج، والتصاهر مع السكان الأصليين من بلاد النوبة، ومنطقة النيل الأزرق مما خلق بيئة جغرافية استراتيجية متوازنة بعد التحالف ساهمت في بناء مملكة قوية.
- الشراكة في حكم المملكة السنارية بين الفونج، والعبدلاب أدت إلى نشأة دولة كبيرة متميزة في تحقيق حاجات المجتمع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وربطته بالعالم الخارجي الإسلامي والعربي بوفق استراتيجية تعتمد على جغرافية المكان الاستراتيجية.
- ساعدت جغرافية المملكة السنارية (الموقع، والمساحة، والشكل) الحكام في وضع خطط استراتيجية مكنت من قوة الدولة، وحمايتها من تغول الأعداء، مما جعلها تدوم أكثر من ثلاثة قرون.

منهجية البحث :

إستخدم البحث المنهج التاريخي لمعرفة التطور التاريخي للاستراتيجيات التي أدت إلى قيام المملكة السنارية، كما تم استخدام البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي استخدم في وصف وتحليل عوامل الجغرافية الاستراتيجية الطبيعية، والبشرية التي ساعدتها في حالة السلم، وربطتها بالعالم الخارجي، وفي حالة الحرب حمايتها من الغزو الخارجي.

طرائق جمع معلومات البحث: تحتوي علي الآتي:

المعلومات الثانوية التي تم جمعها من الكتب والمصادر العلمية التاريخية والجغرافية التي لها صلة بموضوع البحث من المكتبات بولاية الخرطوم .

مفهوم الجغرافية الاستراتيجية :

هي دراسة عوامل الجغرافية الاستراتيجية للدولة، ومدى تأثيرها في العلاقات السلمية أو الحربية وتعتمد الجغرافيا الاستراتيجية في التحليل على الدمج بين الجغرافيا السياسية، والطبيعية، والبشرية والعسكرية، والاقتصادية، وكما تهدف الجغرافيا الاستراتيجية إلى تخطيط ورسم السياسة الخارجية للدولة وفق الاعتبارات الجغرافية والاستراتيجية⁽²⁾.

أذن الجغرافيا الاستراتيجية هي العلم الذي يسعى إلى جمع وتحليل ودراسة وتفسير المعلومات الجغرافية الأساسية للدولة لاستخدامها في إعداد الخطط الاستراتيجية للدولة في السلم والحرب.

الاستراتيجيات التي أتبعها القبائل العربية ببلاد النوبة: تشتمل على الآتي:

-استراتيجية تكوين أمة ببلاد النوبة (المقرة وعلوة):

أهم الاستراتيجيات في الجغرافيا السياسية أن تصنع أمة قبل أن تصنع دولة وليس أول واجبات الدول في البداية أن تضع لها حدوداً، ومساحة معينة؛ بل أن هذا يحدث بعد خلق الأمة، فالأمة لا تتطلب وجود سلطة حاکمة، بل تعتمد على العادات، والتقاليد المشتركة، واللغة الواحدة فكانت بداية دخول العرب تم التزاوج، والتصاهر مع السكان الأصليين، ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية تدريجياً تحت إدارة القبائل العربية بعاداتها وتقاليدها. قال المسعودي عن كلامه عن أسوان سكنها خلق كثير من العرب، ووضح ابن خلدون إن العرب من جهينة بعد الفتوح الإسلامية 1318م أنتشروا فيها فكانوا شيعاً، ويظهر أنهم سكنوا بين الشلال الأول والثاني، وعرب الجوابرة من ذرية جابر الأنصاري والكنوز جاءوا من نجد والعراق فسكنوا بين الشلال الأول والسبوع، وعرفت ببلاد الكنوز، وسكن بين الشلال الثاني وجبل دوشة بعض الأشراف، وبين جبل دوشة والشلال الثالث قوم ينتسبون إلى قريش، وقد أسسوا مملكة في جبل ساسي، وبعد فتح النوبة السفلى أتجهوا إلى النوبة العليا حتى ملؤها، وكان أكثرهم من جهينة، وبني العباس، وتغلب العنصر العربي على النوبة⁽³⁾.

ذكر شقير عند افتتاح دنقلا التي هي كرسي النوبة عام 1318م انتشر أحياء العرب من جهينة إلى بلاد النوبة، واستوطنوها وذهبوا ملوك النوبة إلى مدافعتهم فجزوا، ثم صاروا إلى مدافعتهم بالصهر فافترق ملكهم فصار إلى بعض أبناء جهينة من أمهاتهم فتتمزف ملكهم، وأستولى أعراب جهينة وبقوا شيعاً على كل شيعة منهم رئيس، أو ملك إلى أن قام الفونج 1504م⁽⁴⁾. تكاثرت القبائل العربية في السودان عموماً، وفي علوة خصوصاً، وأختلطوا بذلك مع السكان الأصليين إختلاطاً كاملاً منهم من يتبع في الصحراء وراء إبله طلباً لمواطن الرعي أينما كانت، ومنهم نقل التجارة على إبلهم، لم يقوموا العرب بعمل جماعي مباشر بهدف نشر الدين الإسلامي بين السكان؛ بل أكتفوا مساكنة السكان الأصليين كل على دينه إلى أن أنتشر بينهم بالتدريج⁽⁵⁾. نخلص من ذلك أن أول الاستراتيجيات التي مكنت العرب من الإستقرار الدائم بمكان الوصول (بلاد النوبة) بسبب المشكلات السياسية، والإقتصادية في مكان الأصل، وكانوا ليس لديهم فكرة الرجوع بل كان تفكيرهم فيالتوطن، وتكوين الأمة في بلاد النوبة مما أدى إلى تغيير في ديمغرافية السكان عن طريقة كل من الآتي:

أ. التزاوج والمصاهرة للقبائل العربية مع السكان الأصليين بإستمرار حتى أستولوا على الملك. أن سبب إنتقال الملك لأبناء جهينة في السودان ومنهم العبدلاب كان من المصاهرة، والإختلاط بين علوة والمقرة من جهة، والعرب الوافدين إليها من جهة ثانية، والعرب الأوائل كانوا بيضاً من الحجاز وأن زواجهم من النوبة فصاروا سوداً، وهذا يؤد ما ذهب إليه ابن حوقل وابن خلدون⁽⁶⁾.

ب. نشر الثقافة الاسلامية، واللغة العربية تدريجياً بدلاً من اللغة النوبية، والديانة الوثنية، والمسيحية.

عندما سقطت المغرة أخذت تضعف صلات علوة بكنيسة الأسكندرية فلم يأتوا إليها اساقفتها، وأهملت الطقوس الدينية، وهجرة الكنائس، ووافق ذلك إنتشار القبائل العربية من المغرة إلى علوة، وسهولها وهم أكثر عدداً من سكانها، وتزاوجوا معهم وكان أسرع بأهل علوة لإعتناق الإسلام⁽⁷⁾.

إن استمرار استيطان القبائل العربية، والإختلاط والإنتشغال بالتجارة كون لهم مصالح مشتركة ضعفت العصبية القبيلية بمفهومها الاجتماعي، ونشأت حواضر ثقافية، وازدهرت فيها اللغة العربية والثقافة الإسلامية فتناقصت فيها الخصائص السكانية للسكان الأصليين، وتكونت أمة عربية إسلامية جديدة في علوة، وإن كانت الجغرافيا السياسية، والاستراتيجية قد لعبت دور المعطيات داخل علوة.

إن علوة جذبت مجموعات كبيرة من العرب، وكان هدفهم الوصول إلى المراعي الشاسعة والأراضي الزراعية التي أشتهرت بها فتسربت تلك المجموعات في بطة ويسر دام قرونأ، واختلطوا بالوطنيين قبل دخول علماء الدين، والصوفية⁽⁸⁾.

استراتيجية التحالف والوحدة بين قبائل رفاعة وجهينة وبقية القبائل العربية الأخرى:

بعد المعاشية، والمصاهرة، والإختلاط، أن العرب لم يطالبوا بحكم ذاتي، وكانت لهم أحيائهم الخاصة في المدن الكبيرة، وقراهم الخاصة، ولم يكن من المستطاع النوبة صد العرب بسبب ما أصاب المملكة من إنقسام، وما إعتراها من ضعف؛ بسبب حروبها مع المقرة من جهة، وغارات الزغاوة الأتية من برنو عبر دارفور من جهة ثانية، فأستقرت هذه الجماعات العربية على شكل مجموعات متفرقة تحت سلطات ملوك علوة محافظة على نظامها القبلي، ولم يحاول المهاجرون إنتزاع السلطات من الأسرات الحاكمة المحلية بقوة السيف؛ بل وطفدوا أقدامهم في الأرض الجديدة موضعاً موضعاً فمنهم من أشتمل بالزراعة، ومنهم مارس الحرف في المدن، والرعي في مواقع الخصب⁽⁹⁾.

أن العرب كانوا يدفعون أتوات للموك علوة، ولقد كان الشيخ عبد الله

جماع مقدماً على العرب يدفع خراجهم سنوياً إلى المسيحية، وكان صاحب الرأي في العرب، والمشورة، والوسيط بين النوبة، والعرب في كل الشؤون⁽¹⁰⁾. تدفق العرب بأعداد كبيرة في مملكة علوة حتى غلبوا أهلها على أمرهم بعد ما أصاب سبع مقاطعات الضعف ليس من بينها سوبا، وهي دانغو، وأرين، ونافيل، وكربي، وبارا، وكدرو، والأنج أو العنج الذين هم في سهول الجزيرة⁽¹¹⁾.

الواضح أن قبائل رفاعة، وجهينة لم تكن الوحيدة التي أستفادت من تداعي مملكة علوة وإنحلالها بل شاركتها القبائل العربية الأخرى التي تنتشر في جهات متعددة من علوة؛ وأن سبب ضعف علوة يتلخص في الآتي:

1. قطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية في الأسكندرية، وكنائس النوبة، وعلوة بسبب الحروب الدائرة في المقررة بين العرب، والنوبة فأصبحوا العرب أكثر يحكمون بواسطة ملوك مسيحيين .

2. الضغط الاقتصادي الذي تمثل في دفع الضرائب لمملكة علوة المسيحية، ثم الضغط السياسي الذي حملهم على طاعة قوانين علوة المسيحية، إن هذين السببين اللذين جعل العرب يهربون من حكام الممالك القساة⁽¹²⁾.

عندما تناولت جنود العنج على ظلم العرب بالمرات العديدة اتفق عبدالله جماع مع أبناء عمه بإزالة ملك هذا الظالم، وعقد إجماع الجميع مع سائر العرب، وعلى هذا الأمر عاهدوه على حرب ملك العنج⁽¹³⁾.

لهذا دعى عبد الله جماع القبائل العربية للوحدة فلبت الدعوة، وأتحدت مع عرب القواسمة بزعامته، وهو الذي أمتاز بثقافة الفكر، وسدادة الرأي، وقوة الشيكمة، والغيرة الدينية، وكذلك كان صاحب الرأي في العرب، والمشورة، والوسيط بين النوبة والعرب في كل الشؤون كما ذكر أعلاه ولذلك أطلق عليه جماع؛ بسبب جمعه لمختلف القبائل، وقد نجح في ضم القبائل العربية التي كانت حول علوة وأيقنوا بصدق عزمها على حرب العنج، ورأى إن يستعين بقوة عسكرية بالفعل، ومنظمة وتعتنق الإسلام، وإن المدى الذي وصلت إليه الكثرة من القبائل العربية في أرض علوة، في كثير من المصادر السودانية أن قبائل جهينة وحدها حول سوبا عاصمة مملكة علوة بلغت (52) قبيلة ربما يكون منها قبائل رفاعة التي تبلغ واحد وعشرون فرع، ويبدو أن توحدهم تحت زعامة عبدالله القريناتي لأنه جمع أبناء عمومته، والأرجح هم الأكثر عدداً من القبائل الأخرى التي معهم؛ لأن العرب لم ينشأوا حكومة مركزية تخضع لها سائر الأقاليم، لأسباب واضحة منها عدم إنقياد القبائل بعضها لبعض، فقد صاروا شيعاً كما ذكر ابن خلدون، وثم تعاهدوا على الدفاع عن النفس متى ما أصابهم ظلم من

ملك مقاطعة سوبا التي أصبحت الوحيدة التي تقاوم هؤلاء الأعراب حتى حاصروها حصاراً شديداً بسقوط كل المقاطعات التي حولها إلى أن سقطت نهائياً على أيدي القبائل العربية؛ ولهذا يرى بعض الكتاب من المؤرخين أن سقوط علوة كان نتيجة مجهود عربي، فالفونج لم يظهروا على مسرح الأحداث إلا بعد أن استتب الأمر للعرب بقيادة العبدلاب.

تشكل إستراتيجية الوحدة، والتعاون، وعدم الإعتداء، والدفاع عن النفس من أهم اسباب النصر للقبائل العربية في مملكة علوة نتيجة للأتي:

1. الصمود العربي رغم جميع ما أصابهم من ضغط اقتصادي من المفروض عليهم من ضرائب، ومن ظلم بالمرات العديدة.
2. اختيار النماذج القيادية التي عرفتها القبيلة (عبد الله القريناتي)، الذي يستطيع أن يقود أمتة، كقائد مثالي لإدارة الصراع.
3. المعرفة الواضحة للأهداف.
4. المعرفة الحقيقية بالإمكانيات (الموارد) في مملكة علوة.
5. التوظيف المقتن في سبيل تحقيق الأهداف.
6. الخطوة التكتيكية في مراحل التعامل مع معركة حكام النوبة حتى النصر.

لهذا نخلص إلى أن القبائل العربية تمكنت من بث قيم وسماحة الدين الإسلامي؛ ليكسبوا ود السكان الأصليين، الذين لهم ثقافة تختلف تماماً عن الثقافة الإسلامية سواء كانت المسيحية التي إعتنقونها أكثر من الف عام، والوثنية قبل ذلك، كذلك لولا الإختلاط والتزاوج لما تم نشر الثقافة الإسلامية والعربية ببطء في سهول الجزيرة مع السكان الأصليين اللتين ساهمتا في النصر، وأيضاً لولا فكرة الحلف والتعاهد لكانت القبائل العربية تتناحرت فيما بينها، والقوي يأكل الضعيف في إقليم علوة الاستراتيجي، هذا يشير إلى نجاح الاستراتيجية في تكوين أمة كبيرة متفقة في اللغة والدين والسلالة التي نتجت من المصاهرة، والتزاوج مما ساهمت في تكوين جيش قبلي كبير بقيادة قائد مثالي مختار (عبدالله جماع) الذين ساهموا في بناء المملكة السنارية.

1/ استراتيجيات الفونج بمنطقة النيل الأزرق قبل نشأة المملكة السنارية :

دخل سليمان من أرض الحبشة إلى بر السودان فسكن وتزوج بأبنة الملك تقو بمنطقة النيل الأزرق فستولدها ولدين سمي أحدهما داؤود أو دون ولأنس أونس، فتناسلوا معهم حتى صاروا من جملتهم في جميع أحوالهم، وأول من انتقلت الدولة من الملك تقو صاروا الملوك المعروفين بالفونج وأول ملك عمارة دنقس بن الملك عدلان، وأبناء الملك هم عمارة ونايل وعبد القادر، فأما العمروين هم آل سليمان بن عمر سليمان بن عبد الملك بن

مروان الأموي، ويقال أنهم سلطنة الفونج، وأهل الهمج حتى صاروا مثلهم في جميع، أحوالهم ويشتهرون بالفونج، وفي الأصل بنو أمية إلا أنهم صاهروا الفونج بالنساء⁽¹⁴⁾.

أن الفونج جاء وإلى بيئة مختلفة اختلافاً كاملاً من حيث الجغرافيا، واللغة، والدين خاصة اللغة التي يستخدمها الناس في معاملاتهم كانت لا يعرفها الفونج فمن المألوفة لديهم التفكير بأن يركزوا على حصيلة ضخمة من المعلومات فأن التفكير الذي نقصده لا ينصب على مشكلة متخصصة بعينها إنما هو نوع من التفكير المنظم في العلاقة مع الناس، والعالم المحيط بهم أن يخططوا للمبادئ التي يمكن أن تطبق في كل لحظة دون إستحالة شيء هو حصيلة العمل الشاق الذي قاموا به، ولانعرف الكثير عن الجهود المضنية التي بذلت حتى وصلت إلى التغيير الديمغرافي الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي؛ ولكن يمكن أن نشير إلى أن التفكير العلمي هو الأساسي الذي تم فيه كسب المجتمع الجديد، هو تطبيق المبادئ الإسلامية التي تتمثل من أهم الاستراتيجيات التي أدت إلى نجاح تغيير كبير في المجتمع الأصلي، وكانت عن طريق الأتي:

1/ سماحة الإسلام :

سعوا إلى غرس سماحة الإسلام فهذه طريقة علمية في التفكير تمكنهم من كسب مساحة أكبر من عقول الناس، وأستطاعوا أن ينشروا الثقافة الإسلامية، واللغة العربية في مجتمع أكبر منهم حجماً بخلاف بلاد النوبة العليا من جهة الشمال التي طغي فيها حجم السكان من الهجرات العربية المتتالية بصورة أكبر على السكان الأصليين، أن الفونج عن طريق إستخدام فن التعامل بقيم الإسلام السمحة منذ البداية وسط هذا المجتمع الذي لا يتكلم العربية، ويتدين بالوثنية حتى غيروا الخصائص السكانية تدريجياً، وأصبح هذا التغيير يمثل في حياة المجتمع إتجاه ثابت يستحيل العدول عنه أو الرجوع فيه، وأعترف بهم بشهادة المجتمع.

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) علموا أولادكم التربية لزمان غير زمانكم). أحسب أنهم بدأوا بالتربية الإسلامية في هذا المجتمع الذي تخالطوا وتصاهروا فيه عن طريق الإقناع، وتشكيل العقول والقناعات، والمثل سلمياً مبنياً على التوحد، والصلوات الحسنة مع السكان الوطنيين من الزونج والنوبيين حتى اكتسبوا تعلم اللغة العربية، ومبادئ الإسلام بصورة تدريجية قبل التعليم عن طريق إصلاح السلوك؛ لأن فكرتهم تكوين أمة لقيام دولة قوية في المستقبل.

2 / التزاوج والتصاهر في المجتمع الجديد.

تناسل الفونج مع المجتمع حتى صاروا من جملتهم في جميع أحوالهم، وهذه توضح استراتيجية التزاوج، والمصاهرة التي شكلت معرفة اللغة العربية

التي كانت عنصراً أساسياً في تكوين قوة الدولة ودعم سلطان الدولة بإنتشارها كلغة رسمية على حساب بقية اللغات الأخرى، كما ساهمت في نشر الدين الإسلامي في وسط المجتمع المتمازج مع القبائل المحلية والوافدة، وهذا عنصراً أساسياً آخر ساهم في صنع الأمة ووحدة للدولة.

مناطق الصدام بين القوتين المتنافستين:

بعد سقوط علوة تحرك العرب بزعامة عبد الله جماع حول النيل الأزرق إلى أن وصلوا أربجي التي تعني باللغة النوبية مكان العرب كما أن هنالك اكتشاف لآثار نوبية بالقرب من موقع أربجي وهذا يوضح المنطقة مأهولة بالسكان منذ زمن بعيد وأن معين ود حجازي شيد بها المسجد في موقع تجمع العرب عام 1475م⁽¹⁵⁾.

كلمة أربجي (تعني أرب، جي) وهذا نطق النوبة (العنج) الذين تأثروا باللغة العربية، ولم يتفصحوا بها (أربجي من مقطعين أرب تنعي عرب تنطق العين ألف جي تعني جاءوا، في اللغة الدارجية المحلية لبعض القبائل الموجوده حتى الآن التي لها صعوبة نطق اللغة العربية تنطق (أرب جي بمعنى العرب جاءوا ثم دمجت أربجي)، وهذا يوضح أن وفود مجموعات كبيرة من العرب الموجودين أصلاً، والمنتشرين بين النيل الأزرق والأبيض، وكلمة أربجي تعني دلالة لوصولهم بكثافة إلى هذا الموضع، وهذا يدل على أن الفونج يعلم بوجودهم في الموقع الذي يقع شمال أربجي، وكذلك تعلم القبائل العربية بقيادة عبد الله جماع بوجود قبائل الفونج من جهة الجنوب، ولم يحصل بينهم إحتكاك من قبل، وهذا ما يؤكد شقير في رواية عبد الدافع انتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية المجاور لجبل سقدي بقرب من سنار بقيادة عمارة دنقس وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة، وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبد الله جماع، فأتحد لضم كلمة المسلمين، وكذلك إن الفونج كان في جوارهم قبيلة القواسمة واتحدوا مع بعضهم وهاجموا العنج في سوبا ثم ذهبوا إلى قري وقتلوا ملكها وذلك سنة 910هـ⁽¹⁶⁾.

مما ذكر أعلاه يتضح أن نفوذ القوة المتصارعة على التوسع أنتهى بهم إلى مناطق حساسة هي مناطق الإحتكاك الحقيقي بين نفوذ القوتين عمارة دنقس، وعبد الله جماع، في مثل هذه المناطق غالباً تبدأ المعارك السياسية، أو العسكرية وليست مناطق الصدام وحدها بل تظهر نطاقات أخرى مثل مناطق الخطر، أو مناطق الاهتزاز ألا وهو الإقليم الحيوي (جزيرة سنار)، ووصول العرب إلى منطقة أربجي كان هدفهم للاتجاه جنوباً، أو التوغل في جزيرة سنار للمراعي الواسعة، لذلك بدأ الإحتكاك والمناوشات بين الجانبين في هذا الموقع إلى تم الإتفاق بين الطرفين لقيام دولة موحدة عام 1504م.

أهم الاستراتيجيات عند بداية النشأة:

لما تم النصر لعمارة، وعبدالله على النوبة أتنفق رأيهم على أن يكون عمارة هو الملك الأعظم في مكان ملك سوبا؛ لأنه الكبير، والمقدم، وعبدالله بعده في مكان ملك قري، ويلقب شيخاً وجلس عبدالله في قري، وذهب عمارة فأختط مدينة سنار وجعلها كرسي مملكته، وكان عمارة وعبدالله كالأخوين؛ ألا أن رتبة عمارة أعلى من رتبة عبدالله، فكانا إذا حضرا معاً يتقدم عمارة على عبدالله وإذا غاب عمارة قام عبد الله مقامه، لم تزل العادة هذه في أسلافهم إلى إنقضاء المملكة⁽¹⁷⁾. ومن أهم الاستراتيجيات عند بداية النشأة:

الإتفاق في الشراكة في الحكم بالمملكة السنارية:

بعد ما إنتصر الفونج على العبدلاب في أربجي عام 1504م، ثم اتفق الزعيمان على الشراكة في الحكم، عمارة الملك لأنه الأكبر، وشيخ المشيخة الأقدم في المنطقة، ويسيطر مباشرة على الإقليم الحيوي الجنوبي، عبدالله جماع نائبه، ويحكم الإقليم الشمالي.

ففي الحروب تحدث انتصارات، وهزائم متعددة قبل أن يتحدد مصير الحرب لصالح واحد من الفريقين المتصارعين، ومجرد هزيمة واحدة لم تنتهي حرباً حقيقية؛ ولهذا يجب أن نقول أن معركة أربجي عبارة عن إحتكاك عسكري بعيداً عن صور المواجهة الحقيقية فلم يذكر المؤرخين كم من الزمن دارت هذه الحرب رحاها، وكم عدد القتلى، والخسارة من الجانبين، وهذه المواجهات من الإحتكاكات، والمناوشات التي أدت إلى تغيير جذري في النتائج بصورة لا تتناسب إطلاقاً مع حجم المواجهة الإستراتيجية، بعد هذا الالتقاء، يبدو أن أساس الإتفاق هو الهدف الواحد المشترك بين الجانبين هو بناء دولة اسلامية قوية، وأن لكل واحد من الطرفين وقومه مؤثر كبير في ديمغرافية المنطقة الجغرافية التي أتي منها. نخلص إلى أن أهم نتائج استراتيجية الصراع التفاوضي عند بداية النشأة:

1. خلال فترة معينة استطاع كل فريق متفاوض خلق علاقة سياسية بين الطرفين، أن هذا الأسلوب خفف الشحنة الإتفاعلية من جانب الطرفين، وهذا الأسلوب سمح بتحقيق الأهداف وحقق النجاح.
2. أن التحالف والشراكة جوهر الاستراتيجية القومية، هو فن السيطرة علي جميع موارد الدولة واستخدامها بالصورة المثلي لتحقيق رغبات، وطموحات الدولة.
3. أن ضم مساحة كل من الطرفين تشكل مساحة واسعة لم يخترقها العدو بسهولة.
4. كانت الفكرة تدعو إلي لم شمل الناس، ونشوء دولة تحويهم، وأن لهم إحساس أممي، أو وطنيمزدوج؛ ولذلك في أربجي تم الإتفاق على التعاون، والمشاركة في الحكم لبناء هذه الدولة، و كانت هي أول استراتيجية في بداية الحكم عام 1504م، وساهمت في إرساء دعائم الحكم، وبناء دولة إسلامية قوية استمرت أكثر من ثلاثة قرون.

الرؤى الاستراتيجية لتنظيم المملكة السنارية:

هنالك استراتيجيات وفقاً للجغرافية الطبيعية والبشرية الاستراتيجية وتبدأ مرتبة بالإمور الفورية أو الأولويات، وسريعة المدى لحل المشكلات ومن أهم الاستراتيجيات ذات الخطوط العريضة هي:

- استراتيجيات إدارية هدفها تحديد موقع العاصمة، والحدود، والمشاركة الإدارية المثلى لكل المؤسسات والتنظيمات المجتمعية.
- استراتيجية عسكرية وفق العوامل الطبيعية (الموقع، والمساحة، والشكل) هدفها وضع استراتيجية للدفاع عن البلاد، وهذا يخص القادة العسكريين عن الأمن القومي.
- استراتيجية التوطن، والاستقرار للأمن الغذائي، والمساعدة في تنمية خزينة الدولة لبناء دولة قوية في الحرب والسلام، أن استقرار الدولة لم يتم إلا عبر بناء الحياة الاقتصادية، والعمرائية، وتطوير النواحي الاجتماعية للعرب البدو الرحل.
- استراتيجية تعليم الثقافة الإسلامية، والعربية بواسطة العلماء، والفقهاء لبناء دولة إسلامية.
- الاستراتيجية العالمية هدفها بناء العلاقات مع الدول بالانفتاح على العالم الخارجي بالأسواق وتطوير التعليم، وتشجيع هجرة العلماء من وإلى البلاد.

لاتوجد دولة تعتمد على استراتيجية من مكون واحد، فلاتوجد دولة بلا نطاق أرضي، أو دولة بلا شعب أو مجتمع، أو وطن بلا إمكانات اقتصادية، كما لاتوجد دولة بلا تاريخ، ولكن تتواجد مكونات قوة الدولة الاستراتيجية بدرجات متفاوتة.

استراتيجية القدرة التنظيمية للدولة والتوازن الداخلي والإقليمي:

تتميز المملكة السنارية بموارد اقتصادية كثيرة ترفع من شأنها السياسي، والعسكري مما هيا لها فرصة الإنتاجية لإستيعاب الأعداد المتزايدة من السكان، فكان لابد من الإهتمام بالاستقرار الداخلي الذي يحقق لها الأمن القومي والحفاظ على التحالف القائم فكروا بالإتحاد إلى الحد الذي يصل إلى أن يشكلا رجلاً واحداً لكسب التأييد المحلي للزعامة، والحفاظ على هذا التأييد بحيث لا يتنافسون فيما بينهم على صعيد السياسة الواقعية وشعر الشركين بأن لهم قيم مشتركة في نواحي خاصة بهم ويرون أن المحافظة على هذه القيم بل ونشرها، يجب أن يتحدوا في شكل تقسيم داخلي ليسهل الإدارة وتبعاتها، وثم تتحول الوحدة السياسية إلى دولة قوية متحدة من خلال الروح القومية الموجودة والاعتراف بدستورها بنظم خاصة لكل منطقة؛ ليتيح البقاء والاستقرار، والاستمرار، والحفاظ على التحالف القائم، وأن جل ما سعت له المملكة التماسك الداخلي سياسياً، واجتماعياً دون السماح لأي دولة باستغلال التركيب السكاني المتنوعة، وتكون لهذه الدولة ذات حدود سياسية تفصلها عن جيرانها تجنباً للتصادم الخارجي.

كان تقسيم الممالك والمشیخات التي خضعت للفونج مباشرة كالأتي: مشیخة خشم البحر تمتد من شرق النيل الأزرق، ومملكة فازوغي جنوب مشیخة خشم البحر، مشیخة الحمدة تقع على نهر الدندر، مملكة بني عامر في الصحراء الشرقية بين البحر الأحمر وخور بركة شرقاً وغرباً وبين عقیق على البحر الأحمر وبلاد الحبشة شمالاً وجنوباً، مملكة الحلقنة بكسلا على القاش، أما الممالك والمشیخات التي خضعت للفونج بواسطة العبدلاب هي: مشیخة قري التي كان لها السيادة من أربجي إلى الشلال الثالث ومشیخة الشنابلة تقع على النيل الأزرق شمال سنار، مملكة الجموعية أمتدت غرب النيل الأبيض ونهر النيل من عقبة قري إلى الترة الخضراء، والممالك تتمثل في كل من مملكة الجعليين شمال مشیخة قري، اما الميرفاب شمال الجعليين، الرباطاب من وادي السنقر إلى المشیخة فيما وراء أبي حمد، المناصير تمتد من المشیخة إلى الشلال الرابع والشایقية من الشلال الرابع إلى أبي دوم قشابي، وشمالها كل من الدفار، والخندق، والخنق، وارقو في جزيرة ارقو⁽¹⁸⁾ أنظر خريطة(1).

تسعى الدولة نحو الاستقرار السياسي الداخلي عبر استراتيجية الوحدة الفدرالية، فالتنمية لا تأتي إلا في إطار توازن داخليا للأمن الأقليمي، فلا بد أن تسعى لدور سلمي أكبر من ناحية الداخل، يبدو أن الإتفاق والتحالف الذي ذكر أعلاه كفل حرية التنقل لسائر القبائل العربية البدوية التي تبحث عن الأراضي المطرية الفسيحة في كل أنحاء المملكة، مما ساهم في الزواج والتصاهر مع القبائل الفانجاوية في المنطقة التي كان يسيطر عليها الفونج، وهذا أدى إلى كثير من التماسك والوحدة فأصبحت هذه القبائل البدوية التي تحت قيادة عبدالله جماع تشكل وحدات إدارية كبرى وصغرى معظمهم تحت الإشراف المباشر للموك الفونج، ومنهم الذين يشرفون على وحدات إدارية كبر بعد الإتفاق أصبحت في مناطق تابعة للفونج، مثل شيخ خشم البحر من الكماترة والكماترة هم من أبناء عمومة عبدالله جماع، وكذلك أيضاً إدارة الحمدة بالدندر، بالإضافة الإدارت الصغرى من القبائل ويطون القبائل التي كان يرأسها زعيم قبيلة التي انحصر أسمائها الآن في القرى القديمة، هذا التقسيم مكن الدولة من المحافظة على الإستقرار، والتماسك، والأمان، كما أن هناك مشیخات وممالك قبائلها حافظت على اللغة المحلية كفلت لها الدولة وحدات إدارية سواء كانت تتبع لإدارة العبدلاب التي مكان وجودها الجغرافي في الشمال بجوار الممالك الكشاف الذين يتبعون إدارياً لمصر مثل ممالك الدناقلة، والمحس في كل من مملكة الدفار، والخندق، والخنق، وارقو، هنالك وحدات إدارية تحت ادارة الفونج مباشرة في حدود دول الجوار أيضاً حافظت على اللغة المحلية، مثل مملكة البني عامر والحلقنة، والقلابات (التكارنة)، وفازوغي. فالتنظيم لا للحياة الداخلية فحسب بل للعالم المحيط بهم وحتى تأتي التنمية الإقليمية المتوازنة؛ لأن العالم ملء بالحوادث المتشابكة، والمتداخلة بالظواهر الطبيعية، والبشرية المتشابكة، والمعقدة، وهذا يحتاج

تخطيط، وتنظيم داخلي يحافظ على الأمن. مكونات الجغرافيا الطبيعية الاستراتيجية بالمملكة السنارية:

مع التغيرات الجارية على المسرح الجغرافي، والسياسي للملكة أصبحت أمام تحديات وخيارات تواجههم، فلا بد أن تكون رؤية جديدة، واستراتيجية كبرى للموقع الجغرافي، فالفكرة كانت في عنصرين أساسيين: الأرض، والشعب، والعنصر الثالث هو التفاعل بين السكان، والأرض لإيجاد نوع من التوازن، والانسجام بين متطلبات البيئة، ومتطلبات التنمية الاجتماعية، والاقتصادية، وتعزيزاً لهذا الإتجاه أحسب أنهم كانت لديهم فكرة التنمية المستدامة، أو التنمية القابلة للاستمرار وفق استراتيجية مرتبة تبدأ وفقاً إلى عوامل البيئة الطبيعية من أجل منفعة أكبر وأدوم للعوامل الطبيعية الثابتة. للجغرافيا السياسية أهمية بالغة جداً تستحق الدراسة بشكل خاص من ناحية أدوارها في الجغرافيا الاستراتيجية التي تتفاعل لمنح الدولة التي تشغل هذا النطاق الأرضي قوة، وتماسك داخلي ووزن سياسي رفيع على المستوى الإقليمي والعالمي. تعتبر الجغرافيا الطبيعية من أهم المكونات الاستراتيجية التي تساهم في قوة الدولة سياسياً مثل الموقع، والحجم، والشكل (خريطة (1))، ويمكن أن نناقش ذلك على النحو التالي:

خريطة تقريبية (1) موقع المملكة السنارية وعمقها الدفاعي



المصدر: عمل الباحث (2017م)

المواقع الاستراتيجية بالمملكة:

الموقع الفلكي للمملكة تقريباً بين دائرتي عرض 10°ش و 21°8'ش وخطي طول 49°30'ق و 24°38'ق، وأهمية الدوائر العرضية هي التي تحدد الجغرافية الطبيعية الاستراتيجية، وتمتد في قرابة 11 درجة عرضية (خريطة (1)) أدى إلى التنوع في المناخ والتركيب الجيولوجي والتربة وكان لموقعها البحري في توجيه علاقتها الدولية خلال ساحلها الذي يمتد 760 كلم (سواكن وباضع وعيذاب) مما ساعد على إنتعاش التجارة في هذه الفترة ، فالمواقع الاستراتيجية تشتمل على:

1/مواقع الثغور الاستراتيجية بالمملكة:

تقع المملكة السنارية من الناحية الشرقية على البحر الأحمر (خريطة (1))، ويتميز بأنه موقع استراتيجي هام، ويشكل أهمية كبيرة في التجارة العالمية، وإنّ معظم الخطوط التجارية تمر من اليابس الداخلي إلى البحر، كان لابد للحكومة السنارية أن يضعوا أنفسهم أمام وضع جغرافي يجعلهم في حالة من الاستقرار الدائم عبر تنفيذ عمليات المراقبة الدائمة في العلاقات السلمية والحربية بالبحر الأحمر.

في عام 1508 وصلت جيوش الملك عمارة دنقس لسواكن وكان أميرها من الحدراب وقد أنضمت قبائل الأورتيقة وحلفاؤها من القبائل العربية وغيرها إلى جيوش الفتح، وبعد معارك كثيرة، خضعت جيوش البجة لسلطان الدولة المسلمة في سنار وعين أمير عليهم عبد الله بوشي الأرتيقي، وأستبسل هو ورجاله في حراسة البوابة الشرقية للسودان. قام وفد كبير من زعماء البجة إلى عاصمة سنار محمد بن موسى وشيخ مشايخ سواحل البني عامر، والشيخ جمع بن عجيل، وأكرمهم ملك سنار وخصص نحاس للدقلل، وقسم كساوي الشرف، والهدايا لجميع شيوخ، وأعيان الوفد، وتعاهدوا بحماية ثغر السودان، وظل مندوب المملكة يحضر سنوياً لسواكن ليأخذ الزكاة من القبائل، ويحمل لزعمائها كساوي الشرف من الدمور والسيوف⁽¹⁹⁾.

عندما قدم السلطان سليم إلى سواكن، ومصوع فأمتلكهما، ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار فخطب عمارة دنقس يدعو إلى الطاعة فأجابته (إني لا أعلم ما الذي يحملك على حربي وإمتلاك بلادي فإن كان لإجل تأييد دين الإسلام فأنا، وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله(ص)، وإن كان لغرض مادي أعلم أن أكثر أهل مملكتي بادية، فقد هاجروا إلى هذه البلاد في طلب الرزق لاشئ عندهم تجمع منهم الجزية)، وأرسل مع الكتاب كتاب أنساب قبائل العرب الذين في مملكته، وأعجب السلطان سليم بما فيهما، وعدل عن حرب سنار⁽²⁰⁾، وهذا نجاح في خطاب سياسي أمني في عدم إخضاع مملكته

لحكم مصر في سنة 1517م، هذا أكسب الدولة أهمية، فهو يدعو إلى عدم التسرع في إتخاذ القرار السياسي الحربي، ويتصف بخصوصية إحترام الإسلام، والعرب البسطاء، والفقراء، وعدم الدخول في المنازعات، كما يدل هذا حفاظاً على الثغر الاستراتيجي من الأولويات في هذا الخطاب، وكذلك المحافظة على أمن المملكة قاطبة. في عام 1560م زارع جيب المانجك سواكن، ونزل ضيفاً على أمير الأورتيقة الأمير عبد الله بوشي، وطلب الشيخ عجيب من مصاهرة عمار بن محمد كامل، ووجد شيخ المناجل صعوبة في مياه الشرب، فحفر حفير واسعة للمياه بالفولة الواقعة جنوب المدينة، فأراحوا الناس، وأستغنوا عن المياه المالحة، ثم توثقت الصلة بين البجة والمملكة، وظل البجة أوفياء للسلطنة حتى دخول الاتراك⁽²¹⁾.

العلاقة التجارية، والروحية قديمة بميناء سواكن منذ عام 1324م بسيادة الأورتيقة التي تصاهرت مع الأشراف، كما أن العلاقات الاجتماعية، والثقافية كانت رافداً قوياً بوجود الهجرات إلى السودان والاستقرار في ساحل البحر الأحمر، وقبيلة بيبي (بيبي أقصى حضر موت) التجارية كانت تتاجر معتجرات الجزيرة العربية (العطور والأقمشة والؤلؤ والمرجان والبلح والمسك والبقوليات الجافة)، والسجاجيد والجلود من منطقة البحر الأحمر إلى أن استقرت، فلم يتم استقرارها عن طريق القوة العسكرية وإنما تم عن طريق المصاهرة، والرباط العرقي الذي أوصل هذه العوائل للحكم، فالعلاقات التجارية للمملكة عبر التاريخ كانت من التاكا تأتي منها الذرة، ولا تقلع سفينة من سواكن إلا وفيها ذرة التاكا⁽²²⁾.

أشار الفاسي بقوله (أن غلاء كان بمكة المكرمة ودام كذلك أياماً، ثم فرج الله على الناس قريباً بجلاب وصل من سواكن؛ لذلك كانت سواكن مخزن الغلال الذي يسعف أرض الحجاز في المجاعات، وندرة الغذاء) كما كانت تصدر السمن، والألبان إلى مكة المكرمة، فقد ذكر بن بطوطة أن السمن والألبان تكثر في سواكن، وتجلب إلى مكة المكرمة، كما كانت سواكن تصدر الحصر والسجاد المضغوط من سعف الدوم، فتفرش منها المساجد في جميع أنحاء اليمن، والحجاز، وكان الحجاج لا يغادر مكة المكرمة إلا وفي يده حصيرة سواكنية صغيرة⁽²³⁾.

عند استقرار المسلمون في إقليم العتباي وإستغلال مناجم الذهب بالعلاقي يعتبر نوع من النشاط التجاري، وأن عيذاب كانت تسمى ميناء الذهب. قال بونسية تجار سنار يتعاملون مع ميناء سواكن يأتون بالؤلؤ من مقاصاته، ويتاجرون مع مخا في اليمن، ومع الهند، وينقلون إليها الذهب، والزياد وسن الفيل، ويرجعون بالبهارات، والبضائع الهندية⁽²⁴⁾.

مما سبق يتضح أهمية البحر الأحمر الاستراتيجية الذي يشكل بوابة من خلالها تتصل بمجموعة من الأطراف الاستراتيجية التي تحكمها بطرق النقل، فهو حلقة وصل بين مقر الحضارة الإسلامية في الجزيرة العربية (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، وحلقة وصل تجاري بين الداخل والخارج في العالم الإسلامي، والعربي ككل، كانت التجارة عبره إلى الهند، واستعادة سواكن شهرتها التجارية في هذه الفترة، وعن طريقها جاء علماء كثيرون من مصر، والحجاز إلى سنار؛ لذلك تقع مملكة سنار من ضمن الدول المفتوحة على الرغم من قصر طول خط الساحل مقابل اليابس، كما ساعدت موانئ البحر الأحمر في تنمية أعمال المناولة والتفريغ في الموانئ فضلاً عن أنشطة تجارة المرور العالمية، فمنذ بداية الحكم عام 1508م سعى الحكام لتأمين الموقع الاستراتيجي لثغر المملكة المتمثلة بصفة خاصة في ميناء سواكن لأهميته السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والروحية فطبقوا سياسة تمنح هؤلاء المواطنين الطاعة للحاكم، سواء من الأهمية الإدارية للقبائل المؤثر في المجتمع، أو عن طريق المصاهر للقبائل حتى يجعلون النظارة في تلك القبيلة لإبنهم من تلك الأسرة، أو تقديم أهم الخدمات الضرورية مثل المياه الصالحة للشرب، كما فعل ذلك عجيب بن عبدالله جماع، وهذا يمثل تخطيط استراتيجي للأمن القومي من خلال الموقع الاستراتيجي جعلهم يفكرون في فهم سياستها الخارجية، والمحافظة، والسلام، أن أهمية النقل البحري تكمن في ربط الأجزاء ببعضها على أساس التكافل الوظيفي، وربط الدولة بالداخل، وبالعالم الخارجي، واستطاعت المملكة أن تنمي التجارة من خلال موقعها الاستراتيجي؛ مما عكس قوة الدولة سياسياً، واقتصادياً، ويشكل الذهب حجر الزاوية في التجارة الخارجية.

2/الموقع بالنسبة للدول الجوار:

تقع المملكة السنارية على حدودها دول كبيرة الحجم، الحبشة فيالشرق وحكومة الممالك المصرية في الشمال وإقليم كردفان(تقلي والمسبعات)الذي مصدر نزاع بينها وبين الممالك الغربية (الفور)، وتحدها الممالك الزنجية في الجنوب(الشك والدينكا)،منافذ حدودها البرية الشرقية تمر عبر مجاري الأنهار، وفي حدها الجنوبي كتلة جبلية في منطقة فازوغي يزيد من مناعة الدولة.لحدود دول جوار المترامية الأطراف وظائف استراتيجية وإرتباطية بواسطة التبادل بين الناس،والسلعأستطاعت المملكة أن تنمي التجارة من خلال موقعها الاستراتيجي المميز بين الدول المجاورة،ففي حالة السلم خلقت علاقات خارجية سلمية مميزة، وقوة سياسية، واقتصادية كبيرة.

فالحدود البرية تتقابل على طولها وحدات الحراسة المتبادلة بين الدولتين المتقابلتين، يمكن إختراقها من أي موضع؛ لذلك تتطلب موانع وإستحكامات دفاعية وتتركز القوة العسكرية خلفها، فالحدود البرية الطويلة تشكل عبئاً دفاعياً⁽²⁵⁾.

خطت المملكة للأمن الاستراتيجي في الحدود الجغرافية الهامشية مع دول الجوار عند مداخل الأنهار التي كانت تمثل الطرق الرئيسية، لكن من أخطر الحدود التي تشكل خطراً هجومياً عليها الحدود الشرقية (الحبشة)، وهي عبارة عن حدود هندسية تسير مع المجاري المائية تمتد الحدود عند رأس كسار على البحر الأحمر، وتتعامد فيها المجاري المائية الرئيسية المنحدرة مثل النيل الأزرق، والدندر، والرهد، ونهر عطبرة إلى شماله الأخوار كالقاش وبركة، وأربعات، وستيت وغيرها، فمن الناحية المائية هنالك إتصال قوي بين النظام النهري في كل من الحبشة والسودان، ومن ناحية التضاريس لانستطيع القول بأن الحدود تتميز تميزاً كاملاً بين الجبال في الحبشة والسهول في السودان ولعل الواقع التاريخي لهذه الحدود يلقي الضوء على مشكلاتها فمنطقة الحدود بينها وبين الحبشة معمورة لها من ظروف البيئة الطبيعية، وكثرة المجاري المائية فالقبائل التي تحترف بحرفة الرعي لاتعرف الحدود، وتتوغل في حدود دول الجوار فليس من الغريب أن تكون في المنطقة الشرقية مجال صراع بين الهضبة والسهل، وتتركز في حدود المملكة مع الحبشة أكبر عدد من الوحدات الإدارية الكبرى (عشرة) فهي: مملكة البني عامر تقع على خور بركة ومملكة الحلقة وأروما تقع على نهر القاش ومشخة القلابات بها شيخ القلابات عند مدخل نهر عطبرة، وعدد من الأخوار وأهمها خور أم دجر، ومشخة عطبرة التي بها شيخ القوز (قوزرجب) تقع إلى الداخل على نهر عطبرة ورافديه ستيت، وباسلام، ومملكة تيوة بالقضارف على نهر الرهد، كما توجد مملكة الحمدة تقع على نهر الدندر، وكذلك مملكتهم في الحدود على النهر، وعاصمتها زنكر ومملكة خشم البحر عند مدخل النيل الأزرق، وفازوغي على خور يابوس، ومواقع هذه الوحدات الفدرالية الكبرى تقع على مواقع الأنهار والأخوار في حدود دولة الحبشة أنظر خريطة (1) هدفها الأول لتأمين الحدود الدولية خوفاً من تغول دول الجوار (الحبشة). وأشار سعيد إلى أن الحبشة دولة قوية تأسست فيها مملكة نحو 500 سنة قبل الإسلام ولكن دخول المسيحية الأرثوذكسية القبطية في عام 330 بعد الميلاد سجل لها ذاكرة تاريخية تدور حول مقاومة النفوذ العربي الإسلامي، كما أنها تتحكم في مواقع استراتيجية ذات أهمية في العالم (البحر الأحمر وباب المنذب)⁽²⁶⁾.

كما أن أهمية الوحدات الفدرالية في المواقع الهامشية للمملكة مراقبة دخول أي عدو إلى تخوم المملكة لأن الأتھار تشكل الطرق الرئيسية في هذه الفترة وأيضاً الهدف منها حماية وتقوية المركز، فالحدود من الناحية الغربية حمايتها من (الممالك الغربية في السودان خاصة مع اطماعها على إقليم كردفان) التي تتشكل في مملكة الجموعية، ومشیخة الیس (الكوة) تقعان على النيل الأبيض، ومشیخة الیس عليها مراقبة مدينة الیس نسبة لموقعها الاستراتيجي فهو ميناء نهري ومعبر طريق رئيسي يربط مدينة سنار بممالك غرب السودان وأفريقيا، كما توجد في الشمال الممالك والمشیخات التي تتبع مشیخة العبدلاب تقع على نهر النيل في مساحة صغيرة متتالية وهي: مشیخة قري ومملكة كل من الجعليين والميرفاب والرباطاب والمناصر، والشايقية، والدفار، والخندق، والخناق، وارقومنعت من تغول الممالیک الكشاف إلى الداخل.

حسب المصادر الحبشية بدأت سوء العلاقات مع الحبشة في عهد بادي سيد القوم 1611م، يبدو أن ملك الحبشة حاول معاملة بادي كتابع بمعاونة والده المخلوع المتجئ بالحبشة، وأن نایل ود عجيب في الشرق تعدى على الحبشة، ولم يرد بادي على احتجاج الإمبراطور، وأن حاكماً تابعاً إلى الحبشة لجأ لنفوذ سنار معه فرسانه، ونحاسه، وطالب الأمبراطور بإرجاع النحاس على الأقل، ولم يرد بادي على احتجاج الإمبراطور خوفاً على أن يذهب ملكه لوأده، وتجمعت الأسباب لغزو امبراطور الحبشة المملكة، وفي الفترة 1618-1619 تميزت بالإحتكاك الحدودي مع الحبشة في شكل مناوشات على الحدود، فكانت خطة الهجوم شاملة على الحدود من النيل الأزرق إلى منطقة كسلا ووزع الجيش المعتدي إلى ثلاثة قطاعات، بجهة القضارف هجومين لم يصلوا إلى نهر عطبرة ورجعوا بغنائم بعد أن فر سكان المنطقة للداخل، وجيش ثاني توجه إلى دبركي؛ ولكنه لم يصلها واكتفى بالغنائم، جيش التاكا لم يذكر عنه إلا أنه دخل الإقليم، وهالك هجوم دخل في السهول إلى إخضاع مملكة أروما التي تنزعها قبائل بدوية، وحصل الجيش على غنائم واسلاب، غير أن الملكة فاطمة هربت وأختفت، وعندما بعث لها قائد الجيش الحبشي بأنه يبقي الشتاء بأكمله في منطقتها، سلمت له نفسها وأحضرت أمام الأمبراطور، وعندما راعى ضعفها، وكبر سنها عاتبها عن إمتناعها عن دفع الضريبة التي كان يدفعها أسلافها فأجابته بأنها لم تستقبل من يطلبها منذ أمد بعيد، وعندما تم الإتفاق على تأدية الضريبة رجعت لبلاها معززة ومكرمه في الحدود⁽²⁷⁾.

مما سبق يتضح عدم وجود جيش منظم في الحدود الطويلة للمملكة بينها وبين الحبشة؛ يبدو أنها تعتمد على الجيش القبلي، وربما أن المنطقة التي تمتد

من حدود النيل الأزرق إلى كسلا مراكز تجمع كبير للقبايل البدوية؛ لذلك لم يهتم بادي بالرد على احتجاج الإمبراطور، وعلى الإعتداء الذي بدر منهم أولاً بواسطة نايل ود عجيب، وعدم تسليم الحاكم التابع إلى الحبشة الذي لجأ لفوزهم بسنار وهذا يدل على أنه لم يهتم بالإمر اعتماداً على سياسة الإخلاء التي يتبعها زعماء القبائل من الحدود كما أن العمق الدفاعي الاستراتيجي في سنار كبير لم يمكن جيش الأحباش من الوصول إليها بسهولة، وإذا دعت الحاجة سوف يكون الإمداد من الجيش المنظم في مدينة سنار في أي موقع داخلي بعد أن يستنفذ الجيش الحبشي قوته، وقد حصل ذلك لأن الجيش الحبشي لم يتمكن من الدخول إلى الداخل فلم يصل إلى نهر عطبر من القصارف ولم يصل عبر نهر الدندر إلى دبركي فأكتفوا بالغنائم التي تركها الأهالي، كما أن الملكة فاطمة هدها قائد الجيش، أنه لم يخرج من مملكتها بأروما حتي الشتاء، ويبدو إن هنالك مدة زمنية طويلة قد تكون بضعة شهور بين فصل الشتاء لذلك سلمت له نفسها خوفاً من أن يضيع ملكها، أو تذهب مملكتها في أيدي الأحباش من قبيلتها، ثم يبدو أن جوارها الاستراتيجي مع إمبراطور الحبشة سمح لها بالعودة لموقعها، وهذا يدل على قوة الجيش القبلي ودفاعه عن الحدود.

الموقع الاستراتيجي المركزي لصناعة القرار (العاصمة):

بدأة مملكة سنار بتأسيس نواة الدولة في مدينة سنار بعد الإتفاق الذي تم بين الشريكين، فكانت عبارة غابة وتسكن بها جارية تسمى سنار⁽²⁸⁾. بدلاً من مدينتهم الأولى لام ولذات الموقع الجغرافي المتطرف في الدولة قبل الإتفاق، والثانية جبل موية موقعها الداخلي، فتم إنشاء مؤسسة الحكم في مدينة سنار في موقع استراتيجي مميز جغرافياً، فهم سعو الضمان صناعة القرار في أكبر المناطق أمنياً، والوصول بتسهيلات العملية الدفاعية، والإدارة المركزية لأقصى حد، فمن ناحية الحدود الشرقية تحدها دولة الحبشة التي توجد بها حكومة قوية منذ القدم كما ذكر أعلاه، فالحد مؤمن بمواقع عشرة من المشيخات الفدرالية، وأما من ناحية الحدود الغربية يحدها إقليم كردفان التجاري الذي تتنازع فيه مع مملكة الفور .

أن إختيار العاصمة يعكس التفكير السياسي وراء عمل الدولة؛ لأن وظيفة العاصمة تأمين العمل القومي بسهولة، ويسر حينما تمتد الدولة في عدد من الأقاليم مختلفة المناخ، والاقتصاد، فإن الحكومة تختار العاصمة في أحسن الأقاليم، ونقل العاصمة يعكس إعادة توازن في الدولة، فنمو أو تقلص المساحة يؤدي إلى تغيير العاصمة، وتتركز في عاصمة المملكة مؤسسات الوظيفة السياسية

مثل قصور الحكم، ومؤسسات السلطة التشريعية، والتنفيذية، والإدارات المعنية بالقرار السياسي، لما كان القرار العسكري بالهجوم، والدفاع قرار سياسي من الدرجة الأولى، كما يعتبر قراراً تنفيذياً أستوجب وجود القيادة العسكرية المنظمة مع القيادة السياسية، وتبدأ خطوط الإمداد إلى ساحة المعركة بالمناطق، والتخوم الحدودية من العاصمة، كما كان في الحروب الخارجية للمملكة. لذلك موقع العاصمة له استراتيجية وقت السلم والحرب، كما له مقومات الحماية، وتسهيلات كبيرة تضمن نجاح مؤسسات الوظيفة السياسية، والإدارة المركزية، لذلك يجب أن تكون العاصمة المركزية فيها قمة لهيكلية (أكبر حجم للسكان والخدمات الاجتماعية والاقتصادية) في النموذج القومي، وهي مركز تلاقي خطوط النقل في كل اتجاهات الدولة بذلك يتيسر للدولة قيادة عملية التنمية في البلاد، كما يدعم الموقع المركزي للعاصمة السياسية من مقاومة الحركات الانفصالية بالإقاليم.

تشير أخبار فتوح الشام إلى أن العرب قسموا بلاد الشام إلى أربعة أقسام (أجناد) حسب مراكزها المهمة، وأن حنطتهم العسكرية قامت على هذا الأساس منذ عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه والذي وجه الجيوش إليها حتى عهد معاوية بن سفيان ويضعون المدن في مواقع استراتيجية لها أهميتها الجغرافية وتقع فيها مراكز الحكم ويصفون بعد المدن فيها بعدد الأيام، ويسمون العواصم عاصمة؛ لأنها تعصم المسلمين وتمنعهم إذا انصرفوا من الغزو، وإذا خرجوا من الثغر يأتون إليها⁽¹⁶⁾. تقع للعاصمة السنارية في الوسط المعمور هذا دعمها أكثر في الأهمية الاستراتيجية للعمق الدفاعي، وسجل بعداً هاماً في الدفاع الوقائي، ووفر مسرحاً مثالياً أو مناسباً لمعركة دفاعية حققت عائداً قومياً سوف تذكر لاحقاً. توطين العاصمة في هذا الموقع الداخلي النهري تشكل حنكة سياسية للموك سنار لولا هذا لسقطت الدولة منذ عزو الأحباش الحدود عام 1611م، وهذا الموقع من أحد مقومات المركزية الجغرافية والحماية وهذه تشكل أهمية استراتيجية للعمق الدفاعي الأرضي للدولة التي تكتب الآن فية كثير من النظريات الاستراتيجية. لولاء هولاء لما توفر لهم دراسة الأوضاع الداخلية، والخارجية المحيطة بالدولة ليكتشفوا فيها جوانب القوة، ومكامن الضعف في سائر أوضاعها، أو أن يتعرفوا على ظروف البلاد في كل الأبعاد سواء من إمكانيات، وقدرات الرجال الذين يدورونها، ويقودون مسيراتها، وطاقاتهم من العمل، والإدارة، والقيادة.

حجم منطقة سيادة الدولة:

لاشك أن مساحة الدولة ميزة استراتيجية خاصة، وإقتصادية عامة، فالدولة ذات المساحة تتصف بمميزات عسكرية تجعل غزوها وإحتلالها صعباً

للغاية كما تساهم المساحة الواسعة بإمكانيات تجنب الضغط السكاني وتوزيعه على أقاليم متعددة إذا كانت الظروف الإنتاجية تسمح بذلك، وأخيراً فأن المساحة الكبيرة تكون إمكانيات مستقبلية في الحصول على موارد زراعية ورعوية، ومعدنية مما يشجع على نمو اقتصادي قوي⁽²⁹⁾.

تقع مملكة سنار على حدود مملكتي المقررة وعلوه، وكانت تمثل تطوراً أوسع في رقعة الدولة، تقريباً تغطي مساحتها الشاسعة عشرة ولايات من ولايات السودان الحالية إذ تبلغ جملة المساحة على حسب إحصاء 2008م (977,932 كلم²)، تمثل نسبة 53% من جملة مساحة السودان الحالية (من غير إقليم كردفان الكبرى). تلعب المساحة الواسعة دوراً إيجابياً في عدم السيطرة السريعة للدولة، وأوسلياً في سيطرة المحتل لجزء لأراضي الدولة في حالة عدم وجود الأمن الكافي للدولة وخاصة التمرد في بعض الأجزاء مع إرتفاع الكثافة السكانية مما يساند العدو الغازي للدولة.

وفقاً لتصنيف بونذر يقدر الحجم المتوسط للدولة يتراوح بين (250000 وأقل من 650000 كلم²) والحجم الكبير (650000 وأقل من 1.250000 كلم²) والكبيرة جداً (1.250000 وأقل من 2.500000 كلم²)⁽³⁰⁾.

لذلك تقع مملكة سنار من ضمن مساحة الدولة الكبيرة الحجم، ربما تنبع فكرة المساحة الواسعة للدولة منذ الإلتقاء عام 1504م للمحافظة على أمن الدولة جميعاً كما ذكر أعلاه، وأن سعة المساحة من وجهة نظر الجغرافية الاستراتيجية لها دورها في زيادة الوزن السياسي للدولة سيولد قوة فعالة ولها تأثيراتها في نصرة القضايا، وأن التنوع في البيئة السنارية هو وليدة هذه المساحة ولكن لا تقصر أهمية المساحة الواسعة على الجوانب الاستراتيجية في ظروف الحرب بل لها أهميتها في الظروف الاقتصادية الاستراتيجية في الاتساع والتباين من مناخ، وتربة، وبناء الجيولوجي الذي يضمه الإتحادي السناري في الأقاليم الجغرافية المختلفة، فكل منطقة تنتج سلعة معينة، وتشكل ثروة اقتصادية متنوعة (المحاصيل، الحيوانات، المعادن). فالجزء الجنوبي يحوي مساحة واسعة من الأراضي السهلية، والجزء الشمالي مساحة واسعة من الصحراء يتعزز إختراقها لكنها تشكل حماية أقوى في الدفاع عنها من هجمات الأعداء، كما أدت سعة المساحة إلى التنوع في الإنتشار المكاني للسكان. ويمكن أن نشير للملامح عامة للتنوع في الموارد الاقتصادية بالمملكة السنارية في الآتي :

إقليم الفونج :

1. جبال فازوغي تنتج الذهب، كما أنها عبارة عن بيئة غنية بالغابات ؛ لأنها تقع في نطاق المطر الغزير الذي تتراوح كميته (1000-800ملم) لذلك يذخر بالحياة البرية فهي

مصدر إقتصادي لعسلانحل، وجلود الحيوانات، والسياط، والبغال، وريش النعام، والعاج (سن الفيل).

2. سهول جزيرة سنار والبطانة: ثروة حيوانية متنوعة الأبقار، والإبل، والضان، كما يوجد في الزراعة المطرية زرة الذرة للإكتفاء الذاتي، وكذلك الذرة يساهم في التجارة الداخلية، والخارجية، والإنتاج الغابي من ثمار، وصمغ، وأخشاب، أما الزراعة النيلية عن طريق الري لإنتاج القطن، والقمح والخضروات.

3. إقليم البحر الأحمر بيئة شبه صحراوية تمتاز بتربية الأبل، والزراعة في طوكر والقاش.

قليم العبدلاب :

الإقليم الشمالي به البيئة الصحراوية ؛ لكن يمتاز الشريط النيلي الضيق بزراعة مروية من النيل بالساقية والشادوف، وينتج البلح، والقمح، والقطن، والفواكهة، والخضروات، كما يزرع الذرة بالإضافة لتربية الحيوان ويساهم في التجارة كل من البلح، والقمح، والشطة، والقطن. أدى هذا إلى إنتعاش التجارة، والصناعة.

نسبة للبيئة الطبيعية المتنوعة أدت إلى شهرة سنار التجارية، والصناعية، والتعدنية، أهم صادراتها الصمغ العربي، وريش النعام، والروائح، والذهب، والرقيق، وسن الفيل، والخرتيت، والزباد، والعسل والسياط، والجلود، والأبل. وهذا وفر لها عملة خارجية، وكذلك وفر إحتياجاتها الخارجية. في مقابل ذلك فأن الحجم الكبير للمملكة عاكس الإشراف المباشر لسيادة الدولة في كل أجزائها الواسعة في نهاية المملكة عندما ضعفت، ويتطلب ذلك خطوط إتصال كثيرة وسريعة لتمكن السلطة السياسية من القبض على ناصية الأمور لذلك ضعف نفوذها في أقاليمها الخارجية بسبب سياستها تجاه حكام الأقاليم الفدرالية، وبسبب اتساع البلاد، وصعوبة النقل، كان سلاطين الفونج لا يطلبون من زعماء القبائل غير الجزية، والخصوع الإسمي، فأصبحت الدولة غير قادرة على بسط نفوذها على تلك الأقاليم، وكان زعماء القبائل أصبحت لهم قوة مستقلة في بقاعهم، وقلعة الهدايا، والجزية التي كانت يدفعونها إلى ملوك سنار أمباطور وأصبحت خزيتها خاوية، مع خلو الخزينة كان جيش البلاد ضعف، وقل عدده لإعداداً قليلاً من الرقيق، وكانت المؤامرات بين السلاطين وأضعفت الشعور بالقومية للمملكة، ولا توجد وحدة للبلاد، ولا الأمن مستتب في البلاد كل قبيلة لها مشاكل جارتها، وتغزو ديارها، وتسلب أموالها. فيها تمرد العبدلاب وقتل زعيمهم عجيب الكافوته في معركة كركوج، وفي فترة بادي الثالث الأحمر 1662 - 1716م تم إنفصال الشيايقية، كما كانت فترة الملك بادي ابو شلوخ ود نول 1724 - 1762 بداية ضعف ملوك

الفونج وبداية نفوذ الهمج بعد وفاة وزيره دوكة انفراد بالحكم وسلك سلوكاً آخر أغضب كبراء الفونج عليه، فقد قام بقتل الأنسواب وأستعان وغير وبدل كثير من القوانين فكانت مرحلة من التفكك والإنحلال (31).

الشكل الطبيعي وعلاقته بالعمق الدفاعي للنطاق الأرضي للملكة السنارية:

الشكل الدائري أو المندمج يعد أكمل الأشكال الهندسية لأنه يحقق عدالة العلاقة بين المركز والهامش، ولا توجد على خريطة العالم شكلاً دائرياً، بل توجد أشكال مندوجة شبه دائرية والشكل المندمج مع العمق الدفاعي، ومركزية العاصمة تلعب دوراً متكاملاً في الوظيفة السياسية لدولة⁽²⁰⁾. لا توجد معازل أرضية للمملكة تشجع على النزاعات الانفصالية فجمال فازوغلي وسلاسل البحر الأحمر لا تشكل عائق كبير في الحركة كما أنها ليست مناطق كثافة سكانية عالية تشكل خطر إذ ساعد شكل المملكة المندمجاً نظراً لخريطة (1) في صهرالاجتماعات، والشعوب الإقليمية داخل الدولة في شعب واحد، كما ذكر الرحالة أن سنار تشهد بأجواء من التحالف، والتسامح، والبعد عن التعصب الديني، أو العنصري، أو القبلي التي تسود كل أراضي السلطنة، وكان كرم الضيافة، والولائم الفاخرة⁽³²⁾. يتوفق صمود الدولة للغزو الخارجي من الدول المجاورة على عمق النطاق الأرضي للدولة هو الوسط الهندسي، أو الجغرافي الذي يجب أن تشغله مركز صناعة القرار السياسي (العاصمة)، وتنقسم الدولة لعدة أقسام تبعاً لعمقها الدفاعي بين 734-893 كلم بعمق كبير، والكبير نسبياً 411-571 كلم⁽³³⁾.

تمتاز مدينة سنار بعمق كبير إذ تبعد عن الحدود في كل الاتجاهات عبر طرق النقل التي تتمثل في الأنهار أنظر خريطة (1).

تبرز أهمية قيمة العمق الدفاعي للدولة، أو محيطها الحدودي ويعبر عنها عن نصف قطر مساحة الدولة في شكلها الدائري في أستيحالة غزوها سريع من الخارج، كما تبرز أهمية العمق الدفاعي للدولة في حالة غزو العدو للدولة إذا كان محيطها الحدودي القصير الناتج من قلة المساحة أو شكلها الطولي، ويكون موقع قريب من الحدود فيتم غزوها في سويعات مثل غزو العراق للكويت وأسرائيل للبنان، يمكن العمق الدفاعي الكبير الناتج من الشكل المندمج عدة إنتفاعات في الحرب، يباعد بين ميدان الحرب في المنطقة الحدودية من ناحية، ومركز القيادة، وصناعة القرار السياسي والحربي في المنطقة المركزية بالعاصمة السياسية، وبالتالي تتمكن الدولة من إدارة لمعركتها الدفاعية لصد عملية الغزو، كما حصل في الحرب الحبشية الأولى بدأت بسوء العلاقات في عهد بادي سيد القوم 1611م في شكل مناوشات على الحدود، لم يصلوا إلى عواصم الوحدات الإدارية في الحدود ورجعوا بغنائم بعد أن فر سكان المنطقة للداخل كما ذكر أعلاه.

عندما بدأت الحرب الحبشية الثانية 1744م في عهد اياسو الثاني بدأ الأعباش يغيرون على حدود مملكة سنار وكانت نتائجها فرار الأهالي، وغنائم من الماشية، والأبل، والغنم، سار اياسو على رأس جيش كبير من غنذار متجهاً نحو المملكة، وكانت أوامره صارمة قتل الناس وأخذ جمالهم وماشيتهم وساروا (8 أيام) وهم ينفذون هذه الأوامر، وكانت أول مقاومة حادة على نهر الدندر حيث ثبت العربان المؤيدون لحكومة سنار حتى قطعت مواشيتهم النهر، وذكرت الروايات أن هنالك عوامل داخلية سمحت لملك الحبشة تنظيم موجات دفاعية من الهجوم المضاد الذي نجح في الإستلاء على بعض الأراضي، وقرر ملك الحبشة الحرب على الفونج حتى وصول العاصمة، ويقال أنضم إليه عند نهر عطبرة بعض من قبائل الضباينة ونايل ودعجيب المنشق من السلطنة⁽³⁴⁾. وهذه إشارة إلى أن الحبشة أحد مصادر التهديد المحتمل للأمن القومي بتشجيع المعارضة الداخلية والحركات الانفصالية بالشكل الذي يهدد نظم الحكم القائم بينهما.

الأعباش تغلبوا على القبائل العربية وساروا في جيش كبير وصل النيل الأزرق قبالة سنار بالشرق، وبقية الجيش مازال شرقي الدندر، وبذلك أنقسم الجيش الحبشي إلى قسمين، ولكن سنار عندما رأت جيوش الأعباش قابلتها ساد الهرج، والمرج فيها، وكاد الملك أن يامر بإخلاها لولا أن أشار خميس من عائلة فور على أن يعبر الجيش السناري شمال سنار، ويقاوم العد وهناك، ونفذت الخطة، وحصر الجيش في مثلث بين النيل الأزرق والدندر في محل يقال له الزاكيات ودحره، وعندما وصل الخبر لبقية الجيش الحبشي، قرروا أن لا سبيل لإنقاذ جيشهم المحصور⁽³⁵⁾ وهذه إشارة إلى أن الحبشة. قال كاتب الشونة⁽³⁶⁾. عندما علم بادي أبو شلوخ بجيش الحبشة بالقرب من سنار (طلب من جميع المراتب الدعاء وأرسل إلى المراتب البعدين وأشتد الكرب على المسلمين وجيش جيشه وأمر عليهم الأمين وأجتمعوا وساروا والتقوا بمحل يقال له الزاكيات) أن الملك بادي جمع جيوشه من المشاة والفرسان، وجعل عليه الأمين ود مسمار، وود عجيب شيخ قري قائداً عاماً، وجعل على الفرسان الشيخ محمد أبو الكيلك وتساحوا المشاة بالسيوف، والحراب، ولبس الفرسان دروع الزرد، والبسوا الخيل، وأجتازوا النيل وأجتمعوا على خميس فور جيشاً واحداً فالتقوا مع جيش الحبشة في منطقة الزاكيات شرق الدندر وأقتتلوا قتالاً شديداً فكان النصر لجيش سنار فغنموا غنائم كثيرة ونالت سنار بهذا النصر شهرة كبيرة حتى بلغت مصر، والشام، والحجاز، وآستانه، وتونس، والهند. كانت آخر محاولة تعمق فيها الجيش الحبشي في سنار .

كان مسار الجيش الغازي عبر نهر الدندر إلى المصب في النيل الأزرق يمثل عمق كبير مع الشكل المندمج، كما أن هذه المسافة على نهر الدندر تحفها المخاطر من غابات، ومستنقعات وحياء بريّة مفترسة (حظيرة الدندر)، كما أن السكن في هذه البنية غير مكلف حتى الآن (من حشائش المنطقة)، وهذه عوامل جغرافية استراتيجية ساعدت العمق الدفاعي الكبير للدولة مهما حرق، وقتل من القرى هنالك مشيخة الحمدة، وعاصمتها دبركي، ومشيختهم الثانية عند مدخل النهر، هذه المشيخات الفدرالية إتبعّت سياسة الموقف الإخلائي لأقاليمها الهامة التي يهددها خطر الحرب وتجهير سكانها للمناطق الداخلية، أو المركزية، حتى لاتتعرض السياسة الدفاعية لضغوط ومساومات القوة المهاجمة على المجتمعات الهامشية المتأثرة بالحرب مباشرة ويتوفر لها المرونة الدفاعية دون ضغوط العدو على المناطق المدنية. ونخلص إلى أن العمق الدفاعي لمدينة سنار:

- ساعد على إتاحة الوقت الكافي لإستكمال العملية التعبوية لشن هجوم مضاد بتزايد فترة وصول الغزاة إلى المنطقة المركزية (مدينة سنار) كما ذكرها كاتب الشونة.
- ساعد العمق الدفاعي لمدينة سنار إنفاذ القدرة الهجومية على الاستمرار في التغلغل نحو الداخل في مقاومة الأقاليم الهامشية والخلفية والداخلية حيث ساروا (8) أيام وهم ينفذون هذه الأوامر وكانت أول مقاومة حادة على نهر الدندر حيث ثبت العربان المؤيدون لحكومة سنار حتى قطعت مواشيهم النهر، مكن من الهجوم المضاد للقوات الغازية من أجل التحرير وكان ذلك في منطقة الزاكيات بنهر الدندر التي تبعد عن مدينة سنار بالضفة الشرقية للنيل.
- ساعد العمق الدفاعي لمدينة سنار إخلاء المناطق وفرار الأهالي إلى الداخل.
- ساعد العمق الدفاعي لمدينة سنار إستنفار السكان لتجيش الجيوش، والخروج لملاقاة العدو بعيداً عن العاصمة؛ لأن للعواصم تأثيراً نفسياً على الشعوب، فسقوط العاصمة يؤدي إلى إشاعة اليأس بين السكان، خاصة إذا كانت العاصمة في موقع جغرافي متوسط وجيد كما ساد الهرج والمرج في مدينة سنار بقرب الجيش الغازي، ولهذا نجحت الفكرة في دحر العدو خارج العاصمة، مما كان له أثره الكبير في ضعضة العزيمة الحبشية وتقوية الإرادة السنارية.

اتجاه المملكة السنارية نحو توسيع عمقها الدفاعي:

سعدوا بعض ملوك سنار للتوسع خارج الحدود بسبب ظهور بالمنطقة كثير من الأزمات، والحروب الخارجية، وكان هدفها الاستراتيجي هو زيادة فاعلية العمق الدفاعي في إدارة هذه الإزمات الإقليمية ولها أثر واضح في إتجاه المملكة نحو صناعة عمق دفاعي إضافي لمدينة سنار بالمنطقة الإقليمية المجاورة في

الغرب، ولذلك تغلغل نفوذها في إقليم كردفان بحكم الجوار من ناحية وبحكم إمتداد لوجود بعض شعوب إقليم كردفان بهذه المملكة ومحاصرة مملكة الفور المنافسة لها أنظر خريطة(1).

كانت حرب بادي أبو دقن(1643-1678م)، الذي أشتهر بالشجاعة والكرم، والعفة، والتعبد وكان معظماً لأهل العلم والدين مكرماً لهم، وتمثل مرحلته استقرار وتماسك نسبي وقدرة السلطنة على صد الأخطار الخارجية فحارب ملك تقلي⁽³⁷⁾.

غزا بادي الشك، وجبال تقلي بسبب المشكلات التجارية بين ملك تقلي فساء لأحد التجار فسلب جميع أملاكه التجارية وتحدى ملك سنار أن يغزو مملكة تقلي⁽³⁸⁾.

بسبب المانع الطبيعي باجة(أم لماع) إستطاع بتكتيكة الحربي أن يتجاوز العقبة فانتصر عليهم، وكان ملك تقلي يتصف بمكارم أخلاق يقاتل بالنهار، ويكرمهم بالليل فعفاه ملك سنار مما بدر منه من مكارم الأخلاق، ويبدو إضافة لذلك شهرة بادي أبودقن السياسية المشتهرة بالشجاعة وسماحة خلقه لا يريد أن يواجهه مواجهه حربية حقيقية؛ لذلك صالحه إلى جزية معلومة، وعاد إلى سنار، ومعه سبايا النوبة، وتقلي وجعل لكل منهم حلة معلومة حول سنار وأسكنهم بها، وصاروا من جملة جنوده وتنازلوا بتلك الحلل؛ وبهذا أصبح لمدينة سنار أكبر عمق دفاعي من ناحية الغرب نسبة لضم مملكة تقلي في هذه الفترة .

عندما قويت شوكة الملك بادي أبو شلوخ بعد حرب الحبشة الثانية سمحت نفسة، بإمتداد ملكه غرباً أرسل جيشاً إلى كردفان بقيادة ود تومة، ومعه الشيخ عبدالله ود عجيب شيخ قري، وأخوه تمام والشيخ محمد أبو الكيلك كبير الهمج، وكان على مملكة المسبعات أقرباء سلاطين فور فالتقوا في مكان قحيف فهزّمهم، وأعاد محمد أبو الكيلك الكرة مرة أخرى بعدما جمع جيشه، وأقتتلوا في مكان يقال له شمقته فقتل تمام ود عجيب، وإبنه العجيل، سر ملك سنار بقتال محمد أبو الكيلك، وعينه قائد عام للجيش وأعاد الكرة مرة أخرى، وأنتصر عليهم، وأخرجهم من كردفان في عام 1747م، وأقام فيها إلى عام 1761م ثم أخل بالمسبعات فعاد لسنار لعزل الملك بادي أبو شلوخ الذي أستبد برأيه بعد وفات وزيره الذي كان صاحب عزم، وتدبير أكسب المملكة شهرة⁽³⁹⁾.

هذه التوسعات أتت بمردود سريع في قوة عمق المملكة، فاستولت على مساحة واسعة في كردفان أما الحالة الأخيرة فتعرضت لمواقف حرجة في

صراعها نحو السيادة والسيطرة بسبب الفتن الداخلية مما أفقدها هذا العمق عن طريق إخلائه للمسببات إلى أن سقطت كردفان في يد الأتراك عام 1821م.

عوامل الجغرافية البشرية الاستراتيجية بالمملكة السنارية:

أن الأهمية الاستراتيجية للجغرافية البشرية هي الكيان الاقتصادي للدولة في المكون العام لقوتها السياسية، ويشكل الكيان الاستراتيجي للمملكة السنارية وفقاً للعوامل الطبيعية السابقة الذكر.

حجم السكان:

كلما كان عدد أفراد التجمع كبيراً ونشاطهم متنوع تشتد الحاجة لتنظيم مركب، كان الاعتقاد أن العدد الصغير لمجتمع ما يؤدي إلى تنظيم سياسي بسيط يعتمد على النسب والقرابة كالعشيرة، والقبيلة بينما يؤدي التكوين الكبير لمجتمع متجانس سلالياً، أو لغوياً، أو دينياً إلى تكوين الدولة عندما يصل هذا المجتمع إلى درجة معينة من المدنية العليا⁽⁴⁰⁾.

العدد الكبير للسكان قوة في المجالات العسكرية كما كان جيش عبدالله جماع قبل التحالف وصل إلى 07000 مقاتل، كما يعطي الحجم الكبير للسكان الدولة طاقات اقتصادية كثيرة في مجال إستغلال الموارد المتاحة ومجال التسويق، أكثر المناطق كثافة سكانية في المملكة هو الإقليم الحيوي الذي يسيطر عليه الفونج مباشرة وتقع فيه العاصمة، امتداد المعمور القومي وإنتظام كثافة الإنتشار البشري بهذا الإقليم الحيوي (جزيرة سنار وسهول البطانة) يعتبر درع وقاية وحماية للحروب كما حصل في حرب الحبشة الأولى والثانية كما ذكر أعلاه ودافع للتعمير وقت السلم والتنمية، أنقله السكان غير المدافعة يساعد العدو في إختراع جزء من الدولة كما حصل في حرب الحبشة الثانية ساعد الجيش الغازي كمن قبيلة الضباينة التي ضد قبيلة الحمدة المناصرة لحكومة سنار، وكذلك إنضمت مجموعة نايل ودعحيب المتمردة، مما ساعد على العدو التوسع في المعمور وإتجة نحو نواة الدولة حتى تم إستنذاف العدو ودحرة.

استراتيجية إستغلال الأرض:

هنالك عوائق تظهر عند التنسيق بين الأغراض المتعددة لشغل تلك الأراضي والتنسيق بين أصحاب المصالح في كل قطعة أرض لذا توجد حاجة ماسة إلى تحسين طريقة التنسيق عند التعمير لذا يلزم استراتيجية التنوع بين الأغراض الخاصة بالإنتاج الزراعي للأرض .

لم تكن في عهد مملكة النوبة حقوق لتنظيم الملكية الأرض، فالفلاحون عبيداً للملك النوبة أو من ينوب عنهم في المناطق البعيدة، ولم يكن للمزارع حق التصرف في الأراضي في البيع أو الشراء، وفي عهد الفونج السلطان هو المالك للأرض الذي يقوم باقطاعها للزعامات القبلية أو الدينية أو العسكرية بشروط وحجج معينة⁽⁴¹⁾.

بجانِب ظهور الملكية الفردية للأراضي الزراعية ظهرت الملكية الجماعية في مناطق الرعي البعيدة، وبمثلما تعددت أنماط الملكية تعددت أنماط التشكيل

الاقتصادية من نمط الإنتاج البدائي إلى نمط الإنتاج السلعي الصغير، وتبعاً لهذا التعدد تطورت التجارة الداخلية وتطور الإنتاج الزراعي البدائي بالإستقرار. أن المملكة السنارية سعت إلى نظام التنوع في الإنتاج الزراعي لتراعي المصلحة الفردية والجماعية، ومصصلحة الدولة عبرتوسيع رقعة المعمور بمساحة أوسع بالحصول على مركب إقتصادي متنوع من استخدامات الأرض، واستقرار العائلات في أماكن استقرارها، كان لابد من توفير الحاجات الأنية، وأتوفير المتطلبات الضرورية فخططت لاستخدام الأرض الزراعي فهي فكرة تقوم بها مجموعة من المجتمع المحلي الديمقراطي في أسلوب مرن يسهل تطوعيه وفق الظروف المتاحة والميسرة، ويتطلب قدرأ من التفكير الاستراتيجي أن كان لاتوجد مراحل زمنية للخطة، ولكن استخدمت خططلكي يسهم العمل في نفع صاحبه، وتوفير الحاجات لكل المجتمعمكان لابد من أن يتخصص كل فرد في العمل الذي يبدع فيه، ولديه القدرة على إنجازه، فزيادة الإنتاج(الثروه)يتوقف على وفرة عناصر الإنتاج، وأهمها عنصر العمل(القوة البشرية)، والذي يمثل العامل والمنظم والمستثمر للمال، والمالك للأرض،فالتحول من نموذج التنمية الإقطاعية بالتحوّل إلى التنمية الزراعية ثم الصناعية وهذا ينمي من القوة العاملة ويزيد من الكتلة السكانية للدولة وهذه استراتيجية لتنمية المكون الاجتماعي، والاقتصادي للدولة معاًمساهم في قوة الدولة. من الواضح أن هناك حاجة ماسة إلى التعمير الاستراتيجي للأماكن العمرانية حتى يمكن تخصيص أماكن للسكن، وأماكن حيازات زراعية مستدامة، وليس الهدف حل شكلي لمشكلة السكن للقبائل الوافدة بل أنه كان الهدف للروابط بين الأغراض المتباينة أي الوضع الفريد لكل مشروع اقتصادي سياسي إجتماعي مزاولة الاعمال الاقتصادية، والتواصل الاجتماعي وكانت النحو التالي:

- أرض الزراعة مطرية أونيلية.
- أرض المرعى لتربية الحيوان لا للزراعة فالمراعي مفتوحة لكل أبناء القبيلة. وهذا أسلوب يراعي المرعى محددة وأرض الزراعة محددة، وهذا يجنب صراع الموارد بين الزراع والراعاة، وهذه استراتيجية للاستقرار، والأمن الداخلي، ومسعاها أيضاً التنوع في الإنتاج بقصد التجارة كما ذكر أعلاه .
- الملكية الجماعية للأراضي الغابية تحت مسؤولية زعيم ديني، أوقبلي، فالغابات منفعة عامة للجماعة أو للقبيلة، يينتفعوا منها بإحتطاب، أوصيد، أوجمع للصمغ أوللثمار.
- لعدالة المكانية في خريطة الإستثمار التعديني والصيد البري وذلك بإستغلال المناطق غير المأهولة بالسكان في مناطق الجبال، والغابات في فازوغلي، والتعدين في صحراء البحر الأحمر والعمليات المرتبطة بالملاحة البحرية.المملكة السنارية أستمدت قوتها الاقتصادية أكثر من غنى شعوبها وفق استراتيجية الجغرافية البشرية الاستراتيجية، ويرجع لكبر حجم مواردها الاقتصادية مماكان كبر ناتجها الإقتصادي مقابل حجم السكان نسبة لبساطة حوجة السكان.

كان ملوك سنار كريمون يعطون الذهب بالمكيال والرقيق بالجنزير، وكانوا ملوكها يجمعون الزكاة والفطرة، والعشور على حسب ما يفرضها الشرع الاسلامي⁽⁴²⁾.

كان مالك الأرض يدفع أنواع مختلفة من الزكاة والضرائب للسلطان وأحكام الإقليم وقد كان هذا عادة متبعة في كل المناطق، تشكل الزراعة الأقتصاد الأساسي للمملكة السنارية لذلك أهتمت بخطة استراتيجية للزراعة مطري ونيلى، النيل ضيق وكذلك قصور وسائل الري والنطاق الريفي بعيد عن نهر النيل في المناطق التي تسمح الأمطار بإستقرار فردي يعتمد على الزراعة الموسمية، وتربية الحيوانات المنزلية، ونطاق بدوي في المناطق ضعيفة الأمطار، وبسبب الإزدهار التجاري في النصف الثاني من عمرها أخذوا التجار يدخلون في العمليات الزراعية نحو الاقتصاد النقدي، كانت التجارة مع مصر والجزيرة العربية، والهند، والصين وشرق وغرب وشمال أفريقيا، ويتدفق عليها ضرائب كثيرة من مرور التجارة؛ أدى إلى عملية التبادل التجاري بوفرة الإنتاج التي تتوقف على تبادل المنتجات وظهور الأسواق التي لها إتصال عبر طرق النقل بمدينة سنار كما ذكرها الرحالة، والانفتاح على العالم الخارجي. سنار عاصمة الفونج وملتقى الحضارة، والقوافل الحبشية، ودار فور، وفزان ثم تتجه القوافل منها إلى سواكن، كما ترتبط بأسواق بربر، وشندي، والتاكا وقد ذكر الرحالة أن مدينة شندي سوقاً رابحاً لتجارة الرقيق، ومركزاً حيويًا للتجار ووكلائهم تأتيها القوافل التجارية من مصر، ودارفور، وكردفان، وسنار، والحبشة، والمغرب، والجزيرة العربية، فأنعكست الوضعية التجارية على العملات النقدية المتداولة كوسائل للتبادل وجلبها عملات مسكوكة من معادن الذهب، والفضة، والنحاس من فئتي الجنيه والريال أكثر العملات تداولاً⁽⁴³⁾.

إشتهرت سنار بالغنى والثروة وكان التجار يأتونها بالبضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الأحمر، وكان يرد إليها من دنقلا التمر، ومن كردفان التبر، والحديد، والرقيق، ومن فازوغلى، والصعيد الذهب، والعسل، والجلود، والبغال، والسياط، والريش، والسهم، ومن سوق رأس الفيل من بلاد الحبشة على مسافة أربعة أيام من سنار يأتي منها الذهب، والخيل، والرقيق، والبن، والزباد، والعسل، واسبور العاج، وغيرها من حلى النساء، وكانت أهم صادراتها التجارية: الذهب، والرقيق، وسن الفيل والخرتيت، والزباد، والعسل، والجلود، والإبل، وكانت الصادرات أيضا تشمل الصمغ العربي، وريش النعام والروائح، أما الواردات تشمل: البهارات، الصابون، الروائح، السكر، والمنسوجات القطنية الفاخرة⁽⁴⁴⁾.

شكلت عوامل الجغرافية البشرية الاستراتيجية قوة الدولة السياسية مما جعل تيار الهجرة لايتوقف خاصة بظهور الحركة الدينية النشطة في التعليم الديني الذي أولى له السلاطين العناية والإهتمام به مما له الأثر الكبير في إسهاماتهم في استقرار الدولة عبر التعمير المتعدد المتمثل في الخدمات (الخلاوي والمدارس الدينية والمساجد وخدمات المياه والعلاج الشعبي) هذه استراتيجية توازن بين نجاح الدعوة لتخطيط ثقافي، واستقرار للمملكة، وكما أنها تمثل استراتيجية متكاملة بين الإدارة والشعب عبر رجال الدين في إشراك الأمن، والاستقرار، وتوفير أماكن تجمع بين العمل والمعيشة هذا تخصيص يتميز بالاستدامة ويحوي الجميع.

الخاتمة:

أن التاريخ قد صنع الأرضية المناسبة لولادة دولة قوية في سنار، فتيار الهجرة المستمر لعدة قرون أدت إلى عملية التزاوج والتصاهر مع السكان الأصليين الذي بدوره ساهم في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية تدريجياً حتى غير من ديمغرافية بلاد النوبة، كما دعم الشركين في الحكم عمارة دنقس وعبدالله جماع في تكوين أمة ساهمت في بناء الدولة واستقرارها، كما أن الشراكة أعطت الجغرافيا الإستراتيجية للمملكة من موقع، وحجم، وشكل للدولة، ودعمت كليا قوة المملكة وزيادة وزنها السياسي بموقعها المركزي بين العالم الإسلامي في الجزيرة العربية وشمال وغرب أفريقيا وهذا الموقع له دوره قوي تنمية القوة السياسية اقتصادية، وثقافياً في زيادة ثقلها المركزي وأعظم خصائص هذا الموقع الإنفتاح على البحر الأحمر، ومجاورة أهم المناطق الحيوية، وتعظيم المكون الاقتصادي بهذا الموقع المكان الذي يحتل أهمية ومكانة سياسية، وأ عسكرية، وأقتصادية، وأجميعها معاً على المستوى المحلي، أو الإقليمي، أو العالمي.

النتائج:

- توصلت الدراسة إلى أن هنالك عناصر أساسية للجغرافية الاستراتيجية المملكة السنارية ساعدت لقيامها واستمرارها هي:
1. هنالك رؤية استراتيجية تكاد تكون متشابهة للقبائل العربية المهاجرة على بلاد النوبة قبل الالتقاء في مدينة أريجى 1504م لخلق أمة مقيمة بصفة دائمة بغض النظر عن الهجرة من أو إلى الدولة عبر التزاوج والتصاهر، ومن ثم نشر اللغة العربية، والثقافة الإسلامية؛ مما خلق بيئة جغرافية استراتيجية متنوعة، ومتوازنة بعد التحالف ساهمت في بناء مملكة قوية.
 2. الشراكة في حكم المملكة بين الفونج والعبدلاب؛ أدت إلى نشأة دولة متميزة في تحقيق حاجات المجتمع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية وربطها بالعالم الخارجي الاسلامي والعربي بوفق استراتيجية تعتمد على جغرافية المكان الطبيعية، والبشرية.

3. الجغرافية الطبيعية (الموقع والمساحة والشكل) الاستراتيجية ساعدت الحكومة أن تضع خطط استراتيجية فخلقت فيها بيئة جغرافية متوائمة داخلياً، وإقليمياً عبر نظاماً إدارياً مميزاً مكن من بناء دولة قوية، وجعلها دامت أكثر من ثلاثة قرون.
4. موقع الوحدات الإدارية عند مداخل الأنهار ساهم في حماية الدولة من تغول الأعداء للداخل.
5. الحجم والشكل وموقع صناعة القرار في الوسط ساعد في تأمين العمل القومي بسهولة ويسر على الرغم من طول حدودها لم يتمكن العدو من السيطرة عليها كما حصل في الحرب الحبشية الأولى والثانية.
6. كبر مساحة المملكة السنارية التي تحدها حدود متعارف عليها ساعدت على الاستقرار وهذه المساحة الممتدة تتنوع فيها المناخ والتربة ساهم في تنوع الإنتاج الذي أدى إلى بناء اقتصادي قوياً كان شكله في هذه الفترة ولكن هذه المساحة الواسعة عكست عدم الإشراف المباشرة عندما ضعفت المملكة كما ظهرت الحركات الانفصالية في القسم الشمالي منها إلى أن سقطت في يد الأتراك 1821م.
7. نظام النقل البري مرتبط بالعاصمة وبقيّة المدن ساهم في التجارة والأدارة كما أدت طرق الحركة داخل أراضي المملكة السنارية إلى ربط مدن الدولة وتماسكها.

التوصيات :

1. إجراء المزيد من الدراسات في الدراسات الاستراتيجية التي ساهمت في بناء مملكة قوية مثل (الإدارة الاستراتيجية والجغرافية العسكرية والتخطيط الإستراتيجي...).
2. إجراء المزيد من الدراسات من وثائق التملك في كيفية التخطيط لأرض المرعى وأرض الزراعة وأرض البور التي راعت فيها المملكة السنارية الزراعة المختلطة والدورة الزراعية في فترة لا توجد فيها تقنية وضعت فيها استراتيجية جنب صراع الموارد بين الرعاة والمزارعين، والتي هي من أكبر المشاكل التي تهدد الأمن القومي اليوم.
3. لا بد من إجراء المزيد من البحوث للبحث عن الخدمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمراكز عمران وقيادات الوحدات الإدارية الهامشية على طول الحدود الطويلة التي ساهمت في إستقرار الدولة ثلاثة قرون وعدم تغول دول الجوار على إقطاع جزء من الحدود خاصة الحدود الشرقية التي تجاوز أقوى دولة ذات حكومة منظمة منذ القدم.

المصادر و المراجع:

- (1) صافي، عدنان(1999): الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، منشورات مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن.ص84.
- (2) بيير، سيلريية (1988): الجغرافيا السياسية والجغرافيا الإستراتيجية، ترجمة أحمد عبد الكريم، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق. 87.
- (3) حضرة، صديق أحمد(ب،ت): العرب – التاريخ الجزور(-1798 1918)، الجزء الأول، أنساب أهل السودان من مملكة أم درمان545م وحتى سقوط المملكة، تصدير عون الشريف قاسم، تقديم محمد محبوب حضرة، الخرطوم . ص(196).
- (4) شيقير، نعوم(1981): تاريخ السودان، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل بيروت. ص73
- (5) محي الدين، محمد صالح(1973):مملكة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية، 1504-1821م، الدار السودانية للكتب،الخرطوم.ص78.
- (6) المرجع نفسه، ص(91).
- (7) الضيف، شوقي(1995):عصر الدول والإمارات، الجزائر(المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)، دار المعارف، القاهرة . ص621
- (8) حسن ،يوسف فضل(2002): مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي1450-1821م، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، ط2، 2002م.ص(24)
- (9) محي الدين،محمد صالح، مرجع سابق ،،ص78.
- (10) مسعد،مصطفى محمد(2011م):الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، دار المصورات للنشر، الخرطوم .ص200.
- (11) حسن ،يوسف فضل،مرجع سابق ،ص24.
- (12) محي الدين،محمد صالح، مرجع سابق ،،ص92.
- (13) من الله، شيخ الدين يوسف(2012): الرفاعيون الأشراف في السودان، المكتبة الوطنية، الخرطوم.ص(227)
- (14) حضرة، صديق أحمد(ب،ت)، مرجع سابق ،ص(209).
- (15) طه، فدوى عبد الرحمن علي(2004): أستاذ الأجيال عبد الرحمن علي-1901 1969م بين التعليم والسياسة وأرجي، دار جامعة الخرطوم للنشر،الخرطوم.ص417.
- (16) حضرة، صديق أحمد(ب،ت)، مرجع سابق ، ص196.
- (17) شيقير، نعوم(1981)، مرجع سابق ،ص98.
- (18) عثمان، تاج السر(2004):ملحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعي(-1504 1823)،مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية،الخرطوم. ص5.
- (19) آدم، أحمد عبدالله(2011): قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش، شركة طابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم. ص51
- (20) شيقير، نعوم، مرجع سابق ،ص100.

- (21) آدم، أحمد عبدالله، مرجع سابق ، ص52.
- (22) مسعد،مصطفى محمد، مرجع سابق ،ص143.
- (23) حسين،أحمد الياس وآخرون(2013): سواكن الحضارة والتفاعلات العالمية،سلسلة ال100كتاب في الثقافة السودانية، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، المكتبة الوطنية، الخرطوم .ص109.
- (24) شببكية،مكي(1991):السودان عبر القرون ، دار الجيل، بيروت.ص79
- (25) سعيد، عبد المنعم(1987): العرب ودول الجوار،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان. ص39.
- (26) المرجع نفسه، ص53.
- (27) شببكية،مكي(1991)، مرجع سابق، ص70.
- (28) مكي شببكية (1964) ، مرجع سابق ، ص25.
- (29) رياض، محمد(2012): الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة. ص91.
- (30) مصيلحي،فتحي محمد(1992): خريطة القوى السياسية وتخطيط الأمن القومي بالشرق الأوسط والمنطقة العربية، جامعة المنوفية ،مصر، ص20
- (31) الزين، قيصر موسي(1998): فتره انتشار الاسلام والسلطنات (641-1821) مركز محمد بشير للدراسات السودانية، جامعة امدرمان الاهلية.ص51.
- (32) المرجع نفسه ، ص72.
- (33) مصيلحي،فتحي محمد ،مرجع سابق ص26.
- (34) شببكية،مكي(1991)، مرجع سابق ،ص83.
- (35) المرجع نفسه، ص83
- (36) ابوعلي، احمد بن الحاج(1961):مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية. تحقيق الشاطر بصيلي عبدالجليل، القاهرة. ص22.
- (37) الزين، قيصر موسي ÷مرجع سابق ،،ص51.
- (38) شيقير، نعوم، مرجع سابق ،ص104.
- (39) المرجع نفسه،ص109.
- (40) رياض، محمد(2012)،مرجع سابق ، ص95.
- (41) عثمان،تاج السرمرجعسابق،ص19.
- (42) الزين، قيصر موسي، مرجع سابق.ص73
- (43) حسين،أحمد الياس وآخرون، مرجع سابق ،ص206.
- (44) شيقير، نعوم، مرجع سابق ، ص127.

الاتفاقية الدفاعية الأمريكية الإيرانية 1959م

(دراسة تحليلية)

باحث

أ.عبد الوهاب ریح خلف

أستاذ مشارك - قسم الجغرافية والتاريخ - كلية التربية
جامعة الجزيرة

د. د. أحمد عبد الله محمد آدم

مستخلص:

يعتبر الموقع المهم الذي تتمتع به دولة إيران من العوامل التي جعلتها محطاً اهتمام الدول الاستعمارية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي خرجت من عزلتها بعد الحرب العالمية الثانية لتجد نفسها قد أصبحت قد تبوّأت مكان بريطانيا في السيطرة على منطقة الشرق الأوسط في ظل الحرب الباردة التي بدأت تطل برأسها بين المعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي، تهدف الدراسة لبيان الأهمية الاستراتيجية لإيران للدول الاستعمارية، الوقوف على الاتفاقية الدفاعية التي وقّعت بينها وبين الولايات المتحدة عام 1959م والدوافع التي قادت لتوقيعها، توضيح الآثار والنتائج التي ترتبت على توقيع هذه الاتفاقية على المستويين الداخلي والخارجي، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي، توصلت الدراسة لعدة نتائج من أهمها: أن منطقة الشرق الأوسط بما فيها إيران كانت محط أنظار ومطامع الدول الاستعمارية العظمى لفترات طويلة بحكم ما تتمتع به من إمكانيات مختلفة، نتيجة لظهور بوادر التغلغل السوفيتي في المنطقة فقد سعت الولايات المتحدة لقطع الطريق عليها من خلال إقامة الأحلاف العسكرية والاقتصادية مثل حلف بغداد عام 1955م، للتفكك الذي أصاب حلف بغداد سعت الولايات المتحدة لعقد اتفاقية الدفاع بينها وإيران لإيقاف التدخل السوفيتي في إيران، ترك توقيع هذه الاتفاقية آثاره العظيمة الأثر على إيران من خلال تدفق المعونات العسكرية والاقتصادية والتي قادت لأن يحكم الشاه محمد رضا بهلوي على مقاليد الحكم فيها ليصبح الحامي للمصالح الأمريكية في المنطقة كلها، توصي الدراسة بالوقوف على الاتفاقيات المماثلة والتي عقدتها الولايات المتحدة مع دول أخرى لبيان الدور الذي قامت به في تدعيم النفوذ الأمريكي في تلك المناطق.

Abstract

The important location of Iran is one of the factors that made it the focus of the colonial countries, especially the United States of America, which emerged from its isolation after the Second World War to find itself assuming the place of Britain in controlling the Middle East in the light of the cold war that began to appear in its head between the communist eastern and capitalist western camps. The study aims to manifest the strategic importance of Iran to the colonial countries, to stand on the defense agreement that was signed between it and the United States in 1959 and the motives that led to its signing, to explain the effects and consequences of signing this agreement at the internal and external levels, the study followed the Historical and descriptive method. The study reached to a number of results, the most important are: That the Middle East region, including Iran, was the focus of attention and ambitions of the great colonial powers for long periods due to its different capabilities, as a result of the emergence of signs of Soviet penetration in the region, the United States sought to block it through Establishing military and economic alliances, such as the Baghdad Pact in 1955, as the result to the disintegration of the Baghdad Pact, The United States sought to make a defense agreement between it and Iran to cease the Soviet intervention in Iran. The signing of this agreement left its great impact on Iran through the flow of military and economic aid, which led to Shah Mohamed Reza Pahlavi's rule

over it to become the protector of American interests in the whole region. The study recommends reviewing similar agreements made by the United States with other countries to explain the role it played in supporting American influence in those areas.

مقدمة:

يُعد الموقع الجغرافي الجيوسراتيجي الذي تتمتع به إيران على المستوى الاقليمي والدولي وأشرفها على المسطحات المائية المهمة، بالإضافة لاكتشاف النفط بكميات هائلة بها من الاسباب المهمة التي جعلت إيران محط أنظار الدول الاستعمارية حتى اصبحت ميداناً من ميادين التنافس بين الشرق والغرب ومن ذلك اندفاع الولايات المتحدة الأمريكية الى المنطقة لتتزعّم المعسكر الغربي في اطار مسعاها لنشر افكارها وأيديولوجيتها، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية برزت على السياسة الدولية مجموعة من المتغيرات فرضت على الولايات المتحدة الأمريكية اتباع سياسة مختلفة تجاه إيران، ففي ظل الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي أصبح الاهتمام بإيران مصلحة قومية للولايات المتحدة الأمريكية وعلى هذا الأساس اعتمدت في سياستها على دعم إيران وتقويتها من أجل اخراج القوات الأجنبية المتواجدة على اراضيها، وتنفيذ سياسة الاحتواء، وكان الدور الأمريكي في إيران واضحاً من خلال السعي لتفكيك الاحتكار البريطاني لنفط إيران، فأدخلت إيران في مجالها الحيوي بعد الاطاحة بحكومة الدكتور محمد مصدق (1951م-1953م) مما أعطاهها فرصة للتغلغل أكثر عبر شركاتها النفطية في البلاد، وما أن جاء عام 1955م حتى انضمت إيران إلى حلف بغداد كجزء من خطة وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس لاحتواء ما أسماه بالنفوذ والتهديد السوفيتي في المنطقة، فضلاً عن عقدها الاتفاقية الثنائية في 6 مارس 1959م بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران بعد انسحاب العراق من الحلف المذكور على إثر قيام ثورة 14 يوليو 1958م، هذا وقد اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية على عدة وسائل عبر تلك الاتفاقية لتعزيز نفوذها في إيران وذلك من خلال تقديم المساعدات المالية والاقتصادية بدون أي مقابل والقروض ذات الأرباح المتفاوتة محاولة منها لمساعدة إيران لحل العديد من مشكلاتها الداخلية والنهوض بالواقع الاقتصادي، ومطالبها لتقوية الجيش للحفاظ على الامن الداخلي والسلطة، وصدّ أي اعتداء خارجي متوقع من قبل الاتحاد السوفيتي، ومن أجل توضيح الصورة الحقيقية حول هذا الجانب تأتي هذه الدراسة التي تحمل عنوان (الاتفاقية الدفاعية الأمريكية الإيرانية إيران 1959م دراسة تحليلية)

الظروف التي دعت إلى عقد الاتفاقية:

شكّلت منطقة الشرق الأوسط بثرواتها وموقعها الاستراتيجي مركزاً حساساً لجذب انظار المخططين الاستعماريين، خاصة بعد خروج الولايات المتحدة الأمريكية من عزلتها وظهور الاتحاد السوفيتي كقوة عملاقة بعد اضمحلال القوة الاقتصادية لبريطانيا وفرنسا والمانيا⁽¹⁾، إذ ازدادت حدة التوتر خلال خمسينيات القرن العشرين، وبرزت سلسلة محاولات أمريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (1939-1945) لربط دول المنطقة بمصالحها الاستعمارية الجديدة⁽²⁾، بعد أن أتضحت معالم الأهمية الاستراتيجية لإيران لتحقيق مصالحها المختلفة، وبالمقابل فإن الدول الكبرى وجهّت هي الأخرى أنظارها إلى إيران بسبب موقعها على الخليج العربي (مضيق هرمز) وأشرفها على عدة دول (أذربيجان وتركمانستان وتركيا والعراق) وامتلاكها لكميات هائلة من النفط الخام الذي اعطاها أولوية اهتمامات المستعمرين، وخاصة بعد التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي في اطار الحرب الباردة التي تنافس فيها الطرفين من أجل السيطرة على دول المنطقة ولاسيما إيران مستغلّتين تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها⁽³⁾.

إن اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بإيران بدأ بالتصاعد والظهور بعد ضعف الدور البريطاني⁽⁴⁾، فعملت على تطوير علاقاتها من خلال استقطاب الدول العربية المستقلة حديثاً لعقد الأحلاف والمشاريع الأمريكية باسم محاربة الشيوعية لتكون حاجزاً فعالاً أمام قوة المعسكر الاشتراكي، وصنع جسر امبريالي يضمن منع الوحدة العربية ويعرقل النمو الاقتصادي والاجتماعي⁽⁵⁾، ولمنع الصراعات المحتملة وعدم فسح المجال أمام النفوذ السوفيتي القادم من الشمال وحماية نفط الخليج العربي في الحرب الباردة من أجل عدم وصوله إلى المياه الدافئة والحفاظ على مصالحها واستمرارية تدفق النفط لها ولحلفائها، الأمر الذي جعل إيران تقع في احضان السياسة الأمريكية، وخلال زيارة الشاه محمد رضا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في 15 نوفمبر عام 1949م زادت حدة التوتر بين الجانبين الإيراني والسوفيتي، فجاء تصريح على لسان صحيفة أزفستيا في عددها الصادر 3 مارس 1950م أن إيران أصبحت ضمن دائرة النفوذ التي تمارسه الاحتكارات الأمريكية التي تحاول السيطرة على العالم أجمع عن طريق سياسة الاحلاف العسكرية وتطويق الاتحاد السوفيتي، دون أن تعير أدنى اهتمام إلى مصالح الشرق الأوسط سوى تحقيق خططها العدوانية واحكام السيطرة وتنفيذ مخططاتها من أجل التغلغل في إيران عن طريق دعم نظام الشاه محمد رضا كونه حليفاً للولايات المتحدة الأمريكية⁽⁶⁾،

وخاصة بعد أن تمت الاطاحة بنظام مصدق عام 1953م وتعيين فضل الله زاهدي⁽⁷⁾ الموالي للحكومة الأمريكية والذي يعتبر من أعداء بريطانيا، الأمر الذي ساعد إيران على اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية لها من خلال الدعم الاقتصادي والعسكري عن طريق المساعدات المقدمة إلى الشاه وفتح الابواب لقيادة التحالفات الدفاعية ضد الشيوعية وتشجيع دول المنطقة للانضمام إليها وخاصة إيران ومنها اتفاقية الدفاع المشترك ومن ثم حلف بغداد 1955م، ومبدأ أيزنهاور 1957م، إضافة إلى الجهاز الذي أسسته الولايات المتحدة الأمريكية والذي اطلق عليه السافاك (جهاز المخابرات الإيراني) لمساندة الشاه ومراقبة التحركات الشيوعية السوفيتية لها في المنطقة⁽⁸⁾.

كان من أهم الاهداف التي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيقها السيطرة على منابع النفط والطرق والممرات البحرية والجوية عبر القارات لتحقيق سيادتها على المواقع الاستراتيجية من أجل توفير الحماية لإسرائيل باعتبارها من أهم اولوياتها لخدمة مصالحها والاهداف في المنطقة⁽⁹⁾، وكانت المساعدات الاقتصادية المشروطة خير وسيلة لترسيخ النفوذ الامريكى⁽¹⁰⁾، وهكذا أسست الجمعية الإيرانية الأمريكية في كرمنشاه بتاريخ 28 مايو عام 1957م من أجل تعزيز اواصر الصداقة والعدالة بين البلدين وتشجيع الطلاب الراغبين بالسفر للدراسة والاطلاع على طرق المعيشة والتقدم الصناعي والتجاري الذي تشهده الولايات المتحدة الأمريكية⁽¹¹⁾، وأكدت من جانبها على أقامه علاقات صداقة مبنية على المودة بين الطرفين، فأخذت الجانب الاقتصادي والنهوض بواقعة الذي يشكو من التردّي بتشجيع التجار والاستثمارات ذات المنفعة المتبادلة من تصدير واستيراد البضائع بين البلدين، وأن يحق لهم الدخول إلى الاراضي الإيرانية بدون قيد أو شرط لغرض توجيهه وتطوير المؤسسات الصناعية والاقتصادية وجذب رؤوس الأموال لإيران⁽¹²⁾.

تلقت رسالة الرئيس الأمريكي أيزنهاور في عام 1957م والتي سميت بـ(ملء الفراغ) حول سياسته الجديدة ترحيباً كبيراً من الصحافة والرأي العام الإيرانيين من أعضاء مجلس النواب والسيوخ الإيراني، فمعظمهم رحبوا بأن تكون فاتحة عهد جديد لاستقرار الوضع في البلاد، وتحسين الأحوال الاقتصادية فيها، وما سيكون له من أثر كبير في دفع الهجوم الشيوعي، وتصدر الولايات المتحدة الأمريكية الساحة لاسيما مركز أقطار الشرق الأوسط الاستراتيجي، للحفاظ على حقول النفط الغنية في هذه الدول، التي لولاها لتوقف العمل في حقل الصناعات في أوروبا وانهارت حياتها الاقتصادية⁽¹³⁾.

حصلت الولايات المتحدة الأمريكية على حق استغلال رواسب النفط

في المياه للشاطئ الإيراني في الخليج العربي، من مجلس النواب الإيراني في جلسته المنعقدة في أوائل مايو 1958م على مشروع قرار يقضي بالمصادقة على اتفاقية النفط الإيرانية، التي ستقوم بموجبها شركة ستاندر - أويل الأمريكية بالتقيب، ونصت على حصول إيران على 75% من الواردات، وتحصل الشركة على 25 %، كما نصت على أن تدفع الشركة لإيران مبلغ (25) مليون دولار بعد (30) يوماً من موافقة المجلس الإيراني على مشروع القانون⁽¹⁴⁾.

أخذت العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية مع الولايات المتحدة تتعزز ففي ديسمبر من عام 195م طالبت إيران بتقديم المساعدة لها في حال تعرضها إلى هجوم خارجي، كما طالبت بمعونة عسكرية واقتصادية عاجلة لها، وتماشياً مع مصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، وقد صرحت الولايات المتحدة الأمريكية بأنها ستقوم باتخاذ كافة الإجراءات العسكرية الضرورية بما يضمن سلامة إيران وأمنها⁽¹⁵⁾.

وضمن الإطار نفسه تمّ عقد اتفاقية ثنائية سرية بين الدولتين بعد زيادة وزير الدفاع الأمريكي ماكلروي إلى إيران تضمنت إنشاء قاعدتين عسكريتين للصواريخ وقاعدة بحرية في الأراضي الإيرانية بعد أن تم القضاء على حلف بغداد⁽¹⁶⁾، وصرح عنها الرئيس الأمريكي ايزنهاور الذي أستهل عمله بزيارة إلى إيران في ديسمبر 1959م، مبدياً إعجابه بالموقف الجريء الذي اتخذته شاه إيران بوجه ما يسمى الضغط الخارجي، وقصد به ما أحدثه حزب توده الشيوعي، وانقلاب 14 يوليو في بغداد عام 1958م⁽¹⁷⁾، الذي أصاب الشاه بقلق شديد وأحسّ بخطر رياح التغيير تقترب من حكمه، على إثر قيام التظاهرات الحاشدة في العراق مقابل السفارة الإيرانية في بغداد، ودخول عدد من الأفراد إلى السفارة وأحرقوا صور الشاه والعلم الإيراني، وتم اعتقال مجموعة من الإيرانيين المقيمين في العراق الذي دفع الشاه إلى طلب يد العون من الولايات المتحدة الأمريكية خوفاً على أن يتحول المشهد إلى بلده من هذه الاحداث التي عصفت بالمنطقة⁽¹⁸⁾.

كان تصور الشاه للموقف في محله، فقد تدهورت العلاقات الإيرانية العراقية على إثر قيام الثورة العراقية، فخرجت تظاهرات حاشدة في إيران كانت تندد بسقوط الشاه وتنحية عن الحكومة، وبمبادرة من إيران في ديسمبر 1958م إلى فبراير 1959م جرت مفاوضات حول معاهدة دفاعية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران وعدم اعتداء لمدة 20 عاماً بين البلدين، وقّعت الدولتين على اتفاقهما العسكري الثنائي في 3 مارس 1959م والتي سمح بموجبها للقوات الأمريكية بدخول الأراضي الإيرانية لإيقاف نفوذ الاتحاد السوفيتي، وتعهدت

الولايات المتحدة الأمريكية بموجب هذا الاتفاق باستخدام صلاحياتها وقواتها المسلحة إذا دعت الحاجة لصد أي هجوم يقع على دول أو مجموعة دول من الشرق الاوسط تقوم به دولة شيوعية، مع استمرارها بتقديم المساعدات والدعم العسكري والاقتصادي لإيران، والتي وصلت إلى (200, 000) مليار دولار سنوياً وفقاً للأهداف الرامية لتطوير الاقتصاد الإيراني، والحفاظ على الوحدة الوطنية الإيرانية⁽¹⁹⁾.

وفيما يلي المستجدات والأسباب السياسية والمباحثات التي سبقت الاتفاقية في كل من البلدين:

1/ الأسباب والدوافع التي أدت إلى عقد الاتفاقية الثنائية:

هنالك عدة أسباب ودوافع حدثت بالبلدين لعقد هذه الاتفاقية والتي من بينها :

أولاً. قيام الثورة العراقية 14 تموز 1958م^(20*): مما عمق من أزمة الشاه على نحو مقلق نشوب الثورة العراقية في 14 يوليو 1958م، بقيادة عبد الكريم قاسم^(21*)، فضلاً عن مخاوفه من جارتها أفغانستان ذات الطبيعة الجبلية التي يصعب اقتحامها خاصة بعد أن زودها الاتحاد السوفيتي بالأسلحة والمعدات الحربية في السنوات⁽²²⁾، مما تسببت في توتر كبير للشاه محمد رضا دفعه إلى طلب المزيد من المساعدات العسكرية والاقتصادية لإيران من الولايات المتحدة الأمريكية⁽²³⁾، لاسيما وأنه أصبح على قناعة بأن حلف بغداد لا يؤمن الحماية للأنظمة الحاكمة، وأن العراق اسحب منه وانتهج سياسة جديدة تجاه الاتحاد السوفيتي فضلاً عن تزايد النفوذ السوفيتي في المنطقة، مما جعل الشاه يقلق على نظام حكمه أكثر من أي وقت مضى⁽²⁴⁾. وصرح أيزنهاور في 16 يوليو 1958م بأن الوضع الإقليمي الجديد يفرض ضرورة حصول إيران على المساعدات العسكرية، وقد استجابت الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة لما طلبه الرئيس أيزنهاور، فقدمت المساعدات لربط إيران بقوة بحلف يؤمن الحزام الشمالي للشرق الأوسط وتعزيز نظام الشاه خاصة بعد قيامه بالإصلاحات التي تصب في مصلحتها، للوقوف بوجه التطلعات السوفيتية⁽²⁵⁾، فكانت الثورة العراقية من بين أبرز الأسباب التي دفعت الدولتين إلى توقيع اتفاقية الدفاع في 5 مارس، 1959م⁽²⁶⁾.

ثانياً. الدعم الأمريكي وتمكين الشاه في السلطة: عاد الشاه منتصراً إلى إيران بعد الانقلاب على مصدق، وتابع خطاه لبناء الدكتاتورية التي خطط لها بدعم وأسناد الولايات المتحدة الأمريكية في إعادة بناء حكومته بمساعدة العائدات النفطية المتزايدة، لاسيما وأن الولايات المتحدة الأمريكية في إيران كانت تهدف إلى الحفاظ على السلطة كعميل في المنطقة لضمان مواجهة التهديد السوفيتي، وفي 15 ديسمبر 1958م في خطاب ألقاه الرئيس الأمريكي أيزنهاور شجع الحكومة الإيرانية على الشروع في الإصلاحات

لتمكين الشاه من تأمين احتياجاته لتحقيق الاستقرار في البلاد، إلا أن الشاه أشار إلى نقطة مهمة مفادها أن القوة العسكرية وحدها لا يمكن أن تساعد في ظل التهديدات والدعاية السوفيتية والازمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد⁽²⁷⁾، لذا أرسل الرئيس الأمريكي أيزنهاور رسالة إلى الشاه عبر فيها عن أعجابه به وأنه الوحيد الجدير واللائق لإدارة سياسة إيران في الوضع الراهن وأن الولايات المتحدة الأمريكية ستمنح إيران أقصى ما يمكن تقديمه من المساعدات العسكرية، والتي بدورها ستؤدي إلى استقرار عرش الشاه وإعادة تنظيم الجيش وتسليحه بالأسلحة الحديثة⁽²⁸⁾.

ثالثاً. الابتزاز الإيراني للولايات المتحدة الأمريكية: واصل الشاه محمد رضا منذ مجيئه إلى السلطة في إيران الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية من أجل الحصول على المزيد من المساعدات العسكرية والمالية، إلا أن تجاهل أيزنهاور لطلبات الشاه، والتي أثارت القلق في واشنطن جعلت الشاه يستخدم تكتيكاً جديداً في سياسته مع الحكومة الأمريكية قائماً على الابتزاز والضغط عليها من خلال إعادة النظر في علاقاته مع الكتلة الشرقية، وبالفعل اصدرت رئاسة الديوان الملكي الإيراني في 3 أكتوبر عام 1955م البلاغ الرسمي عن الدعوة التي تلقاها جلاله الشاه لزيارة موسكو رغبة في تعزيز الصلات الحسنة القائمة بين الحكومة الإيرانية والحكومة السوفيتية، فتم قبول الدعوة من قبل الشاه والملكة ثريا بهلوي بكل سرور، فجاء تعليق لجريدة اطلاعات بأن هذه الزيارة دليل بارز على توثيق او اصر الصلات الودية بين الجانبين⁽²⁹⁾، الأمر الذي ازعج وزارة الخارجية الأمريكية، إذ وردت تقارير متكررة عن تهديدات الشاه في المراسلات الدبلوماسية من طهران إلى واشنطن، وفي 30 يناير 1959م، وجّه أيزنهاور إلى الشاه أن طلباته العسكرية قد اختلفت بشكل كبير عن الطلبات التي قدمتها واشنطن في خطة الموازنة، وأضاف أنه من غير المتوقع أن تنشأ خلافات بينه وبين الشاه، وأن اتخاذه خطوة كهذه من شأنها أن تعرّض أمن إيران للخطر⁽³⁰⁾، وردّ الشاه محمد رضا على ذلك بأن اتصالاته مع الاتحاد السوفيتي جاءت كردّ فعل على السياسة الأمريكية ازاء إيران والتي مارست خلالها الضغوط عليها لتجعلها تسير طبقاً لتوجهاتها، طالما أنها لم تقم بتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الكافية للحكومة الإيرانية التي تبحث عن مصالحها الخاصة⁽³¹⁾.

المباحثات التي سبقت الاتفاقية:

لقد أجرى الرئيس الأمريكي أيزنهاور في 16 يوليو 1958م اتصالاً مع وزير الخارجية جون فوستر دالاس، أخبره بأنه يشعر بضرورة زيادة المساعدات العسكرية والاقتصادية لإيران، وفي 19 يوليو 1958م أرسل هو الآخر رسالة إلى الشاه أشار فيها إلى أن حكومته تشعر بالقلق إزاء التطورات الأخيرة في العراق، والأثر الذي قد يترتب على تلك التطورات وعلى بعض جوانب تخطيط الأمن

الجماعي التي كانت قائمة من خلال حلف بغداد، فإن حكومته مستعدة لتزويد إيران بما تحتاجه من الاسلحة والمعدات، فضلا عن ارسال مدربين عسكريين أمريكيين إلى إيران من أجل تعزيز القوة العسكرية الإيرانية، مؤكداً في الوقت نفسه على أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح للأحداث الأخيرة في العراق بتقويض الترتيبات الأمنية المشتركة مع إيران، وأن هدفها هو مساعدة الأخيرة في تحقيق أقصى غايات استقلالها السياسي⁽³²⁾. وفي 20 يوليو 1958م أبدى الشاه ارتياحه أثناء لقائه بالسفير الأمريكي هارولد ويلسون (1916-1995م) - إن أكد الأخير أن حكومته شعرت بخطورة الوضع في العراق وتداعياته وانعكاساته على دول المنطقة وعلى الأحلاف الغربية التي اقامتها، مشيراً إلى أنه يرغب بإعادة دراسة مسألة المساعدات العسكرية الأمريكية لبلاده في ضوء المستجدات التي حدثت في المنطقة آنذاك، وبالمقابل أبدى الشاه قلقه من أن تواجد القوات الأمريكية والبريطانية على الأراضي الأردنية واللبنانية قد يعطي الفرصة للحكومة العراقية طلب المساعدة من الاتحاد السوفيتي⁽³³⁾.

في 8 سبتمبر من 1958م تم اللقاء مرة ثانية بين الشاه والسفير الأمريكي، وتم التأكيد فيهما وزارة الخارجية الأمريكية لديها بعضوجهات النظر حول المشاكل الجارية في إيران، وأنها تقترح إجراء بعض الإصلاحات الداخلية لامتناس غضب الجماهير ودفع عجلة التنمية الاقتصادية إلى الامام عن طريق الاصلاحات التي من شأنها تهدئة الشارع، الأمر الذي دفع الشاه إلى الموافقة، موضحاً أنه سيعمل على اتخاذ بعض الاجراءات الوقائية، ويقود حملة لمكافحة الفساد، مع اعطاء الشاه الدعم للميزانية الإيرانية والاسهام في تشكيلات جديدة للجيش، وتخليص إيران من التهديد الذي يمثلهاالاتحادي السوفيتي من جهة الشمال، لاسيما وأن تقارير الاستخبارات الوطنية الأمريكية، قد أكدت على عدم وجود رغبة حقيقية من قبل الشاه لإجراء اصلاحات جوهرية، ومع ذلك فإن وزارة الخارجية الأمريكية كانت تعتقد أن عليها الاستمرار في دعمها للشاه من أجل الوقوف في وجه الحركات الوطنية والقومية المدعومة من جانب الاتحاد السوفيتي⁽³⁴⁾. وفي ظل الحراك الشعبي الذي كانت تشهده إيران، فإنه من المتوقع أن النظام السياسي لا يمكنه الاستمرار طويلاً، ونتيجة للتحديات التي احاطت بدول حلف بغداد اقترح الرئيس الامريكى ايزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس ضرورة عقد اتفاقية ثنائية مع أعضاء الحلف للحفاظ على أمن وسلامة كل دولة في حالة تعرضها لتهديد خارجي، إلا أن هذا لم يكن كافياً أو مقنعاً للشاه، بل ظل يبحث عن أداة ضغط أو أزمة خطيرة تدفع بالإدارة الأمريكية إلى الاستجابة إلى طلباته، إذ كان يريد قرارات أكثر حزماً من

خلال الدعم المالي للميزانية وتكوين منظومة الجيش بالطرق الحديثة التي تضمن جاهزيتها للدفاع عن البلد⁽³⁵⁾. وفي ظل التهديدات السوفيتية لمناطق النفوذ الأمريكي التي كانت تهدف من ورائها الإيقاع بالولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، ففي تصريح لوزير الخارجية جون فوستر دالاس جاء فيه أن... إيران تطالب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بتعهدات واسعة ضد أي عدوان خارجي يقع عليها فعرضنا عليها عقد معاهدة تماشياً مع مبدأ ايزنهاور...⁽³⁶⁾، ومع ذلك قامت الحكومة الأمريكية بدراسة شاملة للموضوع بغية إعادة النظر في سياستها في ضوء التطورات الجارية في المنطقة للوقوف بحزم للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية في المنطقة محفوظة بعيدة عن أيدي الشيوعيين⁽³⁷⁾.

هذا وقد أثار عدم جدية الشاه في تحقيق الإصلاحات قلق بعض صناع القرار السياسي في واشنطن، ففي اجتماع مجلس الأمن القومي الأمريكي الذي عقد في 5 نوفمبر 1958م، اتفق ايزنهاور مع رأي وكيل وزير الخارجية الأمريكية كريستيان هيرتر⁽³⁸⁾ Christian Herter، الداعي إلى أن الإدارة الأمريكية لا يمكنها الضغط أكثر على الشاه من أجل تحقيق الإصلاحات المطلوبة، وعليه فإن مسألة التخلي عنه والبحث عن بديل له أصبح أمر وارداً جداً، وكان رأي جون فوستر دالاس أنه لا يوجد بديل للشاه آنذاك، في حين كان رأي وزير المالية الأمريكي روبرت اندرسون⁽³⁹⁾ أن يتم التعامل مع الشاه وجعله يسير بالاتجاه الصحيح من خلال علاقات الأخير المنتعبة برجال الأعمال الأمريكيين الذين باستطاعتهم حث الشاه على إجراء الإصلاحات دون أن يبدو أنهم أدوات لتنفيذ سياسة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لأنها انزعجت من التقارير حول الموقف الشاه تجاه العلاقات وطرق الابتزاز التي لوح بها الأمريكيان بخصوص موقفه من الاتحاد السوفيتي في حال عدم تقديم المساعدات المالية له، لكنها بنفس الوقت أدركت أن انزعاج الشاه ازاء التطورات الحاصلة في المنطقة كانت سبباً لقلقه، من خلال خيبة أمله في تعزيز موقفه امام غضب الشارع الإيراني، ومع كل ذلك فإن الحكومة الأمريكية لا يمكنها أن تستبعد احتمال اتخاذ الشاه في أطار تفكيره هذه لبعض الإجراءات التي سوف تأسف إليها الولايات المتحدة الأمريكية ويتأسف إليها الشاه نفسه⁽⁴⁰⁾. وصل وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس إلى طهران في 12 نوفمبر 1958م لتدارك الأمور، فأهتمت الحكومة والبرلمان والصحافة بهذه الزيارة معلقة آملاً كبيرة عليها بسبب الصعوبات التي تواجهها الحكومة الإيرانية في ميزانيتها، إلا أن إدارة النقطة الرابعة الأمريكية رفضت دفع أي مبلغ لسد العجز المالي بسبب عدم اتخاذ الحكومة الإيرانية التدابير لإصلاح وضعها المالي⁽⁴¹⁾، فوصلت برقية إلى واشنطن مفادها أن تقوم بتوصيل تعليمات بشأن المساعدة في الميزانية لإيران لدعم الجانب العسكري المتوخى، بينما يجب أن يتم إبلاغ قلق واشنطن العميق بشأن وضع الميزانية العامة وعدم قدرتها على فعل كل شيء، إلا أن

استعدادها رغم تلك الصعوبات الشديدة التي يواجهها الكونغرس مرة أخرى لمساعدة إيران من خلال المساهمة في الميزانية هي دليل فعال على رغبتها في أن تكون مفيدة في محادثاته مع الشاه مؤشراً واضحاً على تعاطف الولايات المتحدة الأمريكية مع الموقف الإيراني المكشوف وتقديره له⁽⁴²⁾. وفي ضوء تقارير مجلس الأمن القومي الأمريكي بشأن السياسة الأمريكية تجاه إيران، أقرّ المجلس في اجتماعه في 15 نوفمبر 1958م بأنه على الرغم من نقاط الضعف في الشاه، إلا أن غياب البديل عنه يجعل دعم النظام الإيراني أفضل أمل لتعزيز مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في إيران، مؤكداً على أن اظهار بعض قادة المعارضة النوايا الحسنة تجاه الحكومات الغربية ليس كافياً لدعمهم، لأنهم لا يمتلكون الدعم الشعبي المطلوب، وإذا ما قدر لأحدهم الوصول إلى السلطة فإنه سيجد نفسه في مواجهة المشكلات نفسها التي يواجهها الشاه، كما أقرّ المجلس بأن الضغط على الشاه يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية من خلال تبني الأخير سياسة موالية للاتحاد السوفيتي، وهو ما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تعيد حساباتها من أجل الحفاظ على توازن دقيق في تعاملها مع الشاه⁽⁴³⁾.

طلبت الحكومة الإيرانية من نظيرتها الأمريكية تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية إليها، إلا أن عدم إجراء الشاه الإصلاحات الضرورية في إيران، جعل الحكومة الأمريكية تتجاهل تلك الطلبات، إذ أهملت الأخيرة طلب الحكومة الإيرانية برفع حجم المساعدات الاقتصادية الأمريكية إليها من (75) مليون دولار إلى (100) مليون دولار، وقد امتعضت الحكومة الإيرانية بسبب رفض الحكومة الأمريكية دعم أكثر من فرقة واحدة من الفرق العسكرية الإيرانية الخمس المتواجدة في خراسان، في حين رفض صندوق التنمية الأمريكي عقد مفاوضات مع الحكومة الإيرانية من أجل حصول الأخيرة على قرض مالي بقيمة 75 مليون دولار⁽⁴⁴⁾.

كان للسياسة الجديدة التي اتخذتها الحكومة الأمريكية تجاه إيران أثرها في إدراك الشاه أن عليه أن يتعامل بطريقة مختلفة عما سبقها لتحقيق رغباته عن طريق الضغط بالطلبات، إذ بدأ يرسل اشارات إلى السفارة الأمريكية في طهران إلى حكومة واشنطن مفادها أنه في ضوء تجاهل ومماطلة الولايات المتحدة الأمريكية في تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لحاجة النظام الإيراني إليها، سوف تقوم الحكومة الإيرانية بإعادة النظر في علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي، وهو الأمر الذي دق ناقوس الخطر عند الساسة الأمريكيين، واستغل الشاه الصراع الدائر بين المعسكرين الشرقي والغربي في تحقيق مكاسبه والخروج من الوضع الاقتصادي المتردي الذي تشهده حكومته آنذاك⁽⁴⁵⁾. وفي ظل الفتور الذي اصاب العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران نهاية عام 1958م، أدرك الشاه أن عليه أن يبحث عن طريق للامساك بزمام الأمور في مسامحة مع الحكومة الأمريكية، ففي نوفمبر 1959م أجرى اتصالات مباشرة مع الاتحاد السوفيتي لعقد معاهدة عدم اعتداء معهم، وعلى الرغم من إدراك الاتحاد السوفيتي لنوايا الشاه في المناورة على حسابهم، إلا أن الرئيس خروتشوف قرر أن يرسل وفداً لمفاوضة طهران واعطاه تعليمات بأن يعطوا الشاه كل ما

يريده، محاولة منه إلى إزالة التخوفات الإيرانية من النوايا السوفيتية، وإبعاد إيران عن الارتباط بالغرب وتحييد الرأي العام الإيراني لدعم استقلال الدول المستقلة حديثاً ومطامحها الوطنية⁽⁴⁶⁾، إلا أن تلك المفاوضات لم تسفر عن شئبل دفعت الولايات المتحدة الأمريكية بزيادة المساعدات الاقتصادية لإيران ودعم قواتها المسلحة، وسدّ العجز في الميزانية بسحب (13) مليون دولار من صندوق الطوارئ الرئاسي، وبذلك حقق الشاه المناورة التي كان يستخدمها تجاه الحكومة الأمريكية والحصول على الدعم اللامحدود⁽⁴⁷⁾.

في الوقت الذي كانت إيران والولايات المتحدة الأمريكية تتناقشان فيه بشأن الاتفاقية الدفاعية الثنائية جاء الردّ السوفيتي بأن التوقيع على مثل هذه الاتفاقية يقود إيران إلى مزيد من الاعتماد العسكري على الولايات المتحدة الأمريكية، وأن الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يهدد إيران بل يرغب في إقامة علاقات حسن جوار وصدّاقة معها، على عكس ما تقوم به الحكومة الأمريكية وحلفائها، كونه ملتزم بمعاهدة 1927م التي أكدته على مبدأ حسن الجوار، وعلية فإن الاتحاد السوفيتي لن يقف مكتوف الأيدي حيال ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية وإيران على حدوده الجنوبية⁽⁴⁸⁾.

وأشارت إيران إلى رغبتها في التفاوض على اتفاقيات ثنائية جديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من وجود اتفاقيات متنوعة بين البلدين تشمل المساعدات التقنية والاقتصادية والبرامج العسكرية وما إلى ذلك، فقد رأت الولايات المتحدة الأمريكية ضرورة تقديم مساعدات عسكرية واقتصادية إضافية إلى إيران لتحافظ على موقف مفاده أنه لا يمكنها الوفاء بأي من هذه الالتزامات، وأن الاتفاقيات يجب أن تكون ضمن السلطة التشريعية الحالية فيها بما في ذلك قانون الأمن المشترك وقرار الكونغرس المشترك لتعزيز السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، وقد قبلت بلدان المنطقة بموقف الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁴⁹⁾.

في 7 يناير 1959م أعلن صندوق قروض التنمية أنه سيقدّم قرصاً بقيمة (47) مليون دولار لمؤسسة الخطة الإيرانية للمساعدة في تمويل مشاريع التنمية، وقد يكون توقيت هذا القرض مرتبطاً بحقيقة أن الولايات المتحدة لا تريد أن توقع إيران معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي طوال عام 1958م، في حين كانت الحكومة الإيرانية تطالب باستمرار للحصول على قرض من صندوق قروض التنمية ولكن دون جدوى، بحيث كانت الولايات المتحدة قلقة بالفعل بشأن الخطوة التالية التي سيقوم بها الشاه وحكومته⁽⁵⁰⁾.

إلا أنه في الجلسة رقم 394 لمجلس الأمن القومي في 22 يناير 1959م، أطلع مدير المخابرات المركزية ألن دالاس والمجلس على التطورات العالمية التي ستؤثر على الأمن الأمريكي وفقاً لمذكرة مناقشة أعدها شركة Gleason في 22 يناير 1959م، حيث أشار إلى أن حكومة إيران كانت تخبر الحكومة الأمريكية

وحكومات الدول الأخرى أن إيران تدرس إعادة تقييم سياستها الوطنية، قد تكون هذه التصريحات أولية لوضع الإيرانيين في موقف أقوى في الاجتماع المقبل لحلفاء حلف بغداد، إلا أن الشاه قد اشتكى من أنه شعر بالخيبة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في الأسابيع الأخيرة، وحتى أنه يقال أنه كان يفكر في إبرام معاهدة عدم اعتداء لمدة (50) عاماً مع الاتحاد السوفيتي كون الاتحاد السوفيتي عرض مثل هذا الاتفاق إذا رفضت إيران التوقيع على الاتفاقية الثنائية المقترحة مع الولايات المتحدة الأمريكية هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد اعربت الحكومة الإيرانية عن قلقها البالغ إزاء نمو النفوذ الشيوعي في العراق خشية أن يكون على وشك أن يصبح قاعدة لأنشطة حزب توده الشيوعي المصمم ضد النظام الإيراني⁽⁵¹⁾.

تحدث السيد ألن دالاس عن ميثاق عدم الاعتداء المقترح بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران على وجه الخصوص فيما يتعلق باجتماع حلف بغداد المقبل في الواقع يرتبط ميثاق عدم الاعتداء المقترح بعلاقة أوثق بالمفاوضات حول اتفاق ثنائي، بالطبع تُعد هذه العلاقات الثنائية سمة طبيعية للعلاقات الأمريكية مع جميع الدول التي تُقدم لها مساعدات عسكرية، موضحاً أنهم قاموا بصياغة المشروع الثنائي مع إيران، لكن الإيرانيين يريدون التزامات من الولايات المتحدة الأمريكية تتجاوز الالتزامات العادية للمعاهدات الثنائية بالإضافة إلى الالتزامات التي أذن بها الكونغرس، على سبيل المثال يتمنون التزاماً منهم بتقديم المساعدة لإيران إذا كان هناك عدوان غير مباشر ضدها من أي مصدر سواء كان شيوعياً أو غير شيوعي⁽⁵²⁾. وبالمقابل وصل الوفد السوفيتي إلى طهران في 29 يناير عام 1959م وفي اليوم نفسه بدأت المفاوضات حول الاتفاقية المقترحة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكان الوفد السوفيتي يطمح في منع إيران من عقد حلف دفاعي مشترك مع الولايات المتحدة الأمريكية، وفي المقابل يلغي الاتحاد السوفيتي البند رقم 6 من اتفاقية عام 1921م⁽⁵³⁾، والتي كانت تنص على أن الجيوش السوفيتية ستجتاح إيران في حالة استخدامها كقاعدة لجيوش خارجية يمكنها تهديد الأمن السوفيتي⁽⁵⁴⁾. وصلت رسالة من الرئيس إيزنهاور إلى محمد رضا شاه يحذره فيها أنه إذا تم التوصل إلى عقد دفاعي مع الحكومة السوفيتية سيتم منع أي مساعدات عسكرية ومالية لإيران، مما جعل الحكومة الإيرانية ترفض مقترحات الحكومة السوفيتية بسبب الضغوط الأمريكية عليها⁽⁵⁵⁾. وجاء بعدها خطاب الرئيس إيزنهاور الذي أرسله إلى الشاه بخصوص قراره بالتفاوض على اتفاقية عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي وحذرهم من أن الاتحاد السوفيتي قد تفاوض على

مثل هذه الاتفاقيات مع دول أخرى من قبل وتم خداعهم، وخير مثال على ذلك الصين وفنلندا، وأضاف أيزنهاور أن الاتحاد السوفيتي استخدم نفوذه الاقتصادي على كلا البلدين للتدخل في شؤونهم الداخلية، موضحاً أن الهدف السوفيتي كان فصل إيران عن حلفائها الغربيين وتدمير الاتفاق الدفاعي الذي تنتمي إليه إيران، مع العلم بأن الحكومة الأمريكية تتفهم الضغوط التي تواجهها إيران من قبل الاتحاد السوفيتي وأنه على الرغم من بعض الخلافات الموجودة بين الطرفين فيما يتعلق بالاتفاقية الثنائية المقترحة بينهما، فإنها ستقدم الدعم المستمر لإيران للحيلولة دون فسح المجال أمام الاتحاد السوفيتي وقطع الطريق عليه لمنع هيمنته على الشرق الأوسط⁽⁵⁶⁾. ومن هنا يظهر أن الولايات المتحدة لم يكن لديها خيار آخر غير دعمها للنظام الإيراني، وإن حاولت الضغط عليه، إلا أنها لم تكن مستعدة لتجعله خصم لها، لأن ذلك من شأنه أن يدفع الشاه إلى تطوير علاقاته مع الاتحاد السوفيتي، أو ربما يقوِّض حكم الشاه، مما أقلق الإدارة الأمريكية بخصوص علاقتها بالنظام الإيراني، لذلك أرسل أيزنهاور في 30 يناير 1959 رسالة إلى الشاه أوضح فيها قلق الإدارة الأمريكية من المفاوضات الجارية بين الحكومة الإيرانية ونظيرتها السوفيتية، مؤكداً أن الخلافات التي نشأت مؤخراً بينهما بسبب اختلاف الجانبين في تقديراتهما لحجم البرنامج العسكري الذي تحتاجه إيران والذي يمكن عبره المحافظة على استقلالها دون أن يشكل خطراً على الاقتصاد الإيراني، مؤكداً على استمرارها في سياستها الداعمة لإيران في الحفاظ على استقلالها، الأمر الذي استدعائه طلب من السفير ويلز أن يناقش هذه المسألة مع الشاه وعدم اتخاذ إجراءات من شأنها أن تضر ليس فقط بإيران بل بعلاقتها مع الغرب، وفي 7 فبراير 1959 مالتقى الشاه بالسفير الذي أوضح له إنه قرر توقيع اتفاقية ثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية وعقد معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي إذا وافقت على شروط الحكومة الإيرانية⁽⁵⁷⁾. وفي 2 فبراير 1959 م أكد وزير الخارجية الإيراني في خطاب أمام مجلس الشيوخ الإيراني أن بلاده ستواصل احترام التزاماتها بموجب ميثاق بغداد، بالإضافة إلى ذلك أشار رئيس الوزراء لأحد أعضاء الصحافة الأمريكية إلى أن إيران ستوقع قريباً اتفاقية الدفاع الثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن في 3 شباط عام 1959 م وصل الوفد السوفيتي برئاسة نائب وزير الخارجية الكسندر سيمنوف *alksandersimnuf* لإجراء المفاوضات⁽⁵⁸⁾، التي على إثرها أرسل أيزنهاور رسالة إلى الشاه ينصحه بالتشدد مع المفاوضين السوفييت ورفض مطالبهم، مما دفع المفاوضين الروس إلى مغادرة طهران بعد اقتناعهم بعدم جدوى المفاوضات

التي وصلت إلى طريق مسدود⁽⁵⁹⁾.

الأمر الذي أضطر الاتحاد السوفيتي إلى شن حملة دعائية ضد النظام الإيراني، إذ هاجم خروتشوف شاه إيران وسياسته ووصف الاتفاقية المزمع عقدها مع الولايات المتحدة الأمريكية بأنها ستؤدي إلى تحويل إيران إلى قاعدة عسكرية خاضعة للقوانين والانظمة الأمريكية، وبالرغم التهديدات السوفيتية كررت الحكومة الإيرانية رغبتها في توقيع الاتفاق الثنائي مع الولايات المتحدة الأمريكية في أقرب وقت ممكن، وفي 7 فبراير 1959م، تم استدعاء السفير الأمريكي ويلز والسفير البريطاني Geoffrey جيو فري هاريسون⁶⁰ Harrison*) من قبل الشاه الذي أخبرهم بأنه مستعد لتوقيع الاتفاقية الثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية، لكنه سيوقع أيضاً اتفاقاً مع السوفييت إذا قبلوا شروطه، قوال إنه إذا لم تفعل إيران ذلك فسوف تواجه مشكلة سياسية داخلية لأن معاهدة عدم الاعتداء المقترحة مواتية لإيران، لأنها تتضمن البنود التالية:

أولاً. لن ينضم أي من الموقعين إلى تحالف عدواني موجه ضد الآخر.

ثانياً. يحترم كل موقع السلامة الإقليمية للطرف الآخر، بما في ذلك المناطق البرية والجوية والبحرية.

ثالثاً. لن يلجأ أي من الموقعين إلى العدوان، المباشر أو غير المباشر ضد الآخر.

رابعاً. ليس في المعاهدة ما يلغي الالتزامات الحالية سواء الموقعة أو الالتزامات المستقبلية التي قد يتم الالتزام بها بموجب ميثاق الأمم المتحدة.

خامساً. تخضع المعاهدة للتحكيم.

سادساً. ستستمر المعاهدة لمدة 30 عاماً.

في نفس المناقشة صرح الشاه أن الاتحاد السوفيتي قد يقبل بروتوكولاً لمعاهدة 1921م يلغي المادتين (5-6) من تلك المعاهدة، ولم يقدم تفاصيل عن محتويات هذا البروتوكول، وفي تعليقه على اقتراح البروتوكول قال السفير ويلز أنه سيكون هذا أفضل لمعاهدة عدم الاعتداء، وأضاف أيضاً إذا وافقت الوزارة على أنه يمكن السيطرة على بروتوكول من هذا النوع فيما يتعلق بردود الفعل في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أماكن أخرى، فمن المحتمل أن توقع الولايات المتحدة على اتفاقها الثنائي مع إيران على الرغم من إمكانية إبرام بروتوكول مع الاتحاد السوفيتي وأنه ينبغي لها أن تبلغك بذلك⁽⁶¹⁾.

قامت الولايات المتحدة الأمريكية في 8 فبراير 1959م بمراجعة المعاهدات الإيرانية السوفيتية لعامي 1921 و1927م وأمرت السفير دالاس بالتحدث إلى الشاه على النحو التالي:

أولاً. من الأفضل خدمة مصالح منظمات الأمن الجماعي في العالم الحر إذا تمكنت إيران من تجنب التوقيع على معاهدة أو معاهدة عدم الاعتداء.

ثانياً. أنه إذا كان الشاه مصمماً على أنه يجب أن يوقع اتفاقاً مع الروس، فلن تكون الولايات

المتحدة في وضع يمكنها من أن تقول بالتأكيد أن بروتوكول معاهدة 1921م سيكون أفضل من معاهدة عدم الاعتداء إلى أن تتاح لها الفرصة لدراسة المحتويات المقترحة. ثالثاً. أن وجدت أن أحكام معاهدة أو بروتوكول عدم الاعتداء لا تتعارض مع أحكامها الثنائية، ولن تقوض الأمن الجماعي الإقليمي، ولن تؤثر سلباً على الترتيبات الحالية أو المساعدة الماثلة في المستقبل، فسوف تكون على استعداد للتوقيع على المعاهدة الثنائية، مع مراعاة توقيت التوقيع مع الاتحاد السوفيتي .

رابعاً. أن يتشاور الشاه بشكل عاجل مع حلفائه في حلف بغداد وأن تكونا على علم بآراء الولايات المتحدة ويتم تخويل السفير دالاس بالتصرف وفق ما يراه مع السفير الأمريكي هاريسون في تنفيذ هذه التعليمات⁽⁶²⁾.

استجاب الشاه لرسالة الرئيس أيزنهاور في 11 فبراير عام 1959م وقال إن الغرض من مفاوضاته مع الاتحاد السوفيتي هو تحسين العلاقات بين البلدين وتخفيف التهديد السوفيتي لإيران، فقد أوضح الشاه للسوفييت أن إيران ستبقى في حلف بغداد وتحافظ على علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعرض السوفييت عليها إلغاء المادة السادسة من المعاهدة الروسية الفارسية لعام 1921م إذا لم توقع إيران معاهدة ثنائية مع الولايات المتحدة، وفي نهاية رسالته طمأن الشاه أيزنهاور بعلاقات إيران الوثيقة معه، إلا أنه وفي 12 فبراير 1959م أتهمت وكالة الأنباء السوفيتية تاس الشاه بأنه غير أمين مع الاتحاد السوفيتي، وسيكون لتحالفه مع الولايات المتحدة الأمريكية تداعيات خطيرة وهاجمت أيضاً نظام الشاه وقالت أن الشاه قد عارض نظام مقترحات للاتحاد السوفيتي بسبب ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية عليه، وأضافت أن الاتفاق الثنائي المزمع إقامته سيؤدي إلى إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية دائمة في إيران، وصرحت أن مخاوف الشاه بشأن الإطاحة بالنظام الملكي العراقي قد دفعته للتفاوض على معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁶³⁾. ومن ثم فقد أعلنت الحكومة الإيرانية في 28 فبراير 1959م، أن أبو الحسن ابتهاج⁽⁶⁴⁾ قد استقال من منصب مدير منظمة الخطة والميزانية بسبب الخلافات بين منظمته والحكومة الإيرانية، التي قلصت حصة منظمته من عائدات النفط، وكان من المقرر أن تحصل على 80% من تلك العائدات، إلا أن الحكومة الإيرانية رفضت الدفع وطلبت حتى من المنظمة اقتراض الأموال من الخارج⁽⁶⁵⁾.

فغضب ابتهاج من الحكومة الإيرانية وقرر الرد خلال زيارة رئيس الأركان الأمريكية لإيران الأدميرال آرثر ورافورد⁽⁶⁶⁾ rather waradfurd، لمناقشة المؤسسة العسكرية الإيرانية واحتياجاتها فيما يتعلق بالاتفاقية الثنائية التي كانت ستوقع بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، وأخبر ابتهاج رادفورد أن إيران تحتاج إلى تنمية اقتصادية وليس إلى

تعزيز عسكري، وأن أفضل دفاع لإيران هو تحسين مستوى معيشة الناس، وكان لكلمات أبو الحسن ابتهاج الغاضبة عواقبها الخاصة لأنه قدأقرت الحكومة الإيرانية مشروع قانون من شأنه أن يضع رئيس الوزراء على رئاسة منظمة التخطيط⁽⁶⁷⁾.

ب/ عقد الاتفاقية ونودها:

1/ عقد الاتفاقية وتقويمها بين الجانبين:

أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن عليها الدخول في معاهدات ثنائية مع الدول الموقعة على حلف بغداد لتضمن مصالح اوسع في المنطقة، لهذا دخلت في عقد مفاوضات عام 1959م مع الجانب الإيراني، وتم التوقيع على الاتفاقية بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية يوم الخميس 5 مارس 1959م في أنقرة، وقد جاءت الاتفاقية تأكيداً لحقهم في التعاون من أجل أمنهم ودفاعهم طبقاً للمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة، فقد رأت الإدارة الأمريكية أن من المهم لمصلحتها الوطنية وللسلم العالمي المحافظة على استقلال إيران وسيادتها وتعزيز السلم في الشرق الأوسط⁽⁶⁸⁾، للمحافظة على مصالحها بسبب الاحداث المتسارعة في المنطقة وتسارع سقوط العروش الواحد تلو الآخر من خلال التقارب المصري السوري وقيام الجمهورية العربية المتحدة، والحرب الأهلية في لبنان وازدياد نفوذ جمال عبدالناصر بعد أزمة السويس ومع تزايد الضغوط السوفيتية على الحكومات الموالية للغرب، كل هذا حثم على الولايات المتحدة الأمريكية اتخاذ سياسة أكثر فاعلية لتخليص إيران من التهديد السوفيتي ولمنع سقوط حكومة الشاه في أسوة بالحكومات التي سقطت آنذاك⁽⁶⁹⁾، وتمهيداً لهذا الأمر وكبادرة حسن نية فقد اعطت الحكومة الأمريكية قروض إيران قرض بقيمة (5،47) مليون دولار قبل الاعلان عن توقيع الاتفاقية⁽⁷⁰⁾. وبعد التوقيع على الاتفاقية صرحت الحكومة الإيرانية أنها لن تلتزم بالمادة السادسة من المعاهدة الروسية الإيرانية لعام 1921م، وأنها سوف تلتزم فقط بالبنود المتبقية من المعاهدة، وجاء الرد من الحكومة السوفيتية، بأنه لا يمكن تغيير شروط المعاهدة، في حين أكدت الولايات المتحدة الأمريكية أنها سترسل قواتها إلى إيران إذا تعرضت لأي هجوم، وستواصل تقديم المساعدات العسكرية لها، وتمت المصادقة من قبل الكونغرس على الاتفاقية المبرمة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران تحت رعاية قانون الأمن المشترك لعام 1954م والقرار المشترك الصادر في مارس 1957م لتعزيز الأمن والسلام في منطقتي الشرق الأوسط⁽⁷¹⁾. وكانت اتفاقية الدفاع لعام 1959م الأكثر شمولاً من نوعها، وصادق عليها البرلمان التشريعيان للبلدين في 6 يونيو 1959م، وكانت الأهمية الحقيقية لها هي أنها أعلنت استعداد إيران لجذب رؤوس الأموال الأجنبية ودعمها، وأنهت بذلك الاتفاقية الإيرانية السوفيتية، وشجعت

الولايات المتحدة الأمريكية على الاستثمار، ووضعت العلاقات التجارية بين البلدين على أساس مبدأ سيادة القانون الكاملة، ونتيجة لهذا الاتفاق توسعت أنشطة القطاع الخاص الأمريكي في إيران وازداد التبادل التجاري بين البلدين خاصة بعد صدور قانون اجتذاب رأس المال الخاص لأمريكا الشمالية من قبل الجمعية الوطنية الإيرانية بإنشاء المطارات وتشديد القواعد العسكرية في المناطق الاستراتيجية⁽⁷²⁾.

إن هذه الاتفاقية جاءت لتأكيد حق إيران في تعزيز أواصر الصداقة مع الحكومة الأمريكية التي أظهرت مواقفها الايجابية وأوضحت حجم التوافق والتعاون بين الدولتين، وكان تأسيس جمعية (إيران وامريكا) في مارس 1957م في مدينه كرمنشاه دليلاً على ذلك، التي ضمت أكثر من (100) عضواً من أهل المدينة وكبار الموظفين وعد من التجار وكانت أهم أعمال الجمعية فتح مدرسة كان التدريس فيها باللغتين الفارسية والإنجليزية ونشر وتوزيع الكتب الخاصة بالدولتين وتسهيل ومساعدة الطلبة الذين يرغبون في السفر والدارسة بالولايات المتحدة الأمريكية، وتشجيع التجار على استيراد البضائع الأمريكية وتصدير البضائع الإيرانية⁽⁷³⁾.

كما إن هذه الاتفاقية جاءت لتقوية الإمكانيات العسكرية والاقتصادية لإيران ضد العدوان على أراضيها بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت قد عملت على إعادة صياغة للسياسات القائمة في منطقة الشرق الاوسط، لأتبات الوجود الأمريكي على الأرض الإيرانية كقوة داعمة للحكومة، والتعهد بالرد على أي عدوان قد تتعرض له الاراضي الإيرانية واتخاذ كافة الإجراءات المناسبة لأي جهة معتدية بما في ذلك استخدام القوات المسلحة على النحو الوارد في مبدأ أيزنهاور، وبموجب هذه الاتفاقيات أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية أقل ارتباطاً بحلف بغداد، وعلى الرغم من أن الاتفاقية ضمنت المساعدة الأمريكية في حالة وقوع أي هجوم على إيران إلا أنها لم تعزز التزامات مبدأ أيزنهاور⁽⁷⁴⁾، ومن هنا يتضح أن إيران التزمت بنودها وبالمقابل استفادت من الدعم الأمريكي لغرض تعزيز التطور الاقتصادي بشكل فعال.

2/ بنود الاتفاقية الموقعة بين الجانبين:

أصبح شاه إيران بعد سقوط النظام الملكي في العراق عام 1958م، على قناعة بأن حلف بغداد لا يؤمن الحماية للأنظمة الحاكمة الأعضاء في الحلف لاسيما بعد انسحاب العراق منه وانتهاج النظام الجديد لسياسة جديدة تجاه الاتحاد السوفيتي، فضلاً عن تزايد النفوذ السوفيتي في المنطقة، كلها أمور زادت من قلق الشاه على نظامه وحملته على مطالبة الولايات المتحدة بضرورة التوقيع على اتفاقية دفاعية تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية من خلالها بتقديم الدعم والمساندة اللازمة لإيران في حال تعرضها لأي اعتداء خارجي⁽⁷⁵⁾.
اعلنت الدول الأعضاء في الحلف تمسكها بالمحافظة على الأمن ومقاومة أي تهديد

من خلال الاجتماع الذي عقد في لندن في 28 يوليو 1958م، كما أعلنت الولايات المتحدة موافقتها على التعاون مع البلدان المشاركة في الحلف في المجالين الأمني والدفاعي ووافقت على الدخول في اتفاقيات من شأنها تفعيل هذا التعاون، فتم توقيع اتفاقيات دفاعية مع حكومات إيران، باكستان وتركيا، وجاء في بيان الاتفاقية التي وقعتها الولايات المتحدة مع إيران أولاً، وتماشيا مع الاعلان الذي صدر في 28 من يوليو من السنة نفسها بتوقيع حكومتا الولايات المتحدة الأمريكية وإيران اتفاقية دفاعية في 5 مارس عام 1959م تمّ بموجبها اعتبار الاستقلال والوحدة الوطنية في إيران عاملاً حيوياً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية القومية، وبموجبها أعتبر الاستقلال والوحدة الوطنية في إيران عاملاً حيوياً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية القومية⁽⁷⁶⁾.

البند الرئيسية للاتفاق هي: (77).

أولاً. إن الحكومة الإيرانية مصممة على مقاومة أي عدوان على إيران وستتخذ حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وفقاً لدستورها الإجراءات المناسبة المتفق عليها في القرار المشترك لتعزيز السلام والاستقرار في الشرق الأوسط بما في ذلك استخدام القوة المسلحة من أجل مساعدة حكومة إيران في طلبها⁽⁷⁸⁾.

ثانياً. تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم الدعم والمساعدة اللازمة لإيران في حالة تعرضها لأي اعتداء خارجي يهدد أمنها واستقرارها، وإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وفقاً لقانون الأمن المتبادل لعام 1954م بصيغته المعدلة، والقوانين ذات الصلة والاتفاقيات الموقعة والسارية بين الحين والآخر بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران تؤكد من جديد أنها ستواصل تزويدها بالمساعدات العسكرية والاقتصادية التي قد يتم الاتفاق عليها بشكل متبادل بين الطرفين، من أجل مساعدة إيران في الحفاظ على استقلالها الوطني ونزاهتها وفي تعزيز تميمتها الاقتصادية بشكل فعال، وقد وسبق الإعلان عن توقيع الاتفاقية إعطاء قرض لإيران مقداره (47,5) مليون دولار لتمكين حكومتها من الحفاظ على استقلالها وسيادتها الوطنية⁽⁷⁹⁾.

ثالثاً. اشترطت بأن المساعدات المقدمة يجب تتطابق مع الأهداف المتفق عليها بين البلدين، وبعد سنة من الإشعار الرسمي، وأن حكومة الأمريكية والحكومة الإيرانية، راغبتين في تنفيذ الإعلان الذي ضمتهما أنفسهما في لندن في 28 يوليو 1958م، وبالنظر إلى أنه بموجب المادة الأولى من ميثاق التعاون المتبادل الموقع في بغداد في 24 فبراير 1955م، وافقت الأطراف الموقعة عليه على التعاون من أجل أمنهم ودفاعهم وبالمثل، كما هو مذكور في الإعلان المذكور أعلاه، وافقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على التعاون مع الحكومات التي تصدر ذلك الإعلان للحفاظ أمنها ودفاعها⁽⁸⁰⁾.

رابعاً. أكتت الدول الأعضاء في حلف بغداد خلال اجتماعهم في 28 يوليو 1958م في لندن تمسكها بالمحافظة على الأمن ومقاومة أي تهديد مباشر أو غير مباشر في أشاره

واضحة إلى الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة، وبناءً على ذلك أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية موافقتها على التعاون مع البلدان المشاركة في الحلف في المجالين الأمني والدفاعي عام 1959م وهي اتفاقيات دفاعية مع حكومات دول كل من باكستان وتركيا وإيران⁽⁸¹⁾.
خامساً. لا تؤثر أحكام هذا الاتفاق على التعاون بين الحكومتين على النحو الوارد في الاتفاقيات أو الترتيبات الدولية الأخرى.

سادساً. تدخل هذه الاتفاقية حيز التنفيذ في تاريخ التوقيع عليها وتستمر حتى عام واحد بعد استلام أي من الحكومتين لإشعار كتابي عن نية الحكومة الأخرى إنهاء الاتفاقية، وبذلك يكون الاتفاق الثنائي قد أكمل فصلاً رئيسياً في تطوير العلاقات الإيرانية الأمريكية، وكانت السياسة الأمريكية هي الملزمة بحماية سيادة إيران⁽⁸²⁾، تمت كتابة هذه الاتفاقية من نسختين في 5 مارس عام 1959م في أنقره بين الحكومة الأمريكية متمثلة في فليشر وارين عن الولايات المتحدة الأمريكية وحسن عرفه عن الحكومة الإيرانية⁽⁸³⁾. وعدت هذه الاتفاقية استمراراً للاتفاقيات التي وقعتها الولايات المتحدة الأمريكية مع إيران والتي استندت عليها، ومنها اتفاقية عام 1943م واتفاقية 1947م والتي تم التأكيد فيها على التعاون المتبادل في المجال الدفاعي وقد حصلت إيران وفقاً للاتفاقيات التي وقعتها مع الولايات المتحدة الأمريكية على المساعدات والدعم العسكري والاقتصادي الذي استمر حتى سقوط نظام الشاه عام 1979م⁽⁸⁴⁾.
وفي الخامس من مارس عام 1959م بعد توقيع الاتفاقية الدفاعية، صرح الناطق الرسمي الإيراني بتصريح جاء فيه (... أن الحكومتين الإيرانية والأمريكية وافقتا على مقاومة العدوان المباشر وغير المباشر ...) في إشارة منها إلى دولتي الاتحاد السوفيتي والعراق، فقد اعطت الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً بالغاً بالاتفاقية الدفاعية مع إيران من أجل اشراك إيران الكامل في النشاطات العسكرية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وقد هيأت الولايات المتحدة الأمريكية القواعد العسكرية الإيرانية لاستخدامها لقواتها العسكرية، فقد ارسلت عدد من الخبراء الأمريكيين إلى المناطق الشمالية من إيران وإلى المناطق القريبة من الحدود العراقية لمراقبة المناطق الحدودية مع الاتحاد السوفيتي والعراق والتحسب لأي تحرك معادي في هذه المناطق⁽⁸⁵⁾. ولعل إتفاقية كهذه هي ما كان الشاه يبحث عنه، لأنه طيلة فترة حكمه كان متعطشاً لعقد صفقات من هذا النوع لاسيما مع ما جرى من أحداث جعلت حكومة شاه إيران تدعم وتؤيد مشاريع الاحلاف والتكتلات الاقليمية والدولية، والتي انعكس تأثيرها على منطقة الشرق الاوسط، ووقوف الولايات المتحدة الأمريكية مع الشاه محمد رضا في المنطقة كونه الحارس على مصالحها حتى جاء عام 1959م، فسلمت إيران على طبق من ذهب للولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت مسيرة وليست مخيرة في اتخاذ القرار.

3/ المؤسسة العسكرية في ظل الاتفاقية:

شهدت المؤسسة العسكرية الإيرانية تطوراً جديداً خلال التطور الملحوظ في العلاقات خاصة بعد أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تشعر بقوة مركزها في إيران، وبرزت البعثات العسكرية الأمريكية التي بدأت في إقامة علاقات مع الجيش، لأن تلك البعثات وجدت أن إيران تستحق الحصول على المساعدات العسكرية ضمن برنامج النقطة الرابعة فأرسلت المستشارين العسكريين عام 1942م-1943م كمكافئة للحكومة الإيرانية على احتضانها لجيوش الحلفاء على أراضيها⁽⁸⁶⁾.

كما ازداد عدد المستشارين لتنفيذ الواجبات الدفاعية التي القيت على عاتقهم مثل كيفية صرف المساعدات الأمريكية كل حسب مهامه مثل وزارة الحربية ودوائرها، مديرية المساعدات العسكرية، مديرية التدريب العسكري وقيادة الدرك ودوائرها⁽⁸⁷⁾، فعمل الشاه على إعادة هيكلة الجيش ودعمه معنوياً بدخوله مقاطعتي أذربيجان وكرديستان بعد انسحاب القوات السوفيتية ليعيد الثقة له فاستغل الظروف ليصدر قراراً بتمديد البعثات العسكرية الأمريكية في 16 أكتوبر عام 1947م⁽⁸⁸⁾.

هذا وقد تلقت إيران أول شحنة من المساعدات في مارس عام 1949م، ومنها (150) دبابة وثلاثة اسراب من الطائرات النفاثة⁽⁸⁹⁾، لمواجهة الضغوط السوفيتية وجعل إيران دولة قوية من خلالها، ثم بدأت المنح تتوالى عليها بعد توقيع اتفاقية المساعدات الدفاعية المتبادلة في 23 مايو عام 1950م⁽⁹⁰⁾ التي تضمنت بيع فائض المعدات العسكرية من الحرب العالمية الثانية، ثم اعتمدت على بعثة (ماك) لتقديم المشورة كجزء من برنامج المبيعات العسكرية الذي يعتمد على الموارد النفطية، إلا أن واجبات اللجنة تركزت على واجبات تفرق المساعدات الفنية وعلى ادخال معدات جديدة لارتباطها بالشركات الأمريكية الخاصة⁽⁹¹⁾.

لم يكن خفياً على صنّاع القرار الأمريكي أن مشروع النقطة الرابعة من خلال برامج التنمية والمساعدات العسكرية كان يهدف لتقوية دول الشرق الاوسط اقتصادياً وعسكرياً للوقوف في وجه التغلغل الشيوعي وتعزيز دور الحكومة الأمريكية للتدخل في المنطقة من خلال مشاريعها الاستعمارية، وتقوية الجيش الإيراني ومكافحة المعارضة في الداخل وتوحيد البلاد، ما إن جاء حتى تم تخصيص مبلغ (540) مليون دولار في عام 1953م منها مبلغ (415) مليون دولار لكل من إيران وتركيا واليونان⁽⁹²⁾، وكذلك ارسلت مبلغ (2,9) مليار دولار على شكل مساعدات عسكرية للوقوف بوجه التوجهات السوفيتية بين عامي 1947م-1959م⁽⁹³⁾ بالإضافة إلى (20) مليون ريال مقدمة إلى وزارة الحربية الإيرانية لأغراض حفظ النظام والامن⁽⁹⁴⁾، وبهذا تكون الولايات المتحدة الأمريكية الطرف الوحيد المستفيد من هذه المعاملة، فقد استولت على %40 من النفط الإيراني عن طريق برنامج المساعدات الذي تبنته من أجل أهدافها المنشودة⁽⁹⁵⁾ وبعد أن أصبح الشاه مولعاً بشراء الاسلحة استطاع أن يبني لنفسه إحدى أكبر المؤسسات العسكرية لتصبح خامس قوة عسكرية في العالم من حيث العدد والعدة، إذ كان يخصص جزء كبير من الميزانية للجانب العسكري لتزيد ميزانيته السنوية بين عامي 1953م-1972م من (600) مليون دولار إلى (2) بليون دولار ليصبح الشاه محمد رضا من

أهم الدول المستوردة للأسلحة التي تنتجها التكنولوجيا الغربية، حتى أصبح كل دولار يحصل عليه من عائدات النفط يذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية في مقابله دولارين ثمناً للمعدات العسكرية والبضائع التي تستوردها إيران⁽⁹⁶⁾.

فأصبحت المؤسسة العسكرية تستحوذ على اهتمام الشاه لإعادة وتقوية الجيش عما كان عليه سابقاً وإعادة السيطرة الفعلية عليه من خلال تدفق المساعدات العسكرية الأمريكية والعوائد النفطية التي بلغت (385) مليون دولار خلال الفترة 1952م-1960م والتي كان فيها عدد افراد الجيش من 120,000 إلى 190,000 جندي والقوة الجوية 8000 ألف والقوة البحرية (4000) الأف، أما بالنسبة للنفقات العسكرية بين عامي 1953م-1954م مفقد وصلت إلى (2,5) بليون ريال⁽⁹⁷⁾ بفعل منتجات النفط لسنة 1955م التي وصلت (15,772,000) طن من النفط الخام، و(7,276,000) من النفط المصفى، وفي عام 1956م بلغ (340,000) ألف برميل يومياً إضافة إلى النفط المصفى إلى وصل إلى (142,000) ألف برميل لهذا بلغت عائدات إيران من النفط (2,819,643) جنيه استرليني ويتضمن هذا المبلغ حصة إيران الضريبية البالغة %12,5 من النفط الخام⁽⁹⁸⁾.

بكل هذا استطاع الشاه أن يوحد الجيش ويجعل من أولوياته حفظ النظام، وأخذ يعمل تدعيم قواته الأمنية من خلال ما تلقاه من المساعدات التي انهارت عليه، فشعر الشاه أن قبضته لم ترسخ إلا بوجود قوة استخبارية تمثلت لاسيما في المنيعة واليد الضاربة له للحفاظ على دعائم حكمة من خلال المخاوف التي تحيط به، ومثلما كان للولايات المتحدة الأمريكية دور في تطوير الجيش كان لها الدور الأكثر خطورة في تأسيس جهاز السافاك لمكافحة الحركات السرية والثورية ومراقبة الاجانب⁽⁹⁹⁾.

فأصبحت إيران بفعل سياسة الشاه ساحة لنشاط الولايات المتحدة الأمريكية، فتحوّلت وبمرور الوقت إلى ميدان مكشوف لنشاطهم في جميع مفاصل الحكومة، إذ أصبح المستشارين الأمريكيين مشرفين على دوائر وزارة الدفاع جميعاً، وكانت صلاحيتهم غير محدودة طبقاً للاتفاقيات العسكرية بين الدولتين، فبمقدورهم مراقبة كل قسم من أقسام دوائر الجيش، ووصل عدد المستشارين الكبار إلى 90 ضابطاً لهم حق التدخل في كل صغيرة وكبيرة مع عدد من معاونين⁽¹⁰⁰⁾، أما فيما يختص بالمساعدات العسكرية فكانت من اختصاص الملحق العسكري في السفارة التي تهتم بمتابعة احتياجات الجيش وتأمينها من ميزانية المساعدات الأمريكية التي تتكون من ثلاث أقسام هي منظمة مساعدات القوات البرية، منظمة مساعدات القوات الجوية ومنظمة مساعدات القوات البحرية، والتي يتواجد فيها 50 ضابطاً بمختلف الرتب يعاونهم 100 من ضباط الصف⁽¹⁰¹⁾، لهذا عملت الولايات المتحدة الأمريكية من إيران دولة قوية من ضمن حساباتها المصلحية، لاسيما عند ارسال الأسلحة لها كما اقترحت عليها أن تقبل عدد آخر من الضباط والمستشارين على هيئة خبراء يمكن أن تكون منهم فرقة تعمل مع الجيش الإيراني للحالات الطارئة ومساعدة الحكومة الإيرانية⁽¹⁰²⁾. وذهبت العلاقات بين البلدين إلى أبعد التصورات خاصة في المجال العسكري والأمني من خلال تغلغل المستشارين الأمريكيين في الجيش حيث بلغ عددهم 40,000 ألف

ثم ارتفع العدد من 115.000 الف جندي عام 1943م إلى 150,000 ألف وفي عام 1950م وصل العدد إلى 300,000 ألف جندي، وبموازاة هذا التوسع ارتفعت ميزانية الجيش، إذ أن أغلب المساعدات الأمريكية التي كانت تصل إلى الحكومة الإيرانية خاصة بعد سقوط حكومة مصدق فقد صلت ما بين عامي 1954م-1963م إلى 950 مليون دولار تقريباً أصبحت من نصيب الجيش، الأمر الذي ساعد الشاه على انشاء قاعدة في بندر عباس ب 200 مليون دولار وأخرى في شاه بهار ب 600 مليون دولار عن طريق حصوله على التسهيلات البحرية في المحيط الهادي، كلها أمور ساعدت بها الحكومة الأمريكية حكومة الشاه لجعل إيران الدولة الأقوى للوقوف بوجه المد الشيوعي والحفاظ على مصالحها في الشرق الأوسط⁽¹⁰³⁾. وتشير الوثيقة التالية لحجم وكمية المساعدات العسكرية المقدمة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية إلى الجيش الإيراني من عام (1950م-1959م) كمنحة مساعدات بمتوسط إجمالي يبلغ حوالي 37,4 مليون دولار حسب قيمة المعدات والإمدادات العسكرية المقدمة إلى الحكومة الإيرانية لترقية الجيش وتمكينه من صد أي هجوم تتعرض له الأراضي الإيرانية⁽¹⁰⁴⁾.

أصبحت بهذا حكومة الشاه معنية بحماية المصالح الأمريكية في المنطقة ضد تحركات الاتحاد السوفيتي، مما دفع الشاه للمطالبة بزيادة حجم المساعدات خاصة بعد أن علم بأن الكونجرس الأمريكي صادق على مبلغ (27,640,000) مليون دولار كمساعدات إضافية لكل من إيران والفلبين وكوريا، مما زاد من اندفاع إيران نحو الولايات المتحدة الأمريكية والتي كان نتائج ذلك توقيع البلدين في عام 1959م لتلك الاتفاقية التي وصفها الاتحاد السوفيتي بأن إيران أصبحت قاعدة عسكرية في منطقة الخليج العربي⁽¹⁰⁵⁾، وعلى إثر ذلك جاء البيان الذي صرّح به الناطق الرسمي الإيراني في 5 مارس عام 1959م عقب توقيعها (... إن الحكومتين الإيرانية والأمريكية وافقتا على مقاومة العدوان المباشر وغير المباشر...)⁽¹⁰⁶⁾.

المساعدات العسكرية (كمية ونوعية) الاسلحة المستلمة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحكومة الإيرانية من عام 1950م-1959م⁽¹⁰⁷⁾.

السنة	العدد	النوع	الدولة
1951-1950	6	بيتش سي-45	الولايات المتحدة الأمريكية
1953-1952	12	بايب ريو-18 سوبر كوب	الولايات المتحدة الأمريكية
1954	5	نات-6 تبكسان	الولايات المتحدة الأمريكية
1955	4	دهسي-2 يافر	كندا
1956	16	لوكهيدر-33	الولايات المتحدة الأمريكية
1956	8	لوكهيدر-133	الولايات المتحدة الأمريكية
1958-1956	75	ديبك ف-84 جي	الولايات المتحدة الأمريكية
1959	2	دبت لاند ويرلويند	بريطانيا
1959	70	كنداير سابر 6	كندا

4/ بنود الإتفاقية الاقتصادية:

لقد شكّلت استراتيجية الاحتواء ركيزة أساسية في الاستراتيجية الأمريكية فكان لتأسيس حلف الأطلسي لربط دول أوروبا بالولايات المتحدة الأمريكية ليمثل احتواءً عسكرياً للاتحاد السوفيتي، ومبدأً ترومان في عام 1947م وإعلان برنامج النقطة الرابعة في عام 1949م يمثل احتواءً اقتصادياً، بعد أن قدمت مساعدات لأكثر من مائة دولة بلغت قيمتها (370) مليار دولار لقطع الطريق أمام التوسع السوفيتي⁽¹⁰⁸⁾، واستطاعت القوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة الاستفادة من التوتر في العلاقات بين إيران والاتحاد السوفيتي بسبب انحياز إيران نحو الغرب عامة والولايات المتحدة بشكل خاص فقدمت 26 مليون دولار للجانب العسكري ومبلغ 650 مليون دولار مشروع لتحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية في قارة آسيا⁽¹⁰⁹⁾.

بعدها اتسع نطاق المصالح الاقتصادية والثقافية الأمريكية في إيران بعد زيادة المساعدات، والتي استطاعت أن ترفع من مستوى الحياة في إيران وجعلها تصمد بوجه الضغوط الخارجية، بالإضافة إلى القوى الداخلية المضادة في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية وإدخال شركات النفط الأمريكية إلى حقول النفط في إيران وإعادة تشغيل مصافي عبادان في طهران، وتوظيف عدد كبير من الموظفين والطلاب المدنيين الإيرانيين للعمل في مصافي النفط مع الموظفين الأجانب العاملين في حقول النفط⁽¹¹⁰⁾، واحتواء التوسع الشيوعي ومنع وقوع النفط الإيراني في أيدي السوفييت، في حين لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً قيادياً من خلال التمسك بحكومة الشاه وزيادة القروض بمقدار 45 مليون دولار في سبتمبر عام 1953م لتشجيع الشركات الأمريكية⁽¹¹¹⁾، فتزايدت الاستثمارات الأمريكية وعملت على إيجاد نظام دفاعي في عام 1955م هدفه حماية المصالح الأمريكية ومنابع النفط⁽¹¹²⁾، مما دفع بالشاه إلى القيام بإصلاحات فمنح مبلغ (25) مليون دولار بالإضافة إلى نصف مليون دولار لتحسين أحوال الريف الإيراني⁽¹¹³⁾.

بهذا تُعد فترة الخمسينيات من هذا القرن الماضي بمثابة القرن الذهبي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وشركاتها النفطية التي كان لها الدور الكبير في فوز أيزنهاور في معركة الرئاسة عام 1953م والذي صرح قائلاً... من الأمور التي تؤكد أهمية الشرق الأوسط القصوى احتواءه على ثلثي مصادر البترول المعروفة في العالم حتى الآن وهذه المصادر البترولية لا تقل أهمية عن الحلف الأطلسي، بل إن هذا الحلف يفقد معناه وهدفه إذ فقدنا مصالحننا البترولية في الشرق الأوسط..⁽¹¹⁴⁾، كذلك صرح الكاتب الأمريكي جو ستورك (... أن تاريخ

الشرق الأوسط الحديث مرتبط ارتباطاً لا ينفصم بمجهود الدول الغربية لضمان سيطرة مطلقة على موارد المنطقة وتجاريتها، وكان النفط هو المورد الرئيسي، وقد تحققت السيطرة الأوروبية وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية على النفط بواسطة سلسلة من الامتيازات...⁽¹¹⁵⁾.

لكن أدى سوء الأوضاع الاقتصادية في إيران إلى توتر العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية بسبب إلحاح الحكومة الإيرانية في طلب المساعدات هذا الإلحاح الذي لم توافق الحكومة الأمريكية فقد جاء تصريح للسفير الأمريكي في طهران عن موقف حكومته قائلاً (... إن بلاده لا تقبل أن تمنح إيران أي مساعدات لم توضح كيفية تم صرف الأموال التي استلمتها من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية...)، كما أشار لعدم ثقة حكومتها بالحكومة الإيرانية بسبب سوء الإدارة، مما أدى إلى نشوب حرب إعلامية بين الطرفين الأمر الذي دعا الولايات المتحدة الأمريكية إلى الإسراع بمعالجة الموقف عن طريق جان ويلى janwilyam السفير السابق في طهران والتخفيف من حدة التوتر من خلال قيام الحكومة الإيرانية بالإصلاحات لتمكين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من إيجاد السبل لصرف المساعدات والقروض الأمريكية⁽¹¹⁶⁾.

لذا فإن الإدارة الأمريكية أصبحت مضطرة إلى تقديم الدعم لإيران بعد أن شعرت بتزايد الخطر الشيوعي، فوَقَّع الشاه مع الولايات المتحدة على قانون خطة التنمية لمدة سبع سنوات في 13 مارس 1956م والذي منح إيران مبلغ (920) مليون دولار على مدار سبع سنوات من أجل تخفيف الضغط على الحكومة وتحسين الوضع الاقتصادي، مع توظيف أعداد كبيرة من الموظفين⁽¹¹⁷⁾، وأرسلت مدير البنك الدولي للإنشاء والتعمير ل طهران الذي قرر منحها مبلغ (20) مليون دولار لتنفيذ المشروعات العمرانية في⁽¹¹⁸⁾، هذا ولم يقف الشاه عند هذا الحد بل قام بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية في 3 يوليو عام 1958م طالباً المساعدة العاجلة والتي اثمرت عن حصوله على مبلغ (40) مليون دولار حددّ صرفها على الإعمار⁽¹¹⁹⁾.

لذا فإن إيران في عهد الشاه محمد رضا بهلوي منذ بداية تولي ايزنهاور لمنصب رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية قد عقد العديد من الاتفاقيات مع الحكومة الإيرانية بين عامي 1953م-1958م وبعقود طويلة الأمد شملت التكنولوجيا والثقافة العلمية والنووية السلمية المشروطة حيث عقد أول اتفاق نووي سلمي بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية عام 1957م، إذ أهدت الحكومة الأمريكية إيران مفاعل للأبحاث العلمية لجامعة طهران بقوة 5 ميكا واط وتم العمل به رسمياً وأصبح تابع لمنظمة الطاقة والأبحاث الإيرانية والذي

تبلغ قوة إنتاجها حوالي 600 كغم سنوياً من البلوتونيوم والوقود المستهلك⁽¹²⁰⁾.
الخاتمة:

نتيجة لزوال الاستعمار بشكله القديم فقد ظهرت أشكال أخرى من الإمبريالية التي سعت من خلالها الدول العظمى لتحقيق مصالحها غير المنغرية بوسائل وأساليب جديدة من بينها عقد الاتفاقيات الثنائية والجماعية، الدائمة والمؤقتة سواء كانت عسكرية أو اقتصادية أو ثقافية أو غير ذلك، ومن بين تلك الاتفاقيات التي وقّعت اتفاقية الدفاع بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران عام 1959م، تلك الاتفاقية التي تحصلت إيران بموجبها على مساعدات هائلة وضخمة في الجوانب العسكرية والاقتصادية واللوجستية، لذا جاءت هذه الدراسة التي وقفت على الأوضاع الدولية التي أدت لتوقيعها، البنود التي تضمنتها والنتائج التي ترتبت عليها.

النتائج:

توصلت الدراسة لعدة نتائج هي:

1. أن منطقة الشرق الأوسط بما فيها إيران كانت محط أنظار ومطامع الدول الاستعمارية العظمى لفترات طويلة بحكم ما تتمتع به من إمكانيات مختلفة.
2. نتيجة لظهور بوادر التغلغل السوفيتي في المنطقة سعت الولايات المتحدة لقطع الطريق عليها من خلال إقامة الأحلاف العسكرية والاقتصادية مثل حلف بغداد عام 1955م.
3. نتيجة للتفكك الذي أصاب حلف بغداد فقد سعت الولايات المتحدة لعقد اتفاقية الدفاع بينها وإيران لإيقاف التدخل السوفيتي في إيران.
4. ترك توقيع هذه الاتفاقية آثاره العظيمة الأثر على إيران من خلال تدفق المعونات العسكرية والاقتصادية والتي قادت لأن يحكم الشاه محمد رضا بهلوي على مقاليد الحكم فيها ليصبح الحامي للمصالح الأمريكية في المنطقة كلها.

التوصيات:

توصي الدراسة بالتالي:

1. الوقوف على الاتفاقيات المماثلة التي عقدتها الولايات المتحدة مع دول أخرى لبيان الدور الذي قامت به تلك الاتفاقيات في تدعيم النفوذ الأمريكي في تلك المناطق.
2. إجراء دراسات عن طبيعة المزايا التي تحصلت بموجبها الولايات المتحدة الأمريكية من خلال توقيع تلك الاتفاقية.

المصادر والمراجع:

- (1) حداد، سلمى، المساعدات الأمريكية العسكرية لإيران، دار القدس، بيروت، 1947م، ط1، ص5.
- (2) مطر، سليم، أخطر اسرار الاستراتيجية الأمريكية في العراق والشرق الاوسط، الكلمة الحرة، بيروت، 2011م، ط1، ص108.
- (3) قصير عبدالله أحمد، حركة التجديد والاستنهاض، مركز الإمام الخميني الثقافي، 2000، ص126-127.
- (4) بالمر، مايكلز أ، حراس الخليج، ترجمة نبيل زكي، مركز الاهرام، مصر، 1995م، ط1، ص58.
- (5) حداد، سلمى، المصدر السابق ذكره، ص6.
- (6) رمضان، روح الله، سياسة إيران الخارجية 1941-1973م، المصدر السابق، ص191.
- (7) فضل الله زاهدي (1890م-1963م)، ولد عام 1890، تلقى تعليمه في همدان، ثم دخل الكلية الحربية عام 1916م، عمل في الخدمة العسكرية لمدة طويلة، كان من اكثر الجنرالات الذين رافقوا رضا شاه في حكمه ومن المقربين له، وأحد مشاركيه في ميله للألمان، بعد أن احتلت قوات الحلفاء إيران في 25 اغسطس 1941م، ألقت القوات البريطانية القبض عليه وأرسلته إلى سجون فلسطين وبقي فيها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وبعد عودته إلى إيران أصبح في عام 1949م وزيراً للداخلية، ثم اشترك بعد ذلك في الإطاحة بمصدق، ليصبح رئيساً للوزراء خلال المدة (1953م-1955م)، وقد كافأه الشاه بمبلغ (600) ألف دولار على عمله، إلا أنه أدرك أن زاهدي يطمع بالعرش فأبعده إلى الخارج، توفي عام 1963 عن عمر ناهز 79 عاماً.
- عقراوي، منهل إلهام عبدالله، والجبوري، فراس صالح خضر، العلاقات التركية-الإيرانية، 1923م-2003م دراسة في العلاقات السياسية والاقتصادية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2015م، ط1، ص39.
- (8) مليحة، نبيلة محمود ذيب، السياسة الأمريكية تجاه إيران (1945م-1981م)، رساله ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآداب، الجامعة الاسلامية، غزة، 2012م، ص107.
- (9) هيكل، محمد حسنين، نحن وأمريكا، دار المعارف، مصر، 1967م، ص35.
- (10) حلاق، حسان، تاريخ لبنان المعاصر 1913م-1952م، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، 2010م، ط3، ص315.
- (11) د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، القنصلية الملكية العراقية، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، السجل 311/4979، الرقم س / 1 / 103، التاريخ 9 / 2 / 1957، و48، ص71.
- (12) U. S. Treaties and Other International Agreements [s UST.p.901

- (13) د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، كتاب المفوضية الملكية العراقية في طهران، وزارة الخارجية، التسلسل 311/4978، بتاريخ 1/2/1957، و57، ص99.
- (14) جريدة البلاد، العدد 5206، 9 أيار، العراق، 1958م.
- (15) أحمد، محمد رزوق، الحركة الكردية في العراق - دور البرزانيين في طريق الحكم الذاتي، دار المعتز للنشر والتوزيع، الاردن، 2014م، ط 1، ص143.
- (16) جريدة الأهالي، الجمعة 6 كانون الأول، العراق، 1958م.
- (17) أحمد، محمد مرزوق، المرجع السابق نفسه، ص 144.
- (18) هروبي، مهدي وسميعي، أحمد، 22 نسخت وزير در 37 سا، جاب أول، تهران، 1384هـ، ص120.
- (19) U.S Milted Equipment, sold to Iran, 1941-1979, p
- (*) ثورة 14 يوليو 1958، تعرف أيضاً بانقلاب أو ثورة 14 تموز 1958م، هي التي أطاحت بالملكة العراقية الهاشمية التي أسسها الملك فيصل الأول تحت الرعاية البريطانية، وقتل على إثرها جميع أفراد العائلة المالكة العراقية ومنهم الملك فيصل الثاني وولي العهد عبد الإله ورئيس الوزراء نوري سعيد.
- الزبيدي، محمد حسين، ثورة 14 تموز 1958م في العراق، بغداد، 198م، بدون دار النشر، ص-437 438.
- 21 (*) عبد الكريم قاسم، عبد الكريم قاسم محمد بكر عثمان الزبيدي، ولد في محلة المهديّة ببغداد عام 1914م، تعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب، ثم التحق بمدرسة الرصافة الابتدائية في عام 1927م في، وعين معلماً في محافظة الديوانية إلا أنه لم يستمر أكثر من عام واحد، التحق بالكلية العسكرية ببغداد في عام 1932م، تخرج في عام 1936م، شارك في حرب فلسطين عام 1948م، دخل إلى تنظيم ضباط الأحرار عام 1954م وأصبح رئيساً له عام 1956م، قام بانقلاب ضد الحكم الملكي في تموز عام 1958م، وهو مؤسس الجمهورية العراقية، تسمى المرحلة التي حكم بها العراق 1958-1963م بالعهد الجمهوري الأول، انتهت حكمه بانقلاب قام به حزب البعث والقوميون العرب في 8 يوليو 1963م، تم إعدامه في يوم 9 يوليو 1963م.
- الزهيري، حسين عبد الحسين عباس، موقف مصر من قضايا إمارات الخليج العربية 1952م-1970م، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، 2020م، ط 1، ص 180.
- (20) جريدة الاهلي، الاثنين، 4 يناير، العدد (21)، العراق، 1959م.
- (21) جريدة الاهلي، الاثنين، 5 يناير، العدد (21)، العراق، 1959م.
- (22) رمضان، روح الله، مصدر سبق ذكره، ص32.
- (23) جريدة الاخبار، 16 يوليو، العراق، 1958م.
- (24) جريدة اليقظة، 6 مارس، العراق، 1959م.
- هروبي، مهدي وسميعي، أحمد، مصدر سبق ذكره، ص120.

(25) AbulKalam Azad , Iran-US (united states) Relations Since 1945 , p 62 .

(26) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 4976\311، كتاب السفارة العراقية في طهران الي وزارة الخارجية، الرقم س\ 1\ 1 في 3 كانون الثاني 1956، و 111، ص 272.

(27) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، السجل 4975/311، التاريخ 3/ 10/ 1955 م، و 62، ص 90.
- د. ك. و: ملفات البلاط الملكي، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، التاريخ 19/ 6/ 1956 م، و 18، ص 40.

(28) Stephen McGlinchey, Arming the Shah U.S. Arms Policies Towards Iran, 1950-1979, A thesis submitted to Cardiff University for the degree of Doctor of Philosophy in International Relations, University of the West of England, 2012, p 70-71 .

(29) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 4981/311، كتاب السفارة العراقية في طهران الي وزارة الخارجية، الرقم س/ 95/ 1 في 4 مارس 1958، و 36، ص 49.
(30) ((Stephen M.C. Glinchey, US Arms Policies Towards the Shah's Iran , New york , 2014 , p.16 .

(31) Telegram From the Embassy in Iran to the Department of State , Tehran , July 20, 1958, Cited in : F.R.U.S.,Vol.XII, Footnote 4 , pp. 576 – 577 .

(32) النجار، علاء رزاق فاضل، أثر ثورة 1958م في العراق علي الأوضاع السياسية الداخلية في إيران وعلاقتها الخارجية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، العراق، 2018م، العدد الأول، المجلد الثالث والأربعون، ص 83

(33) جريدة الأهالي، العراق، بغداد، 15 كانون الثاني، 1959م.

(34) جريدة الأخبار، العراق، بغداد، 28 كانون الثاني، 1959م.

(35) د. ك. و، سجلات البلاط الملكي العراقية الديوان الملكي، السفارة الملكية العراقية في واشنطن، رقم الوثيقة 5083/311، و 59، ص 98.

(*) كريستيان هرتر Christian Herter، سياسي ودبلوماسي أمريكي، ولد عام 1859م في باريس من أبوين أمريكيين، تخرج من جامعة هارفارد عام 1915م، حصل علي شهادة البكالوريوس في العلاقات الدولية، انضم إلى وزارة الخارجية الأمريكية عام 1917م، بعد عامين أصبح مساعده ربرت هوفر الذي كان مديراً لإدارة الإغاثة الأمريكية للمدة (1931م- 1941م) أصبح عضواً في مجلس النواب الأمريكي، بعد ذلك عضوا في مجلس الشيوخ لمدة عشرة أعوام، ثم نائباً لوزير الخارجية الأمريكي عام 1957م، و وزيراً للخارجية الأمريكية للمدة 1959م- 1961م)، توفي عام 1966م.

- Dwight Eisenhower : Burton I. Kaufman, Diane Kaufm, Historical Dic-

tionary of the Eisenhower ، UK ، 2009. P.161

(1*) روبرت اندرسون Robert Bernard Anderson، ولد في ولاية تكساس عام 1910م، حصل علي البكالوريوس في القانون من جامعة تكساس في عام 1932م، وأثناء الحرب العالمية الثانية شغل منصب مستشار لوزير البحرية الأمريكية، ثم أصبح وزيراً للبحرية خلال عامي 1953م- 1954م، ثم وزيراً للمالية خلال الأعوام 1957م- 1961م، توفي عام 1989م.

- Dwight Eisenhower : Burton I. Kaufman, Diane Kaufm, Historical Dictionary of the Eisenhower ، UK ، 2009. P.8-9..

(36) Memorandum of Discussion at the 386th Meeting of the National Security Council ، Washington ، November 13، 1958 ، Cited in : F.R.U.S.,Vol.XII، pp. 603 - 604 .

(37)د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، الرقم س / 47 / 1، التاريخ 27 / 1 / 1958م، 19، ص 27

FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES، 1952-1954، IRAN، 1951-1954، VOLUME X.

National Security Council Report ، Washington ، November 15، 1958 ، Cited in : F.R.U.S.,Vol.XII، p. 607 .

(38)Memorandum From the Assistant Secretary of State for Near Eastern and South Asian Affairs (Rountree) to the Under Secretary of State for Economic Affairs (Dillon) ، Washington ، December 3، 1958 ، Cited in : F.R.U.S.,Vol.XII، pp. 616 - 617 .

(39) Stephen McGlinchey. US Arms Policies Towards the Shah's Iran ، New york ، 2014، p18.

(40)الربيعي، نزار كريم جواد، العلاقات الإيرانية - الأمريكية 1953م-1979م، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة لمعهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات التاريخية، بغداد، العراق، 2004م، ص 77-78

(41)صادقي، حسن أمير، الأمن في الخليج العربي، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد، 1984م، ص 129.

(42)48 (42)البدر، شامل عناد حسن، العلاقات الإيرانية- السوفيتية (1951م-1979م)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 2006م، ص 123.

(43) Foreign Relations Of the United States، 1958-1960، Near East Region; Iraq; Iran; Arabian peninsula، volume xii، available at.

(44)Kristen Blake: The U.S.-Soviet Confrontation in Iran، 1945-1962: A Case in the Annals of the Cold War، previous source ، p122 .

(45)foreign relations of the united states. 1958-1960، near east region; Iraq; Iran; Arabian peninsula. volume xii. available at :

(46) <https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1958-60v12/d261>

(47) foreign relations of the united states. 1958–1960. near east region;

Iraq; Iran; Arabian peninsula. volume xii. available at available at :

<https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1958-60v12/d261>

(*) معاهدة 1921م، وقعّ الاتحاد السوفيتي مع إيران اتفاقية عرفت بمعاهدة الصداقة وقد ألغت هذه المعاهدة مواد معاهدة تركمنشاي التي وقعت عام 1828م والتي انتهكت فيها حقوق إيران، تمّ التأكيد فيها على حق البلدين في الملاحة في بحر الخزر بشكل مشترك ومع هذا لم يكن لإيران في تلك الفترة أي نوع من الملاحة في هذا البحر وتمكن الاتحاد السوفيتي بهذه المعاهدة من وقف المدّ الإيراني في بحر الخزر كما سيطر على كل المياه الإيرانية عن طريق قواعده البحرية في هذا .

- محمد، ضياء عبد المحسن، الجغرافيا البولوتيكية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2015م، ط 1، ص 361

(48) كوتام، ريتشارد ديليو، القومية في إيران، ترجمة محمود فاضل الخفاجي، بغداد، 1978م، ص 356.

(49) نزاد، مرتضي دهقان، وآخرون، تبين وضعيتسياست خارجي إيران ونقش وزيران امور خارجه، كنجين اسناد، شره 83، دوره 21، شماره 4 زمستان 1390هـ، ص 38.

(50) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، القنصلية الملكية العراقية، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، السجل 311/4979، الرقم 2 / 1 / 110، التاريخ 19 / 2 / 195م، و73، ص 119

(51) Telegram From the Department of State to the Embassy in Iran ، Washington, January 30، 1959. Cited in : F.R.U.S., Vol.XII. pp. 627 – 629.

(52) صحيفة الأخبار، العراق، بغداد، 13 شباط، 1959م.

(53) لنجار، علاء رزاق فاضل، مصدر سبق ذكره، ص 88.

جيوغرفي هاريسون Geoffrey Harrison، دبلوماسي وسياسي بريطاني، ولد في 18 يوليو 1908م في المملكة المتحدة، وتوفي في 12 أبريل 1990م، انتخب سفيراً للمملكة المتحدة لدى البرازيل (1956م – 1958م)، سفيراً للمملكة المتحدة لدى إيران (1958م – 1963م)، توفي عام 1990م عن عمر يناهز 81 عاماً.

-West, Nigel, Historical dictionary of cold war counterintelligence.

Lanham, Md.: Scarecrow Press, 2007 , p 155

(54) foreign relations of the united states. 1958–1960. near east region;

Iraq; Iran; Arabian peninsula. volume xii. available online at :

(55) <https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1958-60v12/d266>

(56)foreign relations of the united states. 1958–1960، near east region;

Iraq; Iran; Arabian peninsula. volume xii. available online at :

(57)<https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1958-60v12/d266>

(58)Kristen Blake: The U.S.–Soviet Confrontation in Iran, 1945–1962: A Case in the Annals of the Cold War. previous source ، p 123 .

(*)أبو الحسن ابتهاج، ولد في 1899م في مدينة رشت الإيرانية، إكمال دراسته الابتدائية فيها ثم انتقلت عائلته الي طهران، ثم أرسله والده إلي باريس للدراسة، حيث تعلم اللغة الفرنسية وعاد إلي إيران عام 1921م، في عام 1940م أصبح المفتش العام في البنك الوطني الإيراني، مستشار لصندوق النقد الدولي في عام 1952م، ثم رئيساً للصندوق في منطقة الشرق الأوسط، وعاد بعدها إلي إيران في عام 1954م، عين رئيساً للتخطيط العمراني في إيران، إذ أجري عدة تغييرات في هذا البرنامج، وكانت له بصمات واضحة فيه، وبسبب مواقفه المتشددة من الفساد ازداد معارضيه واعدائه توفي 1999م.

- ابتهاج، أبو الحسن، خاطرات أبو الحسن ابتهاج، چاپ اول، تهران، 1371هـ ص78.

(59) Kristen Blake ، p 123 .

(60)آرثر وليام راد فورد Arthur waradford، قائد عسكري أمريكي في البحرية الأمريكية، ولد 1896م، توفي في 17 أغسطس 1973م، شارك في الحرب العالمية الأولى وحرب المحيط الهادئ في فترة الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا. - <https://ar.wikipedia.org/wiki- الساعة10:26pm> / تاريخ الزيارة : 25 فبراير ، 2020 م ،

(61) Kristen Blake ، p 123 .

(62)قاسم، مشتاق مال الله، المعاهدة الأمريكية الإيرانية 1957م-1959م، مجلة الدراسات الجغرافية والبيئية، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، العراق، 2016م، العدد الخامس، ص 106

(63)رمضاني، روح الله، مرجع سبق ذكره، ص305.

(64)جريدة الرأي العام، العراق، بغداد، 10 تشرين الثاني، 1958م.

- قاسم، مشتاق مال الله، المرجع السابق ذكره، ص 106.

James A. Bill ، the eagle and the lion : the tragedy of American -Iranian relations ، USA ، library of congress cataloging ، 1988 ، p 119 .

(65)تخشيد، محمد رضا، ومقدم جهانشير منصور، سياست امنيت ملي أيزنهاور وتأثير أن بر سياست خارجي ايالات متحده در قبال إيران، فصلنامهمسياست، دوره 38، شماره 4، زمستان 1387، ص 142-143.

(66) دار الكتب والوثائق العراقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 311/4978، كتاب القنصلية الملكية العراقية في كرمشاه الي السفارة العراقية في طهران، الرقم س/ 103/ 1 في حزيران 1957م، و 48، ص98.

(67)gulhanerdogan.An Analysis Of the relations Between Iran And The USA During The Pahlavi Era By Use Of Alliance Theories. A Master's Thesis. Department of International Relations IhsanDogramacıBilkent University Ankara July, 2014, p96 .

(68)رمضاني، روح الله، مرجع سبق ذكره، ص 32.

Gillian King, Documents on International Affairs 1959, (London –1963), p. 342.

(69) جريدة الرأي العام، بغداد، 10 نوفمبر، العراق، 1985م.

(70)United States. Congress.Senate.Committee on Appropriations ، Department of Defense. Chairman. Joint Chiefs of Staff ، 1970 ، p 53 .

(71) اسناد معادات دو جانبه بإيران با ساير دول، جلد روم(18).

United Nations. Treaties and international agreements registered or filed and recorded with the Secretariat of the United Nations ، Volume 327 ، 1959 ، p 208 .

(72)اسناد معادات دو جانبه بإيران با ساير دول، جلد روم(18)، مصدر السابق ذكره .

(73)Lenczowski, G, United States' Support for Iran's Independence and Integrity, 1945–1959. The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science, Vol 401 ، No (1)، 1972 ، p 45–55.

(74)سناد معادات دو جانبه بإيران با ساير دول، جلد روم(18)، المصدر السابق ذكره .

(75)حداد، سلمى، مرجع سبق ذكره، ص88.

(76) جريدة اتحاد الشعب، بغداد، العراق، 6 مارس، 1959م.

(77)اليافعي، فائقة عبدالله صالح، التطور التاريخي للنفوذ الامريكى وأثاره علي منطقة الخليج العربي 1945م-1991م، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآداب، جامعة بيروت العربية، لبنان، 2010م، ص35.

(78) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، السجل 4976/311، و11، ص25.

- د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، السجل 4975/311، و11، ص24

(79)الكليدار، أنيس محمد حسن مصطفى، المؤسسة العسكرية الإيرانية، دراسة عسكرية سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لمعهد الدراسات الأسيوية والافريقية، العلوم السياسية، بغداد، 1988م، ص64.

(80)المرجع السابق نفسه، ص 65.

.U.S Milted Equipment, sold to Iran, 1941–1979, p6(81)

(82) (United States of America : Treaties and Other International Acts Series 2967.

*لان الرئيس الامريكى هاري ترومان عدّ إيران إلى جانب تركيا واليونان خط الدفاع الأول المحفوف بالمخاطر في وجه تغلغل النفوذ السوفيتي في الشرق الاوسط. - العقاد،صلاح، السياسة الإيرانية والاستعمار الجديد، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، 1969م، العدد(4)، ص270.

(83)فرحات، إيمان، الأبعاد السياسية والعسكرية لمشروع النقطة الرابعة الأمريكية في لبنان 1951م-1964م،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآداب، جامعة بيروت العربية، ، بيروت، 2007م، ص258.

(84)د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، السجل 4973/311، الرقم س / 1 / 951، التاريخ 25 / 11 / 1954م، و18، ص44.

(85) جريدة الأهالي،العراق، الأثنين، 8 كانون الاول، 1958م.

(86)الزبيدي، نذير هارون، العلاقات الإيرانية الأمريكية في عهد محمد رضا شاه، بغداد،العراق، (د.ت)، ص30-31.

(87)محمد، فوزية صابر، التطورات السياسية الداخلية في إيران 1951م-1963م، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة لكلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 1993م، ص245-246.

(88)د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، و106، ص262.

(89) مليحة، نبيلة محمود ذيب،مرجع سبق ذكره،ص130.

(90) دار الكتب والوثائق العراقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 4976/311، كتاب السفارة العراقية في طهران الي وزارة الخارجية، الرقم 11، 2 / 1 / 185، حزيران 1956م، و 11، ص25.

(91)د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 4976/311، كتاب السفارة العراقية في طهران الي وزارة الخارجية، الرقم 11، 2 / 1 / 185، في 11 حزيران 1956م، وثيقة رقم 11، ص26.

(92) جريدة الرأي العام، بغداد،العراق، 10 تشرين الثاني، 1958م.

(93)صاغية، حازم، صراع الإسلام والبترول في إيران، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م، ص51.

(94) ((U.S Milted Equipment, sold to Iran, 1941-1979, p6.

(95)ليحة، نبيلة محمود ذيب، مرجع سبق ذكره، ص67.

(96)جريدة اتحاد الشعب، بغداد،العراق، 6 إزار، 1959م.

(97)SIPRI , the arms, trade, with the third, 1971.pp. 840-842.

(98)القيسي، محمد وائل،مكانة العراق في الاستراتيجية الأمريكية تجاه الخليج العربي دراسة مستقبلية، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الدوحة، 2013م، ط 2، ص47.

- (99) القوزي، محمد علي، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002م، ط 1، ص 256.
- (100) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، القنصلية الملكية العراقية في خورستان، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، الرقم 1 / 1 / 213، التاريخ 12 / 21 / 1955م، ص 16.
- د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، القنصلية الملكية العراقية في خورستان، السفارة العراقية في طهران، وزارة الخارجية، السجل 4975 / 311، و 16، ص 21.
- (101) بيرسون، توماس أ.، العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط من 1784م الي 1975م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، دمشق، 1985م، ط 1، ص 385-386.
- (102) الغنيمي، محمد طلعت، البترول العربي وأزمة الشرق الأوسط (كتاب الساعة)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون تاريخ، ص 126.
- (103) القوزي، محمد علي، مرجع سبق ذكره، ص 257.
- (104) قلججي، قدوري، أمريكا وخطرة القوة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م-1992م، ص 117.
- (105) المرجع السابق نفسه، ص 112.
- (106) دار الكتب والوثائق العراقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 4976 / 311، كتاب السفارة العراقية في طهران الي وزارة الخارجية، الرقم 110 / 1 / 2 في 29 شباط 1956م، وثيقة رقم 73، ص 199.
- (107) ((THE DEPARTMENT, OF STATF. WASHGTON, A MMBASSY, THHRAN, Subject, Iran's, Secord, seven-year, Development, 30 April, 19 , 1954, Dandy 7, DE patch, 32, of July, 16, 1955.
- (108) جريدة الأخبار، بغداد، العراق، 17 حزيران، 1956م.
- (109) جريدة الأخبار، بغداد، العراق، 3 تموز، 1958م.
- (110) التميمي، زينب عباس حسن، تاريخ الملف النووي الإيراني وانعكاساته علي العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وأمن المنطقة العربية حتي عام 2003م، مجلة آداب البصرة، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 2015م، العدد 74، ص 91.

الطاقة المتجددة من الماء الجاري الإيجابيات والسلبيات (سد النهضة، إثيوبيا نموذجاً)

كلية الجغرافيا - جامعة الخرطوم

أ.د. عوض أحمد الحفيان

مقدمة:

أصبحت محطات الطاقة الكهرومائية المركزية نعتير من العمليات الإقتصادية مع تطور عملية نقل الكهرباء للتيار الكهربائي، وذلك عن طريق استخدام المحولات الكهربائية التي تنقل الكهرباء. الطاقة الكهرومائية هي طاقة كهربائية يتم توليدها عبر السدود من الطاقة المائية الكامنة في قوة جريان النهر. وتعتبر هذه الطاقة من الطاقات النظيفة والصديقة للبيئة. وتقوم المحطات التي تولد الطاقة بتوليد الطاقة الكهرومائية بواسطة توربينات تعمل بطاقة الماء المندفح، والمجوز وراء سد يتم حجز الماء خلفه حتى يرتفع الماء وراءه لينحدر من على توربينات معدة خصيصاً لغرض توليد الطاقة الكهربائية النظيفة والصديقة للبيئة. يعبر مصطلح الطاقة الكهرومائية عن الطاقة الكهرومائية الناتجة عن تحويل طاقة الوضع الكامنة في قوة اندفاع الماء النهري والشلالات والأمواج والسدود إلى طاقة حركية، ثم تحويل هذه الطاقة الحركية إلى طاقة كهربائية. وعادة ما تستعمل السدود في توليد الكهرباء، وفي الخطوات الآتية كيفية توليد الطاقة الكهرومائية من الماء: تبني معظم السدود لغرض توليد الطاقة، مع الحرص على عدم الإضرار بحصة الدول المشاركة في النهر. وكذلك تبني تحت مفهوم (سد متعدد الأغراض) أي سد يقوم بحجز الماء لتوليد الطاقة + توفير الماء للدول في النطاق السفلي للنهر، مثل حالتي دولتي السودان ومصر. ويتم في مثل هذه السدود تصميم فتحات للسد تعرف بفتحات (Sluice) وذلك للسماح للماء بالجريان للزمام السفلي من النهر (السودان+ مصر).. وتتم إدارة تلك الفتحات بشكل متوازن يضمن عدم تخفيض عمود الماء الهيدروليكي اللازم لتشغيل التوربينات في نفس الوقت ضمان حصول الدول أسفل الزمام من حصتها في ماء النهر. أما في حالة الفيضان فيتم فتح البوابات جميعها، بالإضافة لفتحات الفيضان المعروفة بـ Spillway وذلك للتخلص في أسرع وقت من مياه الفيضان، خشية زيادة الأحمال على السد وإنهياره. عندئذ سيجد الماء الخارج بشكل تصاعدي من فتحات السد (Sluice) يغلب عليه اللون الأسود، بسبب سحبه الطمي من قاع البحيرة. في حين يكون الماء الهابط من الـ (Spillway) نظيفاً لأنه يسحب من سطح البحيرة وليس قاعها.

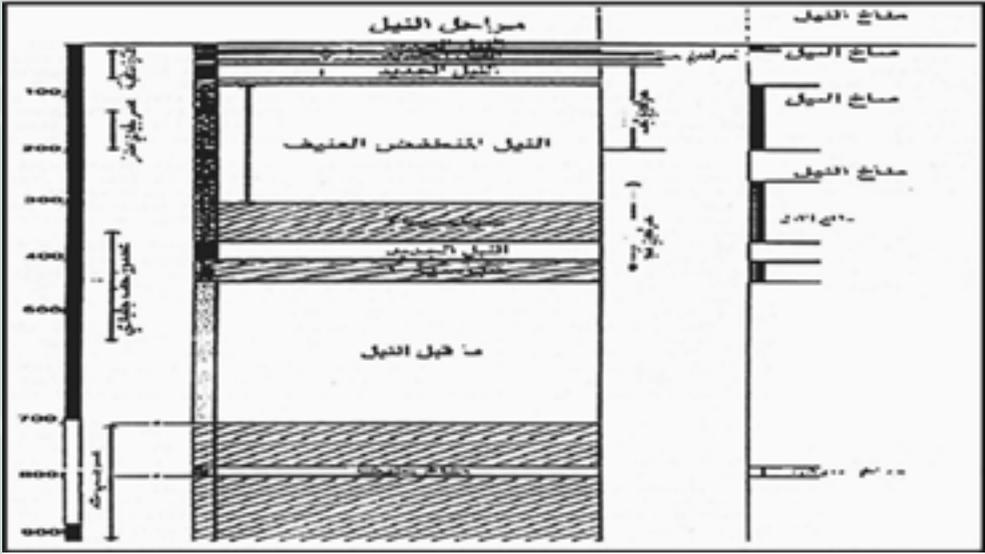
كيف يتم توليد الطاقة الكهرومائية المتجددة من السدود skroW rewopordyH woH

- في البداية يمتلك الماء في مجرى مائي معين طاقة وضع كامنة مُحفظ بها بداخله.
- يتم بناء حاجز مائي ضخم أو ما يسمّى بالسد لحجز الماء الجاري من جريانه، وبذلك تكمن طاقة الوضع في داخله.
- يتم بناء بحيرة اصطناعية ضخمة في أسفل الحاجز المائي.
- يُفتح المنفذ المائي المحتجز للماء، فتندفق المياه بفعل قوة الجاذبية الأرضية إلى الأسفل.
- بذلك تكون الطاقة الكامنة كلها تقريباً تحولت إلى طاقة حركية.

- تقوم هذه الطاقة الحركية بإدارة التوربين الموجود.
- يعمل التوربين على تشغيل المولد الكهربائي بدوره، وبذلك نشأ تيار كهربائي.
- يتم إنشاء محطات للطاقة الكهربائية عملها الأساسي هو توزيع الطاقة الكهربائية إلى المستهلك.

النيل وخصائص مجراه: مائة نهر النيل: تسمية نهر النيل:

تختلف تسميات نهر النيل عند المنابع ويرفده عدّة أنهار أهمها النيل الأبيض الذي ينبع من بحيرة فيكتوريا التي تمتد على الحدود الأوغندية والكينية والتزانية، والرافد الثاني هو النيل الأزرق الذي ينبع من بحيرة تانا بأثيوبيا، وتلتقي هذه الروافد بالخرطوم العاصمة السودانية، ويستمر النهر في مجراه باتجاه الشمال حتى يقترب من البحر الأبيض المتوسط إذ يتفرّع إلى فرعين هما دمياط والرشيد مكونا دلتا بين الفرعين.
تكوين النيل جيولوجيا عبر الحقب الجيولوجية (الشكل 1):



يُعدّ نهر النيل أطول الأنهار في العالم، إذ يصل طوله إلى أكثر من 6,600 كيلومتراً من منبعه حتّى وصوله إلى البحر الأبيض المتوسط، وقد استُخدمت مياهه منذ آلاف السنين كمصدر لريّ المزرعات، وتحويل المناطق الجافة المحيطة به إلى أراضٍ زراعيّة خصبة، ولا زال يُستخدم في الوقت الحاضر في ريّ المزرعات، كما أنّه يُستخدم في النقل والتجارة. وتعد بحيرة فيكتوريا أهم منبع لنهر النيل بالرغم من تواجد العديد من المصادر له، إذ يتدفّق نهر النيل من بحيرة فيكتوريا باتجاه الشمال عبر شلالات ريبون المتواجدة في منطقة جينجا

في أوغندا إلى بحيرة كيوجا، ثم يتجه نحو الغرب قبل أن يصب في بحيرة ألبرت عبر نهايتها الشماليّة، ثمّ يتجه النهر نحو الشمال ويدخل جنوب السودان متجهاً شمالاً. ينبع نهر النيل الأبيض من بحيرة فكتوريا، التي تُعدّ أكبر البحيرات في إفريقيا، إذ تُطل على عدّة دول، وهي: أوغندا، وكينيا، وتنزانيا، ولكن بحيرة فيكتوريا ليست المنبع الوحيد لنهر النيل الأبيض؛ إذ إنّ هناك العديد من الأنهار التي تُغذيّ هذه البحيرة، والتي تقع في الجبال المحيطة بها، حيث قال المُستكشف البريطانيّ نيل ماكجريجور أنّه سافر إلى أبعد مصدر للنيل في بداية نهر كاجيرا، الذي يُعد أطول نهر تغذية للبحيرة، ومع ذلك كله لا يتفق الخبراء على أيّ رافد من روافد هذا النهر هو الأطول، والأكثر بعداً عن النيل، فالآراء تتباين حول نهر روفيرونزا في بوروندي، أو نهر نيابارونجو من غابة نيونغوي في رواندا.

منجهته، ينبع نهر النيل الأزرق من بحيرة تانا التي تقع في إثيوبيا، حيث يلتقي هذا النهر مع نهر النيل الأبيض بالقرب من العاصمة السودانيّة الخرطوم، وبعدها يتدفّق شمالاً عبر الصحراء المصريّة، حتّى يصل إلى دلتا النيل الكبيرة، ويتفرّع هناك إلى فرعين رئيسيين قبل أن يصب في البحر الأبيض المتوسط مباشرة، وهما: فرع رشيد إلى الغرب، وفرع دمياط إلى الشرق.

السياسة الهيدرولوجية:

كانت الانفعالات والشكاوى في البلدان الثلاثة أيضاً محور الجلسة الثانية حول نهر النيل، والتي تناولت دور العواطف وتأثيرها على السياسة المائية في الحوض. ونظراً لأنّ السدود غالباً ما تستحضر مشاعر قوية تتعلق بالتحكم في المياه، تم تسليط الضوء على العديد من أوجه التشابه بين سد النهضة والسد العالي في أسوان طوال الجلسة.

بعد ربط فكرة سد النهضة باعتباره مشروع تنميةٍ وطني اتجاهاً منتشرًا جداً في وسائل الإعلام الأثيوبية، حيث ربط العرض الذي قدمته ياسمين حافظ مشروع السد بفرصة إثيوبيا للتغلب على عدد من المظالم الوطنيّة. حيث تتجذر المظالم التاريخيّة تجاه مصر بشكلٍ خاص في تصور الأثيوبيين تعرضهم لمظالم كبيرة بعد أن تلقت مصر مساعدة اقتصادية ودبلوماسية من حكماها البريطانيّين خلال الحقبة الاستعماريّة، مما أدى إلى اتفاقات مربحة بشأن النيل وغيرها من القضايا المركزيّة. وبالتالي، يُنظر إلى التنمية الاقتصاديّة وتنامي القوة الإقليميّة التي يوفرها سد النهضة للإثيوبيين باعتبارها وسيلة "للحاق بركب" مصر وبرهنة أن إثيوبيا دولة مشاطئة أقوى في حوض النيل. إن مشاعر كهذه موجودة في كل مكانٍ في عالم السياسة المائيّة بالمجمل، وفي

حوض النيل على وجه الخصوص. ففي عرضه التقديمي حول قوة العواطف في السياسة المائية، قدم ندوسن ميكاجو سيد مصطلح "الخوف المائي"، الذي يعترف بالدور المركزي الذي يلعبه الخوف في الحوض. يشمل هذا كلاً من خوف دول المصب التي ترى نفسها تحت رحمة أولئك الذين يسيطرون على السد والخوف الذي يدفع دول المنبع إلى بناء سدٍ في المقام الأول، من أجل حماية أنفسهم من ندرة المياه والتصعيد السياسي من خلال زيادة قدرات تخزين المياه المحلية. يمكن أن تؤدي هذه المخاوف إلى تأجيج الصراع عندما يستغلها الزعماء السياسيون لتبرير تأمين موارد المياه. إن العلاقة الوثيقة بين النيل والهويات الوطنية في الحوض تجعل المنطقة معرضة بشكلٍ خاص لمثل هذا التصعيد.

يمثل التسييس والعواطف القوية المرتبطة بالنيل تحديين يجب معالجتهما من أجل التحرك نحو حل النزاع في الحوض. على الرغم من وجود بعض الخطابات التصالحية بين دول المشاطئة على مدى السنوات الماضية، إلا أنه لم يتحقق أي تقدم فعلي يذكر. فقد أدت الاختلافات في التوقعات تجاه التعاون، بما في ذلك القضايا ذات الأولوية والآليات، إلى زيادة تعقيد الاتفاقات الفعالة بين إثيوبيا والسودان ومصر. وفي عرضها الختامي، تحرّت إميلي بروك السبل الممكنة للانتقال من الوضع الراهن إلى حلٍ للنزاع بما يعود بالفائدة على جميع بلدان المشاطئة. قد تتمثل إحدى هذه السبل بخلق "فرض مغرية متبادلة" تكون جيدة إلى الحد الذي لا يمكن لأي دولة مشاطئة تفويتها. تتمثل مثل هذه الفرصة، بحسب بروك، بإنشاء "حوض موارد" تتقاسم فيه دول المشاطئة موارد مختلفة عبر الحوض، وبالتالي فتح باب التفاوض ليشمل قضايا خارج نطاق المياه. ومع ذلك، أضافت أن هيمنة المصالح الوطنية وخطاب الأمانة بين دول المشاطئة يشير إلى أنهم غير مستعدين حالياً للانخراط في مثل هذه التسويات

صياغة نهر النيل في الإعلام والخطاب السياسي:

من خلال جلستين مخصصتين وعدد من التنويهات خلال العروض التقديمية الأخرى، احتل حوض النيل مركز الصدارة خلال المؤتمر، مع تركيز قوي على وصف وصياغة النيل وسد النهضة الإثيوبي الكبير في الإعلام والخطاب السياسي. في الجلسة الأولى، حلل مقدمو العروض تمثيل النيل في وسائل الإعلام المختلفة في إثيوبيا والسودان ومصر. عادةً ما تتحد المنظمات الإعلامية الإثيوبية، بحسب تحليل يشيواواس ديغو، حول موضوع "النيل وسد النهضة"، حيث يُقدم السد كمحركٍ للتنمية الوطنية ومثالاً للفخر. وعلى المستوى الدولي، يُنظر إلى الرؤية

الإثيوبية لكل من النهر والسد على أنها واحدة من مشاريع "الوحدة الإفريقية"، حيث يعد النيل مساحة للتعاون ولا يعد سد النهضة مجرد مشروع إثيوبي، بل مشروعاً لعموم أفريقيا. وعلى العكس من ذلك، يُظهر الإعلام المصري عملية تسييس قوية للنيل، وهو ما تؤكد مركزية النيل بالنسبة لمصر. فقد وجدت كل من عبير تابعي ولما الحتو أن هذه المركزية تشمل جانباً سياسياً، قائماً على مفاهيم الأمن المائي واعتماد مصر على مياه النيل؛ وهو جانبٌ ثقافي يتمحور حول العلاقات القوية بين الهوية المصرية والنهر؛ والجانب البيئي الذي يشمل الحاجة إلى الحفاظ على المياه على أساس أهميتها السياسية والثقافية. وفي حين أن وسائل الإعلام الإثيوبية والمصرية موحدة في رواياتها السائدة، لاحظ تامر عبد الكريم أن وجهات نظر الإعلام السوداني أكثر تنوعاً. إن فكرة الخطر وعدم اليقين المتعلقة بسد النهضة أمر شائع جداً في التغطية الصحفية للسد، ولكن هناك مجموعة من التفسيرات والتوقعات للمستقبل.

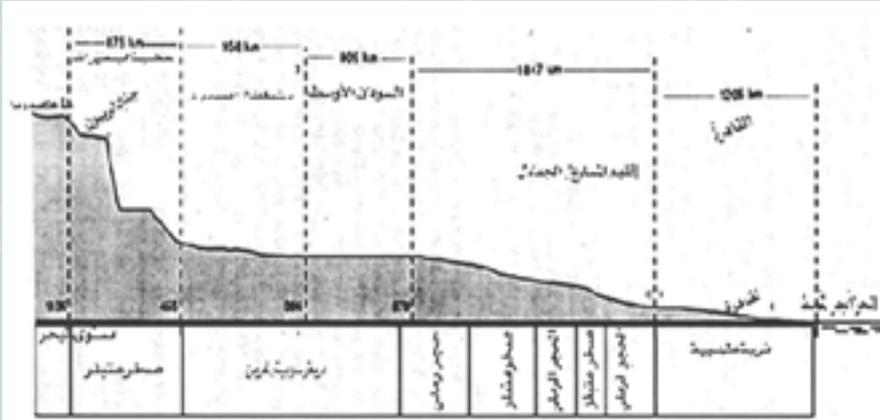
بالإضافة إلى اختلاف الروايات نفسها، تركز دراسة مقارنة أجزائها وندوسن ميكاجو سيد على المشاعر السائدة التي تم التذرع بها في التغطية الصحفية في إثيوبيا ومصر. ووجدت الدراسة أن وسائل الإعلام في كلا البلدين غالباً ما تستخدم الروايات المرتبطة بالغضب. وفي بعض الأحيان، تثير المقالات أيضاً التعاطف مع الدولة الأخرى واحتياجاتها المائية المتعلقة بالنيل، ومع ذلك، لا ينبغي السماح بتلبية هذه الاحتياجات على حساب دولة وسيلة الإعلام. فقد وجد أن وسائل الإعلام الإثيوبية في كثير من الأحيان تستند في روايتها على مفاهيم الشعور بالفخر الوطني والتوق إلى الماضي، في حين أن وسائل الإعلام المصرية تميل إلى تقديم قضية السياسة المائية للنيل من منظور الخوف والقلق. كانت الانفعالات والشكاوى في البلدان الثلاثة أيضاً محور الجلسة الثانية حول نهر النيل، والتي تناولت دور العواطف وتأثيرها على السياسة المائية في الحوض. ونظراً لأن السدود غالباً ما تستحضر مشاعر قوية تتعلق بالتحكم في المياه، تم تسليط الضوء على العديد من أوجه التشابه بين سد النهضة والسد العالي في أسوان طوال الجلسة. يعد ربط فكرة سد النهضة باعتباره مشروع تنمية وطني اتجاهاً منتشرًا جداً في وسائل الإعلام الإثيوبية، حيث ربط العرض الذي قدمته ياسمين حافظ مشروع السد بفرصة إثيوبيا للتغلب على عدد من المظالم الوطنية. حيث تجذر المظالم التاريخية تجاه مصر بشكل خاص في تصور الأثيوبيين تعرضهم لمظالم كبيرة بعد أن تلقت مصر مساعدة اقتصادية ودبلوماسية من حكماها البريطانيين خلال الحقبة الاستعمارية، مما أدى إلى اتفاقات مربحة بشأن النيل وغيرها من القضايا المركزية. وبالتالي، يُنظر إلى التنمية الاقتصادية وتنامي القوة الإقليمية التي يوفرها

سد النهضة للإثيوبيين باعتبارها وسيلة "للحاق بركب" مصر وبرهنة أن إثيوبيا دولة مشاطئة أقوى في حوض النيل. إن مشاعر كهذه موجودة في كل مكان في عالم السياسة المائية بالمجمل، وفي حوض النيل على وجه الخصوص. ففي عرضه التقديمي حول قوة العواطف في السياسة المائية، يعدّ ربط فكرة سد النهضة باعتباره مشروع تنمية وطني اتجاهاً منتشرًا جداً في وسائل الإعلام الأثيوبية، حيث ربط العرض الذي قدمته ياسمين حافظ مشروع السد بفرصة إثيوبيا للتغلب على عدد من المظالم الوطنية. حيث تتجذر المظالم التاريخية تجاه مصر بشكل خاص في تصور الأثيوبيين تعرضهم لمظالم كبيرة بعد أن تلقت مصر مساعدة اقتصادية ودبلوماسية من حكامها البريطانيين خلال الحقبة الاستعمارية، مما أدى إلى اتفاقات مربحة بشأن النيل وغيرها من القضايا المركزية. وبالتالي، يُنظر إلى التنمية الاقتصادية وتنامي القوة الإقليمية التي يوفرها سد النهضة للإثيوبيين باعتبارها وسيلة "للحاق بركب" مصر وبرهنة أن إثيوبيا دولة مشاطئة أقوى في حوض النيل. إن مشاعر كهذه موجودة في كل مكان في عالم السياسة المائية بالمجمل، وفي حوض النيل على وجه الخصوص. ففي عرضه التقديمي حول قوة العواطف في السياسة المائية.

يعدّ ربط فكرة سد النهضة باعتباره مشروع تنمية وطني اتجاهاً منتشرًا جداً في وسائل الإعلام الأثيوبية، حيث ربط العرض الذي قدمته ياسمين حافظ مشروع السد بفرصة إثيوبيا للتغلب على عدد من المظالم الوطنية. حيث تتجذر المظالم التاريخية تجاه مصر بشكل خاص في تصور الأثيوبيين تعرضهم لمظالم كبيرة بعد أن تلقت مصر مساعدة اقتصادية ودبلوماسية من حكامها البريطانيين خلال الحقبة الاستعمارية، مما أدى إلى اتفاقات مربحة بشأن النيل وغيرها من القضايا المركزية. وبالتالي، يُنظر إلى التنمية الاقتصادية وتنامي القوة الإقليمية التي يوفرها سد النهضة للإثيوبيين باعتبارها وسيلة "للحاق بركب" مصر وبرهنة أن إثيوبيا دولة مشاطئة أقوى في حوض النيل. إن مشاعر كهذه موجودة في كل مكان في عالم السياسة المائية بالمجمل، وفي حوض النيل على وجه الخصوص. ففي عرضه التقديمي حول قوة العواطف في السياسة المائية، قدم وندوسن ميكاجو سيد مصطلح "الخوف المائي"، الذي يعترف بالدور المركزي الذي يلعبه الخوف في الحوض. يشمل هذا كلاً من خوف دول المصب التي ترى نفسها تحت رحمة أولئك الذين يسيطرون على السد والخوف الذي يدفع دول المنبع إلى بناء سد في المقام الأول، من أجل حماية أنفسهم من ندرة المياه والتصعيد السياسي من خلال زيادة قدرات تخزين المياه المحلية. يمكن أن تؤدي هذه المخاوف إلى تأجيج الصراع عندما يستغلها الزعماء السياسيون لتبرير تأمين موارد المياه. إن حوض

النيل. إن مشاعر كهذه موجودة في كل مكان في عالم السياسة المائية بالمجمل، وفي حوض النيل على وجه الخصوص. ففي عرضه التقديمي حول قوة العواطف في السياسة المائية، قدم ندوسن ميكاجو سيد مصطلح "الخوف المائي"، الذي يعترف بالدور المركزي الذي يلعبه الخوف في الحوض. يشمل هذا كلاً من خوف دول المصب التي ترى نفسها تحت رحمة أولئك الذين يسيطرون على السد والخوف الذي يدفع دول المنبع إلى بناء سدٍ في المقام الأول، من أجل حماية أنفسهم من ندرة المياه والتصعيد السياسي من خلال زيادة قدرات تخزين المياه المحلية. يمكن أن تؤدي هذه المخاوف إلى تأجيج الصراع عندما يستغلها الزعماء السياسيون لتبرير تأمين موارد المياه. إن العلاقة الوثيقة بين النيل والهويات الوطنية في الحوض تجعل المنطقة معرضة بشكل خاص لمثل هذا التصعيد.

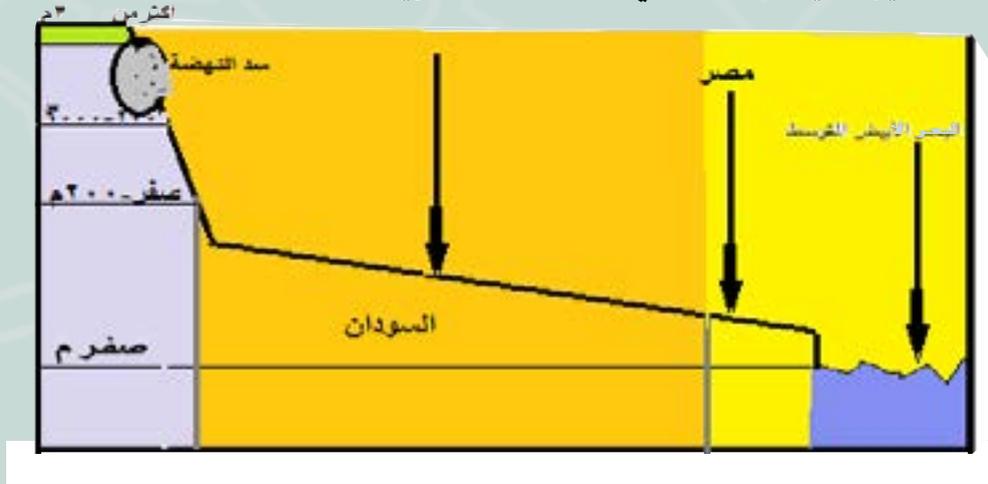
الشكل (2): مراحل النيل من المنبع إلى المصب:



يمثل التسييس والعواطف القوية المرتبطة بالنيل تحديين يجب معالجتهما من أجل التحرك نحو حل النزاع في الحوض. على الرغم من وجود بعض الخطابات التصالحية بين دول المشاطئة على مدى السنوات الماضية، إلا أنه لم يتحقق أي تقدم فعلي يذكر. فقد أدت الاختلافات في التوقعات تجاه التعاون، بما في ذلك القضايا ذات الأولوية والآليات، إلى

زيادة تعقيد الاتفاقات الفعالة بين إثيوبيا والسودان ومصر. وفي عرضها الختامي، تحرّت إميلي بروك السبل الممكنة للانتقال من الوضع الراهن إلى حل للنزاع بما يعود بالفائدة على جميع بلدان المشاطئة. قد تتمثل إحدى هذه السبل بخلق "فرض مغرية متبادلة" تكون جيدة إلى الحد الذي لا يمكن لأي دولة مشاطئة تفويتها. تتمثل مثل هذه الفرصة، بحسب بروك، بإنشاء "حوض موارد" تتقاسم فيه دول المشاطئة موارد مختلفة عبر الحوض، وبالتالي فتح باب التفاوض ليشمل قضايا خارج نطاق المياه. ومع ذلك، أضافت أن

هيمنة المصالح الوطنية وخطاب الأمانة بين دول المشاطئة يشير إلى أنهم غير مستعدين حالياً للانخراط في مثل هذه التسويات.



سد النهضة:

تعود الأصول التاريخية لفكرة سد النهضة إلى عقد الأربعين من القرن العشرين، عندما حدد مكتب الاستصلاح الأمريكي 26 موقعاً لإقامة سدود في إثيوبيا، على رأسها أربعة سدود على النيل الأزرق، كان ضمنها سد النهضة الحالي، وعاود الأمريكيون الاهتمام بسدود النيل الأزرق عام 1964، رافعين عددها إلى 34 سدّاً على ذلك النهر وحده، فلدى إثيوبيا أسباب موضوعية، كذا حق طبيعي، في إنشاء ما تراه ضرورياً لحاجات تنميتها؛ نظراً لما تعانيه من مشكلات مع الماء بسبب طبيعتها الجغرافية والجيولوجية: كصعوبة تضاريس تمنع نقل الماء حال تخزينها، وطبيعة الصخور البركانية وتأثيرها على إمكانات تخزين الماء ونوعيتها، وضعف تكوين ماء جوفية، وعدم انتظام هطول الأمطار، وارتفاع معدلات البخر لما يصل إلى 80% من ماء الأمطار، وتكرار مواسم الجفاف... إلخ البداية: منذ فترة طويلة وأثيوبيا تسعى لبناء سد يوفر لشعبها الاحتياجات المائية ولكنها لم تقدم فعليا على هذه الخطوة إلا مؤخراً حيث بدأت في بناء السد عام 2011. حيث برزت بعض المشكلات، كانتتثار الكثير من الاعتراضات، بجانب بروز بعض المشكلات، منها:

الموقع:

- يقع السد في منطقة بني شنقول-قماز، وهي أرض شاسعة جافة على الحدود السودانية تبعد 900 كيلو متر شمال غربي العاصمة أديس أبابا.

- الإحداثيات: $35^{\circ}E$ $11.21528^{\circ}N$ $05^{\circ}35'$
- $35^{\circ}E$ / $11.21528^{\circ}N$ $35.09306^{\circ}E$ / $05^{\circ}55'N$ $35^{\circ}12'11''$
- $35^{\circ}E$ / $11.21528^{\circ}N$ $05^{\circ}11.21528$; 35.09306 Coordinates: 35
 $35.09306^{\circ}E$ / 11.21528 ; 35.09306
- الغرض توليد الطاقة الكهرومائية
- الامتداد: وقد رصدت الحكومة الأثيوبية مساحة واسعة من الأراضي لبناء هذا السد حيث يمتد المشروع على مساحة تبلغ 1900 كيلو متر مربع.
- الارتفاع 150 متر، وطوله 1800 متر.



- السعة التخزينية: 74 مليار متر مكعب (حصتي السودان ومصر معا): يحتاج ما بين 5-10 سنوات لتمتلئ بحيرة السد.
- توربين: تولد 6 ألف - 7 ألف ميغاواط
- الأكبر في أفريقيا: ويبلغ ارتفاع سد النهضة 170 متراً ليصبح بذلك أكبر سد للطاقة الكهرومائية في أفريقيا.
- التكلفة الاجمالية 74 مليار دولار أمريكي

مواصفات سد النهضة:

يُمكن وصف سدّ النهضة من خلال النقاط الآتية:

- **التسمية:** أجرى مكتب الاستصلاح الأمريكيّ في عام 1958م دراسةً على حوض النيل الأزرق؛ لتحديد مواقع إنشاء السدود، وقد أطلقوا على هذه الدراسة اسم دراسة سدّ بوردر (بالإنجليزية: Border)؛ أيّ السدّ الحدوديّ، وهو الاسم الأصليّ للسدّ. وفي شهر شباط/فبراير من عام 2011م، غيّرت الشركة الإثيوبية للطاقة الكهربائية اسم المشروع من سدّ بوردر ليصبح اسمه مشروع إكس (بالإنجليزية: Project X)، أمّا في الثاني من نيسان/أبريل من عام 2011م، فقد غيّر رئيس الوزراء الإثيوبيّ اسم المشروع ليصبح سدّ الألفية العظيم (بالإنجليزية: Grand Millennium Dam)، وفي 15 نيسان/أبريل من عام 2011م، حوّل مجلس الوزراء الإثيوبيّ اسم المشروع إلى سدّ النهضة الإثيوبيّ العظيم (بالإنجليزية: Grand Ethiopian Renaissance Dam).

المُكوّنات الرئيسيّة، وهي:

- سدّ رئيسيّ خرسانيّ (الحاجز) يمتدُّ على مجرى نهر النيل الأزرق، بطول يبلغ 1800م، وارتفاع نحو 145م.
- سدّ مكملّ (سرج) يمتدُّ على طول 5كم، ويبلغ ارتفاعه نحو 50م.
- بيتان؛ لتوليد الطاقة الكهربائيّة باستخدام توربينات على جانبيّ النهر.
- ثلاث قنوات تُستخدم؛ لتصريف المياه، والسيطرة على منسوب المياه في بحيرة التخزين.
- الأبعاد: يبلغ طول بحيرة السدّ إلى نحو 150كم، ونحو 100كم كأذرع، أو خيران، أمّا متوسط عرضه فيبلغ نحو 8كم، بينما يبلغ متوسط العمق حوالي 8م.
- المقدرة على إنتاج الكهرباء: يضمُّ سدّ النهضة 15 وحدة كهربائيّة، تُوجد 10 منها في الضفة الغربيّة لنهر النيل الأزرق، و

5 وحدات في الجهة المقابلة، حيث تبلغ قدرة كلٍّ من هذه الوحدات حوالي 350 ميجاوات، وبذلك تكون قدرتها مُجمعة نحو 5225 ميجاوات، وفي عام 2012م، تَمَّت إضافة وحدة أخرى في الجهة الشرقيّة لتصبح قدرتها مُجمعة 6000 ميجاوات، علماً بأنَّ سدَّ النهضة بهذه القدرة الإنتاجية يحتلُّ المرتبة الأولى في أفريقيا، والعاشره في العالم ضمن قائمة أكبر السدود إنتاجاً للطاقة الكهربائية.

السعة التخزينية:

تطوّرت القدرة التخزينية لسدّ النهضة بشكل ملحوظ منذ بداية العمل في المشروع وحتى الانتهاء منه؛ فقد بلغت سعة السدّ الحدوديِّ نحو 11,1 مليار م³ عند مستوى 575م لُبْحيرة السدّ، وارتفع 84.5م للسدّ الخرسانيّ (الحاجز)، ومع رفع الحاجز إلى ارتفاع 90م، تصبح السعة التخزينية للسدّ حوالي 13,3 مليار م³، وعند مستوى 590م للْبْحيرة، ستصل السعة التخزينية إلى نحو 16,5 مليار م³، أمّا في عام 2011م، فقد تَمَّت زيادة ارتفاع الحاجز ليصبح 145م؛ ليتسع بذلك إلى نحو 62 مليار م³، وقد استمرّت عمليّات التطوير على السدّ لتصبح سعته 70 مليار م³، ثمّ وصلت في النهاية إلى نحو 74 م³ بحلول عام 2012.

الموقع الجغرافي:

يقع سدّ النهضة عند نهاية نهر النيل الأزرق، وضمن حدود إثيوبيا، حيث تُعرّف تلك المنطقة ببني شنقول قماز، ويبعد سدّ النهضة حوالي 14.5 كم عن حدود الجمهوريّة السودانيّة على طول مسار نهر النيل الأزرق، ونحو 35 كم إلى الشمال من منطقة التقاء نهر بيليس بنهر النيل الأزرق، كما يبعد حوالي 750 كم إلى الشمال الغربيّ من أديس أبابا، أمّا ارتفاع قاعدة السدّ فيبلغ نحو 505م عن مستوى سطح البحر.

الموقع الجيولوجي:

يقع السدّ في منطقة مُكوّنة من صخور قاعدية تعود إلى جِربة ما قبل الكامبري، ومنها صخور الجرانيت، والجرانوديوريت، والنيس الجرانيتي، والميجماتيت، والبجماتيت، والأمفيبوليت، وتحتوي هذه الصخور على تركيزات معدنيّة من الحديد، والنحاس، والبلاتين، والرصاص، والزنك، والمنغنيز، بالإضافة إلى حُببيبات الذهب.

التكلفة الإجمالية:

أوضحت أولى الدراسات على سدّ النهضة أنّ التكلفة الإجمالية؛ لتنفيذ المشروع ستصل إلى 4.8 مليار دولار أمريكي، وذلك لا يشمل تكلفة الخطوط

الناقلة للكهرباء، ومن المتوقع أن تصل التكلفة الإجمالية؛ لإتمام المشروع بالكامل إلى حوالي 8 مليارات دولار أمريكي، منها 3 مليارات دولار ستدفعها الحكومة الإثيوبية، و 1.8 مليار دولار من البنوك الصينية؛ لتمويل شراء الوحدات، والمعدات الكهربائية.

خصائص السدود الأربعة طبقاً لدراسة مكتب الاستصلاح الأمريكي (USBR) عام 1964، بالإضافة إلى سد بيكو أبو						
السد	ارتفاع السد (م)	ارتفاع سطح الأرض (م)	سعة التخزين (م ³)	الكهرباء (م.و)	معدل التصرف م ³ /ث	قبل تانا-بليسه
كارادوبي	252	1146	4.2	1600	649	572
ماييل	171	906	13.6	1200		
ماندايا	164	906	15.9	1620	1091	1014
النهضة	84.5	575	11.1	1400	1547	1547
بيكو أبو	110	906		800-2000		
الإجمالي		80.0	7720			

الموقع	منطقة بني شنقول-قماز
الإحداثيات	35.09306°E / 11.21528; 35.09306Coordinates: 11°12'55"N
بدء الإنشاءات	أبريل 2011
تاريخ الافتتاح	2020-2022
تكلفة الإنشاء	4 بليون دولار أمريكي
المالك	هيئة الطاقة الكهربائية الإثيوبية

الموقع	منطقة بني شنقول-قماز
السد والمفايض	
يحجز	نهر النيل الأزرق
الارتفاع	155 م
الطول	1780 م
منسوب القمة	655 م
حجم السد	10,200,000 م ³ (13,300,000 ياردة ³)
المفايض	1 ذات بوابة، 2 بدون بوابة
نوع المفيض	6 بوابات قطاع للمعايير ذات البوابات
سعة المفيض	14700 م ³ /ث للمصرف ذي البوابة
الخزان	
يخلق	سد الألفية
السعة الإجمالية	74×10 ⁹ م ³ (60,000,000 acre-ft)
السعة الفعالة	59.2×10 ⁹ م ³ (48,000,000 acre-ft)
السعة غير الفعالة	14.8×10 ⁹ م ³ (12,000,000 acre-ft)
مساحة المفيض	172.250 كم ²
المساحة السطحية	1874 كم ²
أقصى طول	246 كم
أقصى عمق للماء	140 م

الموقع	منطقة بني شنقول-قماز
المنسوب المعتاد	640 م
محطة الطاقة	
تاريخ الترخيص	2020-2022 ^{[3][4]}
النوع	اعتيادية
التوربينات	14 x 400 م.و. 2 x 375 م.و. توربين فرانسيس
القدرة المركبة	6.45 <u>ك.و.</u> (الحد الأقصى المزمع) ^[5]
معامل السعة	28.6%
السنوي	16.153 <u>ك.و.س</u> (التقديرات المزمعة) ^[5]

- الكلفة: تكلف المشروع نحو 4.7 مليار دولار مولت أغلبه الحكومة الإثيوبية فضلا عن بعض الجهات الإقليمية والدولية.
- السعة التخزينية: وتصل السعة التخزينية للسد لـ 74 مليار متر مكعب، وهي مساوية تقريبا لحصتي مصر و السودان السنوية من ماء النيل.
 - وتيرة العمل: يعمل نحو 8500 شخص في هذا المشروع على مدار 24 ساعة يوميا.
 - توليد الكهرباء: ولهذا السد القدرة على توليد نحو ستة آلاف ميغاواط من الطاقة الكهربائية، وهو ما يعادل ثلاثة اضعاف الطاقة الكهربائية المولدة من المحطة الكهرومائية لسد اسوان المصري.
 - تحتوي معظم السدود من 4 مكونات أساسية.

- البداية: منذ فترة طويلة وأثيوبيا تسعى لبناء سد يوفر لشعبها الاحتياجات المائية ولكنها لم تقدم فعليا على هذه الخطوة إلا مؤخرا حيث بدأت في بناء السد عام 2011. وفيما يلي اثنتا عشر حقيقة عن سد النهضة الأثيوبي أو سد الألفية الكبير:
- الموقع: يقع السد في منطقة بينيشانغول، وهي أرض شاسعة جافة على الحدود السودانية تبعد 900 كيلو متر شمال غربي العاصمة أديس أبابا.
- الامتداد: وقد رصدت الحكومة الأثيوبية مساحة واسعة من الأراضي لبناء هذا السد حيث يمتد المشروع على مساحة تبلغ 1800 كيلو متر مربع
- الأكبر في أفريقيا: ويبلغ ارتفاع سد النهضة 170 متراً ليصبح بذلك أكبر سد للطاقة الكهرومائية في أفريقيا.
- الكلفة: وتكف المشروع نحو 4.7 مليار دولار مولت أغلبه الحكومة الإثيوبية فضلا عن بعض الجهات الإقليمية والدولية.
- السعة التخزينية: وتصل السعة التخزينية للسد لـ 74 مليار متر مكعب، وهي مساوية تقريبا لحصتي مصر و السودان السنوية من ماء النيل.
- وتيرة العمل: يعمل نحو 8500 شخص في هذا المشروع على مدار 24 ساعة يوميا.
- توليد الكهرباء: ولهذا السد القدرة على توليد نحو ستة آلاف ميغاواط من الطاقة الكهربائية، وهو ما يعادل ثلاثة اضعاف الطاقة الكهربائية المولدة من المحطة الكهرومائية لسد اسوان المصري.
- يتم نقل التيار الكهربائي إلى محطات توزيع الكهرباء ليتم توزيعه إلى الأماكن المطلوبة.
- سد مهمته، بجانب السيطرة على جريان الماء، حجز الماء ليرتفع ويهبط من علو ليدير التوربين، مولد الكهرباء

الشكل (٧): موقع سد النهضة بين الشركاء الثلاثة: السودان، مصر، إثيوبيا:



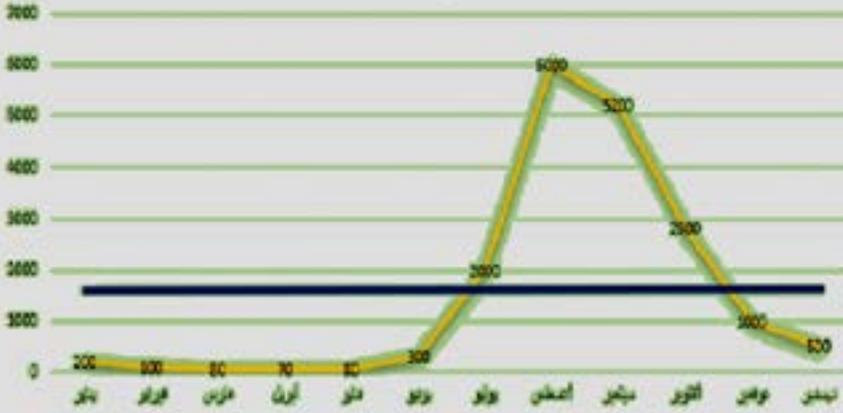
الشكل (٨): طريقة عمل سد النهضة في توليد الطاقة الكهربائية من بحيرة السد وتوزيعها:

سد النهضة العظيم



- تحتوي معظم السدود من ٤ مكونات أساسية.
- البداية: منذ فترة طويلة وأثيوبيا تسعى لبناء سد يوفر لشعبها الاحتياجات المائية ولكنها لم تقدم فعليا على هذه الخطوة إلا مؤخرا حيث بدأت في بناء السد عام 2011. وفيما يلي اثنتا عشر حقيقة عن سد النهضة الأثيوبي أو سد الألفية الكبير:
- الموقع: يقع السد في منطقة بينيشانغول، وهي أرض شاسعة جافة على الحدود السودانية تبعد 900 كيلو متر شمال غربي العاصمة أديس أبابا.
 - الامتداد: وقد رصدت الحكومة الأثيوبية مساحة واسعة من الأراضي لبناء هذا السد حيث يمتد المشروع على مساحة تبلغ 1800 كيلو متر مربع
 - الأكبر في أفريقيا: ويبلغ ارتفاع سد النهضة 170 متراً ليصبح بذلك أكبر سد للطاقة الكهرومائية في أفريقيا.
 - الكلفة: وتكلف المشروع نحو 4.7 مليار دولار مولت أغلبه الحكومة الإثيوبية فضلا عن بعض الجهات الإقليمية والدولية.
 - السعة التخزينية: وتصل السعة التخزينية للسد لـ 74 مليار متر مكعب، وهي مساوية تقريبا لحصتي مصر و السودان السنوية من ماء النيل.
 - وتيرة العمل: يعمل نحو 8500 شخص في هذا المشروع على مدار 24 ساعة يوميا.
 - توليد الكهرباء: ولهذا السد القدرة على توليد نحو ستة آلاف ميغاواط من الطاقة الكهربائية، وهو ما يعادل ثلاثة اضعاف الطاقة الكهربائية المولدة من المحطة الكهرومائية لسد اسوان المصري.
 - يتم نقل التيار الكهربائي إلى محطات توزيع الكهرباء ليتم توزيعه إلى الأماكن المطلوبة.

الشكل رقم (17): معدل تدفق ماء النيل خلال (الشهر- السنة)



- سد مهمته، بجانب السيطرة على جريان الماء، حجز الماء ليرتفع ويهبط من علو ليدير التوربين، مولد الكهرباء
- توربين (مولد) له ريش blades يهبط عليها الماء المحجوز وراء السد ليدير التوربين، وهو في ذلك شبيه بطاحونة الهواء: فقط يختلف عنها في أن يدور بطاقة الماء، بدلا عن طاقة الهواء (الرياح). مهمة التوربين الأساسية هي تحويل الطاقة الحركية kinetic للماء إلى طاقة ميكانيكية mechanical.
- مولد كهرباء Generator متصل بالتوربين بواسطة أنبوب معه ريش تدع المولد للدوران: مهمته الأساسية هي تحويل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة كهربائية. والمولد في هذه الحالة هو شبيه بأي مولد كهربائي آخر: الفرق هنا أنه يمل بطاقة جريان الماء المندفَع، في حين تعمل المولدات الأخرى بالطاقة الأحفورية، أو الطاقة النووية.
- خطوط تحويل الكهرباء: وهي التي تنقل الطاقة الكهربائية من موقع التوليد في السود إلى المستهلكين في المصانع و المنازل و المكاتب وغيرها.

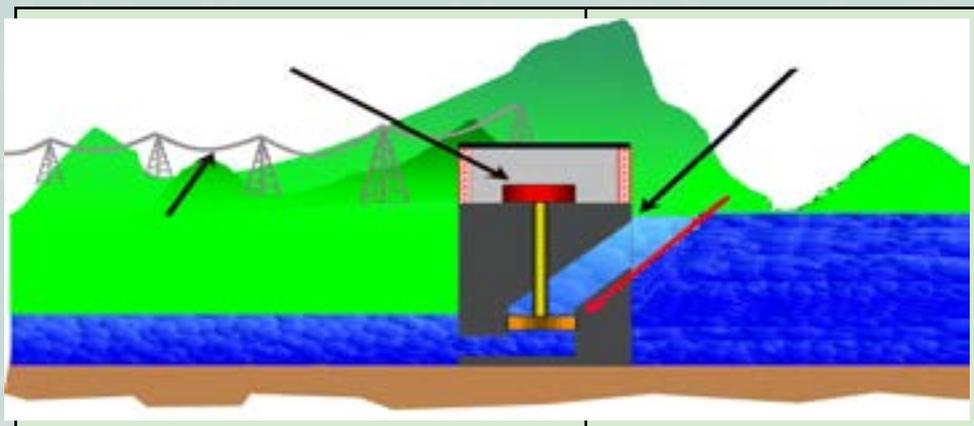
ويلاحظ أنه كلما ارتفع السد، كلما زادت الطاقة الكهربائية المولدة. وعليه، تتحدد كمية الطاقة المنتجة من السد بعاملين:

١. علو سقوط ماء النهر الجاري على التوربين: زاد ارتفاع مكان سقط الماء، كلما زادت كمية الطاقة المولدة.
٢. كمية الماء الساقط على التوربين: كلما زاد حجم الماء المتدفق وكميته، كلما زادت كمية الطاقة المولدة. وبديهي أن كمية الماء الساقط على التوربين تحددها كمية الماء الجاري في المجرى المائي: فكلما زادت كمية الماء المتدفق: فكلما زادت كمية الطاقة الكهربائية المنتجة.

وعليه: يمكن حساب الطاقة المولدة من السد، بالكيلواط، وفق المعادلة لتالية:

الطاقة المولدة = ارتفاع السد / قوة تدفق ماء النهر (الفعالية) / (11.8)
(الجدول 1):

القوة	القوة الكهربائية بالكيلواط (1 كيلوواط = 1000 واط)
مساحة منطقة تجمع ماء المطر	66,506 ميل مربع / 2.6 كيلومتر مربع = 172916 كيلومتر مربع
ارتفاع السد	علو مكان تساقط ماء النهر إلى التوربين بالقدم (509 قدم)
تدفق ماء النهر	تدفق (جريان) ماء الهر مقاس بالقدم المكعب / الثانية
الفعالية	مدى قدرة التوربين و المولد على تحويل الماء الساقط إلى طاقة كهربائية. تتراوح بي 60%، في حالة التوربين الضعيف، و 90% في حالة التوربين عالي القدرة.
11.8	تحويل الوحدات بمقياس قدم / الثانية إلى كيلوواط
قيمة الطاقة المولدة من السد	2,969,000 kilowatt / hours



المصدر: الباحث : تم تجميع المعلومات من مصادر مختلفة.

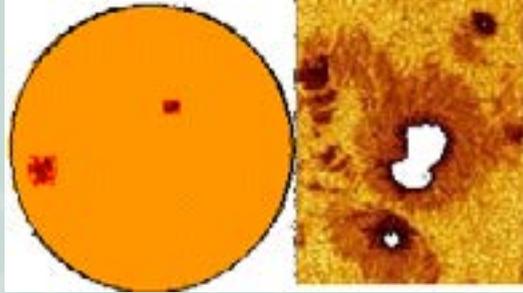
وهناك سلبيات أولية للطاقة الكهرومائية: رغم مميزاتها الكثيرة، إلا أن للطاقة الكهرومائية سلبيات عدة. تتمثل أول هذه السلبيات في تكلفة الإنشاء العالية، رغم تكلفة التشغيل المنخفضة. وعليه: فإن تكلفة الإنشاء العالية يمكن تعويضها بعد التشغيل. هذا إن تمكنت الجهة أو الدولة من توفير تكاليف الإنشاء من تهيئة الأرض، وعمل بالبنيات الأساسية، وغيرها؛ وإلا فإن الطاقة الكهرومائية تبقى غير مجدية اقتصادياً. وتظهر سلبيات أخرى، وهي أن الطاقة الكهرومائية متواكدة، و ليست حرة ماما: فمثلا لا يمكن مشروع للطاقة الكهرومائية في نطقة صحراوية لاجري فيها نهر دائم الجريان. ونفس الشيء ينطبق على مناطق لا توجد بها مسطحات مائية كبرى. وعليه: فإن هذه السلبي تشير إلى مساحات شاسع من سطح غير مؤلة لإنتاج مثل هذه الطاقة، طالما حرمت التأهيل الجغرافي (المسطحات المائية الكبرى) والمناخي (كمية التساقط الكافية) اللازم لإنتاج مثل هذا النوع من الطاقة .

توجد سلبيات ثالثة من سلبيات الطاقة الكهرومائية، تتمثل في مساحة الأرض التي سيقام عليها مشروع الطاقة الكهرومائية: ملايين الفدادين يجب تنظيفها وتهيئتها لأقامة مشروع الطاقة و بنياته الأساسية اللازمة. وإن تم ذلك، فهو على حساب البيئة الحيوية من نبات طبيعي وحيوانات برية. كذلك، فإن الأسماك وأنواع الكائنات المائية الأخرى سيتأثر ذات الأثر، طالما سيغير المشروع مستوى درجة حرارة الماء، وكذا الرقم الهيدروجيني pH balance للماء ومستوى جريان هذا الماء..

سلبية رابعة: تتمثل في أنه، حتى ولو توفرت كامل شروط المشروع وصار ينتج الطاقة، فإن مناخ الكرة الأرضية كافة، و جزء منه قابل للتغير: فالجفاف

المتعاقب يمكن أن يحد من قدرة المشروع في إنتاج الطاقة الكهربائية. فصعوبة التنبؤ بمآلات الطبيعة يخلق فجوات في إنتاج الطاقة من السدود. وهذا سبب كافي لتحفيز شركات الزيت و البرول للتنقيب عنهما و المستثمرين، بدلا عن الاستثمار في الطاقة الكهرومائية.

مقارنة الطاقة الكهرومائية بالطاقة الشمسية:



الشكل (١١): البقع الشمسية: مفاعلات نووية ع سطح الشمس

تستمد الطاقة الشمسية قوتها من من طاقة الشمس، وتحديدًا من نطاق الفوتوسفير (photosphere) لتوليد الطاقة الكهربائية. تستمد الطاقة الشمسية طاقتها من البقع الشمسية نهارًا لشحن البطاريات، أو المولدات الكهربائية، لتستخدم كطاقة يستغلها الإنسان في أغراض مختلفة. وتتشابه الطاقة الشمسية مع الطاقة الكهرومائية في أن كل منهما مصدر نظيف للطاقة: أي لا يتسبب في تلوث الغلاف الجوي وتداعيات المختلفة، ولا في إزالة معطيات الطاقة غير المتجددة، مثل الوقود الأحفوري (النفط، الغاز الطبيعي، الفحم الجري). كما ولا تتسبب في الضرر البيئي الذي يحدثه الوقود الأحفوري. ومن إيجابيتها أيضا:

- تعد طاقة مجانية، تقريبا متاح استخدامها لجميع الناس في جميع الجهات، رغم وجود بعض المحددات..
- تتميز بديمومتها كمصدر دائم للطاقة، رغم وجود بعض المحددات: كمحدودية عدد ساعات إشراق الشمس خلال اليوم، أو وجود السحب، وغير ذلك. ولكن يمكن معالجة هذا النقص باستخدام الشواحن ومخزونات الطاقة، و المولدات التي تعمل بهذا النوع من الطاقة.
- يتميز استخدامها بفعالية وبسرعة انجاز يراود إنجازها.

- يمكن توصلها للمناطق النائية.
 - يمكن عملها في أي مكان تصل إليه أشعة الشمس بشكل مباشر للاستفادة من شعة الشمس لتوليد الطاقة لتأواح الطاقة الشمسية.
 - يمكن استخدامها في:
 - التدفئة.و تسخين الماء فعند الحاجة لذلك
 - توليد الكهرباء.
 - إضاءة الطرق و المنازل.
- فرغم كونها تصنف كطاقة متجددة ، فإن للطاقة الشمسية سلبياتها ونواقصها: ومن ذلك:
- سلبيات الطاقة الشمسية:**

لا تخلو الطاقة الشمسية من السلبيات:

- ارتفاع تكلفة أنظمة استخدام الطاقة الشمسية، و تتمثل في التكلفة الكبيرة للألواح الشمسية لإنتاج كميات كبيرة من الطاقة.
- عدم فهم الناس لمزايا الاستثمار بالطاقة الشمسية، بسبب سوء الترويج لها. نظرة أصحاب المنازل إلى الألواح الشمسية التقليدية بأنها غير جذابة من الناحية الجمالية.
- اعتبار إعادة تدوير الألواح الشمسية سبباً في تلويث الماء، حيث من الممكن تلويث هذه السلبية إذا تم استخدام مواد عضوية في صناعة هذه الألواح.
- لاعتماد على أنظمة البطاريات خلال الليل والأوقات التي لا يمكن للألواح امتصاص الأشعة الشمسية الكافية فيها.
- استغراق أنظمة الطاقة الشمسية وقتاً حتى تصبح سائدة ومقبولة على نطاق واسع كبديل لإنتاج الطاقة يمكن الحصول عليها أثناء ساعات النهار فقط.
- تناقص كفاءة الألواح الشمسية في الأجواء المناخية و الجوية غير الملائمة.
- تحتاج الألواح الشمسية لمراقبة مستمرة، لأنها تتأثر بالغبار و المطر و الملوثات.

- ويمكن التقليل من أثر هذه سلبيات:
- الاستعانة باستشاري.
- تحديد المساحة بدقة لتحديد الاحتياج افعلي.
- حساب احتياجات الطاقة بدقة..
- تثقيف النفس بطريقة عمل الطاقة الشمسية و أساسيتها
- حساب عدد الألواح المطلوبة.

بالإضافة إلى تلك الظاهرة، فإنه تحدث انبعاثات غازية وإشعاعية غير منتظمة في هيئة انفجارات وتغيرات في ريح الشمس وبعض الأعاصير الشمسية ووابلات من البروتونات، كما تحدث بشكل غير منتظم نافورات غازية هائلة. ومع أن درجة حرارة البقع الشمسية تكون أقل بنحو 1,000 عن بقية سطح الشمس إلا أن الشمس تشع طاقة أكبر نسبياً أثناء فترة نشاطها بالمقارنة في فترة ركودها، وتنتج تلك الطاقة الزائدة من المناطق الأكثر سخونة من البقع الشمسية، وتؤثر البقع الشمسية على الجو والطقس على الأرض، كما تؤثر على الأقمار الاصطناعية وكذلك على الأجهزة الأليكترونية على الأرض، كما تؤثر البقع الشمسية على الشفق القطبي وعلى الطبقة الجوية المتأينة «أيونوسفير»، وبالتالي تؤثر على الاتصالات اللاسلكية وإرسال الراديو والتلفزيون

مقارنة الطاقة الكهرومائية بطاقة الريح:

تُعرّف طاقة الرياح بأنّها شكل من أشكال الطاقة التي تقوم فيها التوربينات بتحويل الطاقة الحركية للرياح إلى طاقة ميكانيكية أو كهربائية يمكن استخدامها في توليد الطاقة، وهي شكل غير مباشر من الطاقة الشمسية الناتجة عن مجموعة من العوامل التي تتضمن التسخين غير المتكافئ للغلاف الجوي للأرض عن طريق إشعاع الشمس والاختلافات في الطبوغرافيا وتناوب الأرض فقد تمّ استخدام طاقة الرياح في طواحين الهواء ودفق قوارب الشراع ومضخات المياه.

تعتبر طاقة الرياح مصدراً للطاقة المتجددة التي تأتي من الهواء المتدفق عبر سطح الأرض، وتقوم توربينات الرياح بحصد هذه الطاقة الحركية وتحويلها إلى طاقة قابلة للاستعمال والتي يمكن أن توفر الكهرباء للمنازل أو المزارع أو المدارس أو تطبيقات الأعمال على المقاييس السكنية الصغيرة والمتوسطة التي تتمثل بالمجتمع أو الكبيرة التي تتمثل في المرافق، وتعتبر طاقة الرياح من أحد رواد الطفرة التكنولوجية التي قد تؤدي إلى زيادة كفاءة إنتاج الطاقة، ويبدو مستقبلها واعد، حيث يتم استخدام الطاقة الحركية للرياح لخلق الطاقة الميكانيكية، وتقوم المولدات بتحويل هذه الطاقة إلى كهرباء بحيث

يمكن استخدامها لصالح البشرية، وهناك العديد من الأشخاص الذين يعتمدون على طواحين الهواء التي تمثل مهارةً فنيةً مبتكرةً ومبدعةً تعتمد على الرياح، وذلك لأنّ طاقة الرياح نظيفة ومتجددة إلى ما لا نهاية.

تُعدّ طاقة الرياح واحدة من أسرع المصادر نمواً لتوليد الكهرباء الجديدة في العالم، ويمكن ربط اتجاهات النمو هذه بالفوائد المتعددة، ومنها ما يأتي:

فوائد طاقة الرياح:

تُعدّ طاقة الرياح واحدة من أسرع المصادر نمواً لتوليد الكهرباء الجديدة في العالم، ويمكن ربط اتجاهات النمو هذه بالفوائد المتعددة، ومنها ما يأتي:

- الطاقة الخضراء: حيث إنّ الطاقة الكهربائية المنتجة من طاقة الرياح، مثل الطاقة الكهرومائية، نظيفة أي لا تنتج أيّ تلوث أو غازات.



التنمية الاقتصادية: بالإضافة إلى أنّ طاقة الرياح طاقة قليلة التكلفة فإنّ طاقة الرياح هي مصدر للكهرباء يتمّ إنتاجه محلياً ولا تتطلب الوقود، ممّا يمكن المجتمعات المحلية من الحفاظ على الأموال في اقتصادها يوجد عدة أنواع من التوربينات، منها ما يشبه شراع السفينة، ومنها كخفاقة البيض، وأكثرها انتشاراً وأقدرها على توليد الطاقة هو ما يكون على شكل مروحة عملاقة يصل ارتفاعها عن سطح الأرض لـ 110 متراً، وتتكون بشكل أساسي من زعنفتين أو ثلاث، والذي يبلغ طول الواحدة منها حوالي العشرة أمتار، والمولد الكهربائي الخاص بتحويل الطاقة الميكانيكية إلى كهربائية، محطة الصيانة وتخزين الطاقة، بالإضافة إلى نظام حماية وأمان، ويقدر عدد إنتاج هذه التوربينات من الطاقة حوالي 500-1300 ميغا واط، وكلّما زاد حجم التوربين زاد حجم التوربين زاد حجم الطاقة المنتجة. بذلك كمية من الطاقة الكهربائيّة

عقبات تواجه سد النهضة: اعتراضات المصريين على سد النهضة: الآثار السلبية لسد النهضة

هنالك العديد من الآثار السلبية التي سيخلفها السد على أثيوبيا ودول الجوار مثل: حرمان العديد من الحقول الزراعية لمصادر المياه، ممّا سيقلل من مساحة الأراضي الزراعية التي كانت تعتمد على مياه الفيضانات، كما سيؤدّي إلى تقليص عدد المصائد السمكية، إلا أنّ الأمر الأكثر إرباكاً فهو ترحيل حوالي عشرين ألف نسمة من مناطق سكنهم وإعادة توطينهم في مناطق أخرى، ممّا يعني حرمان العديد من السكان من مصادر رزقهم وأعمالهم، بالإضافة لانتشار بعض الأوبئة والأمراض كالملاريا، أمّا بالنسبة لمصر فهي تُعارض بناءه ولديها مخاوف من انخفاض مستوى منسوب المياه التي هي حصتها من نهر النيل، وتراجع نسبة الأراضي المزروعة ممّا سيفقد مليوني مزارع مصادر رزقهم، بالإضافة للتأثير الكبير على إمدادات الطاقة الكهربائية وانخفاضها لمستويات كبيرة، ممّا سيؤثر على المنسوب المائيّ لبحيرة ناصر، كما سيؤثر على عمل السد العالي، كذلك على سدّ سنار الروصيرص في السودان.

المخاوف: عالم سدود مصري: تصميمات «سد النهضة» عدائية لمصر والسودان.. والمفاوض المصري فشل طيلة 61 شهراً في تحقيق الهدف

قد يُؤثر بناء السدّ في الأراضي الزراعية، والمناطق السكنية المجاورة للسدّ؛ فقد يتسبّب في هجرة نحو 30 ألف مواطن، وبإغراق حوالي 0.5 مليون فدان من الأرض الزراعية، علماً بأنّ مخاوف كلّ من مصر، والسودان، تكمن في فقدان كمّيات كبيرة من مياه نهر النيل (حوالي 25 مليار م³)، كما أنّ نقص مخزون المياه للسدّ العالي سيُخفّض من إنتاجه للكهرباء بنسبة تتراوح بين 20-40 %، ويتوقّع بعض الخبراء أنّ الخرطوم، والقاهرة ستتجهان نحو تقنين فترة ملاء خزّان سدّ النهضة، لتصبح أكثر من 15 سنة.

عالم سدود مصري: تصميمات «سد النهضة» عدائية لمصر والسودان.. والمفاوض المصري فشل طيلة 61 شهراً في تحقيق الهدف:

- اشتمت اثيوبيا مصر لمجلس الأمن قبل بناء السد العالي.. فمتي تتحرك لحماية الأمن المائي.
- لا تضمن تفاقية المبادئ نقطة مياة واحدة لمصر.. واثيوبيا رفضت الالتزام باي شيء.. والوفد المصري وافق!.
- نصر علام: منح المفاوض المصري «اثيوبيا» نصر سياسي بوثيقة وهمية.. وعدم ذكر اتفاقية 1902 «إنبطاح» غير مفهوم.
- مغاوري شحاتة: السدود الإثيوبية تقلل من حصتنا 9 مليار متر مكعب سنويا.. وإسرائيل توجج حروب المياة في حوض النيل.

- الاثيوبيون فكروا في سد النهضة منذ خمسون عاماً.. والغرب دفعة لتأديب مصر لأنها أنشأت السد العالي.
 - استغل الرئيس الاثيوبي انشغال مصر بثورة 25 يناير وصادر قرار سياسي بمضاعفة حجم السد.
 - المهندسون الاثيوبيون اضطروا لبناء سد ركامي بطول 5000 متر لحماية جسد «النهضة» من الانهيار.
- يقول الكاتب إن من أهم النتائج المترتبة على بناء سد النهضة على الاقتصاد المصري رفض إثيوبيا الالتزام كتابة عبر معاهدة جديدة بتحديد حصة ثابتة للمياه لمصر تلتزم بها مستقبلاً ولا تمس الحقوق المكتسبة لمصر وما تستقبله من مياه عبر آلاف السنين، وبالتالي فإن حصة مصر من النهر غير محددة وهي في مهب الريح والتناقص المتتالي مستقبلاً. وطبقاً لاتفاقية عنيتبي الموقع في 14 أيار/ مايو 2010 تصبح سيادة دول المنابع على فواقد النهر والمستنقعات واستقطاب مياه هذه الفواقد والمستنقعات حقاً خالصاً لدول المنابع بعيداً عن الشراكة المصرية في هذه الفواقد ولا يحق لنا استقطابها والاستفادة منها بالمشاركة مع هذه الدول إلا بما تسمح به هذه الدول وبشروطها الخاصة.
- ومعظم السدود التي تبني بهدف عدم الإضرار بحصة الدول المشاركة في النهر .. تبني تحت مفهوم (سد متعدد الأغراض) أي سد يقوم بحجز مياه لتوليد الطاقة + توفير المياه للدول في النطاق السفلي للنهر مثل حال دولة السودان ومصر. وفي تلك السدود يتم تصميم فتحات للسد تعرف بفتحات (Sluice) وذلك لسماح بمياه النهر بالجريان للزمام السفلي من النهر (السودان+ مصر).. ويتم إدارة تلك الفتحات بشكل متوازن يضمن عدم تخفيض عمود المياه الهيدروليكي اللازم لتشغيل التربينات في نفس الوقت ضمان حصول الدول أسفل الزمام من حصتها في مياه النهر. أما في حالة الفيضان فيتم فتح البوابات جميعها بالإضافة لفتحات الفيضان المعروفة بـ Spillway وذلك للتخلص في أسرع وقت من مياه الفيضان خشية زيادة الأحمال على السد وإنهياره. عندئذ ستجد المياه الخارجة بشكل تصاعدي من فتحات السد (Sluice) يغلب عليها اللون الأسود بسبب سحبها الطمي من قاع البحيرة .. بينما الماء الهابطة من الـ (Spillway) ستكون نظيفة لأنها تسحب من سطح البحيرة وليس قاعها.

تنازلت مصر عن ابسط حقوقها في مفاوضات سد النهضة بكل اسف.. وعلينا أن نعترف أن المفاوضات المصري فشل في الحصول علي ضمانات واحدة مكتوبة تؤكد حصة مصر التاريخية، والمسجلة في الاتفاقيات الدولية والمحددة بـ55 مليار متر مكعب. والواقع المأساوي ان اتفاقية المبادئ الثلاثية التي وقعت عليها مصر واثيوبيا والسودان جاءت مهينة بكل المقاييس، فالمفاوض المصري كان يتحسب لعدم اغضاب اثيوبيا، لدرجة انه تنازل عن كافة الحقوق التاريخية، ومضت المفاوضات التي استهدفت اضاءة الوقت بالنسبة لمصر، وانجاز 60% من السد بالنسبة لاثيوبيا، وهكذا كنا نلعب في الوقت الضائع طيلة 16 شهرا.. وكانت النتيجة صفر. الغربية اننا تحسبنا بعدم اغضاب اثيوبيا بالجوء الي مجلس الامن وهو حق مشروع للشعب المصري، رغم ان اثيوبيا ذاتها سبق لها وان لجأت الي الامم المتحدة واشتكت مصر يوم بدأت بناء السد العالي، مع الفارق المهول، فالسد العالي لا يؤثر علي حصة اثيوبيا من المياه في حين ان سد النهضة الاثيوبي يقضي علي مصر بالفناء، ويخلق ازمة مياة وازمة غذاء ببيوار ملايين الاراضي. الجديد في الامر ان احد علماء السدود المصريين العاملين بالخارج وهو الدكتور مهندس محمد حافظ أستاذ هندسة الموانئ وهندسة السواحل بجامعة «Uniten» الماليزية، عن عدائية الهدف من بناء السد تجاه مصر، وان التصميمات العدائية لسد النهضة الاثيوبي، مبينا ان هذا السد يهدد ببيوار مئات الالاف من الاراضي الزراعية، وان هذا السد جاء كخطط غربي لمعاقبة مصر علي بناءها للسد العالي وتحديها للبنك الدولي وأمريكا، وإن الاثيوبيون جاءوا كوسيط لعملية التايب منذ أكثر من خمسة عقود مضت. واوضح عالم السدود المصري ان الفكرة الأولى لسد النهضة انطلقت عام 1964، وانه كان من المقرر ان يتم انشاءه في نفس المكان ولكن بسعة تخزين تعادل 11 مليار متر مكعب وإنتاج طاقة كهربائية تعادل قرابة 1400 ميغاوات، وإرتفاع خرساني يعادل 85 متر، بينما إرتفاع عمود المياه أمام السد يصل لقرابة 70 متر، مشيرا الي ان ملف سد النهضة أغلق لأكثر من 50 عام لأسباب اقتصادية وسياسية عديدة، ثم بدأ التحدث عنه مرة أخرى مع نهاية عام 2005 وإحياء التصميم الأول لعام 1964، إلا أنه تبين حينذاك إمكانية تخزين 14 مليار متر مكعب في بحيرة السد بدلا من 11 مليار مثلما كانت في عام

1964. وقال حافظ أن تصميم سد النهضة بإرتفاع 85 متر وسعة خزان تقدر بحوالي 14 مليار متر مكعب كان التصميم الذي اتفقت عليه بيوت التصميم العالمية باعتبارها الأفضل لضمان تأمين معامل أمان مقبول للسد ضد عامل الإنزلاق أو الانقلاب وخاصة في حالة تزامن حمل الفيضان مع أحمال الزلزال، موضحاً انه بعد ثورة 25 يناير استغل الرئيس الاثيوبي انشغال مصر داخليا برفع سعة خزان السد من 14 مليار لحوالي 74 مليار متر مكعب، مما تطلب زيادة إرتفاع البنيان الخرساني من 85 متر الي 170 متر أي ضعف الإرتفاع الأول، وحتى يتم رفع سعة الخزان سيتم بناء سد ركامي بطول 5000 متر وإرتفاع يصل الي 60 متراً فوق الحدود المنخفضة لخزان البحيرة، لدعم الإرتفاع الزائد بقرار سياسي وليس فني. وقال الدكتور محمد حافظ أن بناء سد ركامي ملاصق للسد الخرساني للتحويط على مياه بحيرة التخزين هو أمر عادي جداً، ويوجد بالعديد من السدود حول العالم، ولكن لم يصل علي الإطلاق الي 5000 متر، وان اكبر السدود الركامية لم يزيد عن 300 متر، أي انه الاثيوبيون اضطروا لمضاعفة السد الركامي لاكثر من 15 مرة لمنعة من الانهيار.

واشار عالم السدود الي ان معظم السدود التي تبني بهدف عدم الإضرار بحصة الدول المشاركة في النهر تبني تحت مفهوم «سد متعدد الأغراض» أي سد يقوم بحجز مياه لتوليد الطاقة بالإضافة الي توفير المياه للدول في نطاق المصب، مبيناً ان تلك النوعية من السدود بها فتحات تعرف بفتحات «Sluice» للسماح بمياه النهر بالجريان لدول المصب، علي ان يتم إدارة تلك الفتحات بشكل متوازن يضمن عدم تخفيض عمود المياه الهيدروليكي اللازم لتشغيل التوربينات، وفي نفس الوقت ضمان حصول الدول أسفل الزمام من حصتها في مياه النهر.

أما في حالة الفيضان فيتم فتح البوابات جميعها بالإضافة لفتحات الفيضان المعروفة بـ «Spillway» للتخلص في أسرع وقت من مياه الفيضان خشية زيادة الأحمال على السد وإنهياره، وانه عندئذ ستخرج المياه بشكل تصاعدي من فتحات السد «Sluice» يغلب عليها اللون الأسود لسحبها الطمي من قاع البحيرة، في حين تخرج المياه الهابطة من «Spillway» نظيفة لأنها تسحب من سطح البحيرة وليس من قاعه. وأكد الدكتور حافظ أن التصميم

الذي يتم علي اساسه انشاء سد النهضة الاثيوبي تصميم عدائي، حيث يصل ارتفاع السد الخرساني الي 170 متر منها 145 إرتفاع عمود الماء الدائم المطلوب توافره لمدة 24 ساعة لمدة 365 يوم في العام، في حين تركت 25 متر كمسافة احتياطية لاستيعاب الفيضان، مشيرا الي ان فتحات سد النهضة لا تقع في أسفل السد مثل باقي سدود العالم بل تقع في أعلاة عند منسوب أقل من المنسوب الأقصى للمياه بقرابة 3 متر فقط، وهذا يعني بشكل مباشر أن فتحات السد لن تأخذ من قاع بحيرة التخزين بل ستأخذ من مياه السطح مثلها مثل فتحات المفيض، وهذا يعني انه لن يكن به مخرج لمياه النيل الأزرق من سد النهضة إلا بعد ان يصل عمود المياه فوق قاع البحيرة الي 142 متر، بينما في حالة الفيضان الأعلى سيصل عمود المياه أمام السد لـ145 متر، وعندئذ تعمل بوابات السد وبوابات المفيض.

وقال عالم السدود ان السؤال الذي يطرح نفسه، متى سيصل إرتفاع عمود المياه أمام السد لـ142 أو حتي 145 كاقصي إرتفاع في حالة حدوث فيضان خلال شهر يوليو وأغسطس فقط؟، فكمية تدفق المياه لنهر النيل الأزرق عند موقع سد النهضة خلال باقي السنة لا تكفي للوصول الي عمود المياه في 145 متر فهي كمية تدفق بسيطة للغاية تكفي في أفضل الحالات توليد طاقة بشكل مستمر تعادل أقل من 2000 ميغاوات، وليس ستة الاف ميغاوات كما يدعون. وقال حافظ ان الهدف الرئيسي لبناء اثيوبيا للسد هو قطع المياه عن مصر والسودان حتى وصول عمود المياه الي 145 مترا، وانه عندئذ ستفتح بوابات السد «Sluice» وسيكون فتح تلك البوابات بهدف التوازن بين الإرتفاع المطلوب والتخلص من المياه الزائدة، مع الإحتفاظ الدائم بعمود مياه أمام السد يعادل 145 لضمان تشغيل أكبر عدد من الترويبينات، مبينا ان عدد الترويبينات بسد النهضة مصمم على عمود المياه الأقصى واي تخفيض في هذا العمود يعني مباشرة تخفيض عدد الترويبينات.

أما عن اتفاقية المبادئ والتي وقعت في ملح العاد الجاري، وجاءت في 10 بنود، اتفقت عليها مصر واثيوبيا والسودان، للخروج من عنق الزجاجة ولكنه في نهاية الامر اظهر الخبراء ان تلك الاتفاقية كانت السبب في الوقت الضائع حتي الان، فقد ألزمت الدول الثلاث أنفسها وفقا لمبادئ سد النهضة ما يلي:
أولا مبدأ التعاون: التعاون على أساس التفاهم المشترك، المنفعة المشتركة، حسن

النوايا، المكاسب للجميع، ومبادئ القانون الدولي، والتعاون في تفهم الاحتياجات المائية لدول المنبع والمصب بمختلف مناحيها.

ثانياً: مبدأ التنمية، التكامل الإقليمي والاستدامة: فالغرض من سد النهضة هو توليد الطاقة، المساهمة في التنمية الاقتصادية، الترويج للتعاون عبر الحدود والتكامل الإقليمي من خلال توليد طاقة نظيفة ومستدامة يعتمد عليها.

ثالثاً: مبدأ عدم التسبب في ضرر نى شأن: سوف تتخذ الدول الثلاث كافة الإجراءات المناسبة لتجنب التسبب في ضرر نى شأن خلال استخدامها للنيل الأزرق، النهر الرئيسي، وعلى الرغم من ذلك، ففي حالة حدوث ضرر نى شأن لإحدى الدول، فإن الدولة المتسببة في إحداث هذا الضرر عليها، في غياب اتفاق حول هذا الفعل، اتخاذ كافة الإجراءات المناسبة بالتنسيق مع الدولة المتضررة لتخفيف أو منع هذا الضرر، ومناقشة مسألة التعويض كلما كان ذلك مناسباً.

رابعاً: مبدأ الاستخدام المنصف والمناسب: سوف تستخدم الدول الثلاث مواردها المائية المشتركة في أقاليمها بأسلوب منصف ومناسب، وضمن استخدامهم المنصف والمناسب، سوف تأخذ الدول الثلاث في الاعتبار كافة العناصر الاسترشادية ذات الصلة، كالعناصر الجغرافية، والجغرافية المائية، والمائية، والمناخية، والبيئية وباقي العناصر ذات الصلة الطبيعية، بالإضافة إلى الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية لدول الحوض المعنية، والسكان الذين يعتمدون على الموارد المائية في كل دولة من دول الحوض، وتأثيرات استخدام أو استخدامات الموارد المائية في إحدى دول الحوض على دول الحوض الأخرى، والاستخدامات الحالية والمحتملة للموارد المائية، وعوامل الحفاظ والتنمية واقتصاديات استخدام الموارد المائية، وتكلفة الإجراءات المتخذة في هذا الشأن، ومدى توفر البدائل، ذات القيمة المقارنة، لاستخدام مخطط أو محدد، ومدى مساهمة كل دولة من دول الحوض في نظام نهر النيل، وامتداد ونسبة مساحة الحوض داخل إقليم كل دولة من دول الحوض.

خامسا: مبدأ التعاون في الملاء الأول وإدارة السد: تنفيذ توصيات لجنة الخبراء الدولية، واحترام المخرجات النهائية للتقرير الختامي للجنة الثلاثية للخبراء حول الدراسات الموصى بها في التقرير النهائى للجنة الخبراء الدولية خلال المراحل المختلفة للمشروع، كما تستخدم الدول الثلاث، بروح التعاون، المخرجات النهائية للدراسات المشتركة الموصى بها في تقرير لجنة الخبراء الدولية والمتفق عليها من جانب اللجنة الثلاثية للخبراء، بغرض الاتفاق على الخطوط الإرشادية وقواعد الملاء الأول لسد النهضة والتي ستشمل كافة السيناريوهات المختلفة، بالتوازي مع عملية بناء السد.

كما يأتي الاتفاق على الخطوط الإرشادية وقواعد التشغيل السنوي لسد النهضة، والتي يجوز لمالك السد ضبطها من وقت لآخر، وإخطار دولتي المصب بأي ظروف غير منظورة أو طارئة تستدعى إعادة الضبط لعملية تشغيل السد، ولضمان استمرارية التعاون والتنسيق حول تشغيل سد النهضة مع خزانات دولتي المصب، سوف تنشئ الدول الثلاث، من خلال الوزارات المعنية بالمياه، آلية تنسيقية مناسبة فيما بينهم، والإطار الزمني لتنفيذ العملية المشار إليها أعلاه سوف يستغرق خمسة عشر شهراً منذ بداية إعداد الدراستين الموصى بهما من جانب لجنة الخبراء الدولية.

سادسا: مبدأ بناء الثقة: سيتم إعطاء دول المصب الأولوية في شراء الطاقة المولدة من سد النهضة.

سابعا: مبدأ تبادل المعلومات والبيانات: سوف توفر كل من مصر وإثيوبيا والسودان البيانات والمعلومات اللازمة لإجراء الدراسات المشتركة للجنة الخبراء الوطنيين، وذلك بروح حسن النية وفي التوقيت الملائم.

ثامنا: مبدأ أمان السد: تقدر الدول الثلاث الجهود التي بذلتها إثيوبيا حتى الآن لتنفيذ توصيات لجنة الخبراء الدولية المتعلقة بأمان السد، وسوف تستكمل إثيوبيا، بحسن نية، التنفيذ الكامل للتوصيات الخاصة بأمان السد الواردة في تقرير لجنة الخبراء الدولية.

تاسعا: مبدأ السيادة ووحدة إقليم الدولة: وسوف تتعاون الدول الثلاث على

أساس السيادة المتساوية، وحدة إقليم الدولة، المنفعة المشتركة وحسن النوايا، بهدف تحقيق الاستخدام الأمثل والحماية المناسبة للنهر.

عاشراً: مبدأ التسوية السلمية للمنازعات: تقوم الدول الثلاث بتسوية منازعاتهم الناشئة عن تفسير أو تطبيق هذا الاتفاق بالتوافق من خلال المشاورات أو التفاوض وفقاً لمبدأ حسن النوايا.

إذا لم تنجح الأطراف في حل الخلاف من خلال المشاورات أو المفاوضات، فيمكن لهم مجتمعين طلب التوفيق، الوساطة أو إحالة الأمر لعناية رؤساء الدول ولرئيس الحكومة.

كارثية المبادئ:

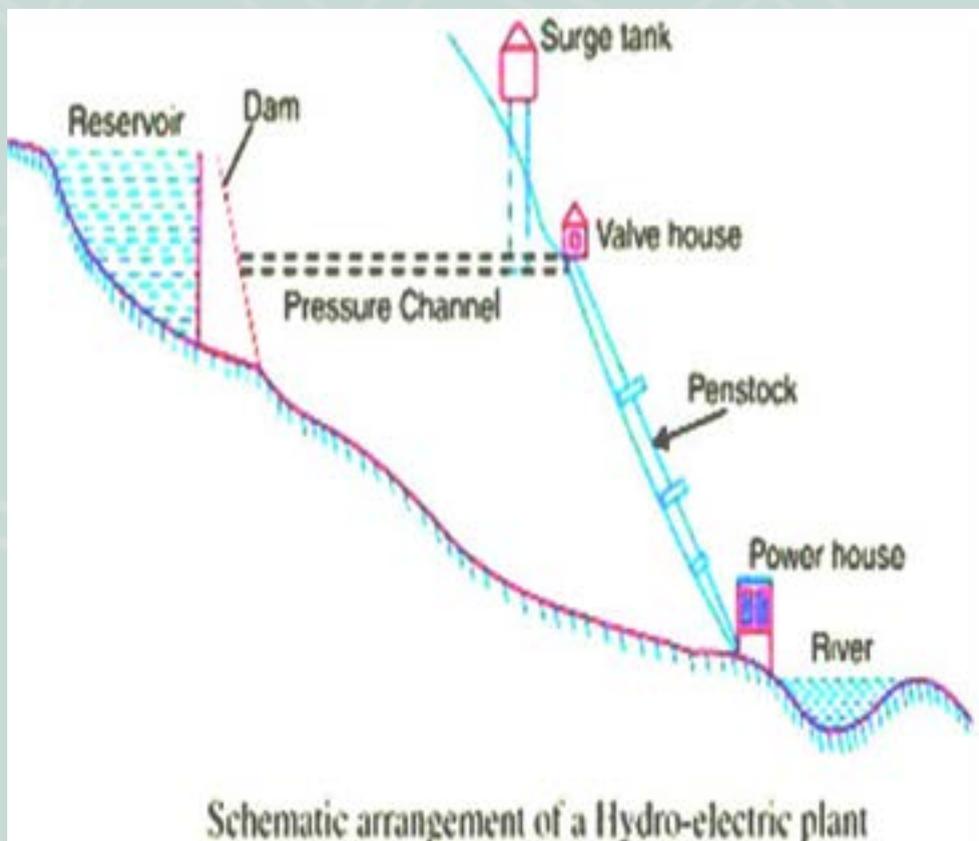
الكارثة الأكبر ان البنود السابقة لاتفاقية المبادئ كشفت عن ثغرات قانونية وانتصار كبير للجانب الاثيوبي، فوفقاً للدكتور محمد نصر الدين علام، وزير الري الأسبق، قدمت تلك المبادئ للجانب الاثيوبي «علي طبق من ذهب» جميع ما كانت تحلم به، وجعلتها تحقق نصراً سياسياً في ظل غياب فهم مصري حقيقي لتداعيات ذلك على مستقبل الشعب المصري الذي اضحي مهدداً لأول مرة في تاريخه، مبيناً أن هذه الوثيقة أهملت تماماً التحدث عن سعة السد، واكتفت بما طلبته إثيوبيا في استجابة واستكانة لا نستطيع تفسيرها، حيث قالت: «إن سعة السد أمر سيادي إثيوبي، ولا يجوز التطرق إليه، والاكتفاء فقط بالتحدث عن التشغيل وسنوات التخزين». ووضح علام ان اثيوبيا كانت المستفيد الوحيد من هذه الوثيقة، وان تلك الوثيقة تعد تنازلاً صريحاً، لانها لم تتطرق نهائياً لحقوق مصر، والاتفاقات التاريخية، وأولها اتفاقية 1902 مع إثيوبيا، التي تعهدت فيها بعدم بناء سدود على النيل الأزرق أو نهر السوبات دون موافقة مصر والسودان، محذراً من ان يشمل اي اتفاق مستقبلي اي تعاون اقتصادي قائم علي استيراد الكهرباء من سد النهضة والا بذلك تكون اثيوبيا حققت اهدافها كاملة.



وقال علام أن سد النهضة حسب الدراسات الأوروبية والأمريكية والمصرية أثبتت أن هناك مبالغة كبيرة في حجمة، وان آثاره سلبية على مصر والسودان، وأن كفاءته في توليد الكهرباء لا تتعدى 27% مقارنة بالسد العالي الذي تبلغ كفاءته 60%، مشددا على أن مبدأ عدم الإضرار لا قيمة له دون الارتكاز على حصة مصر المائية، والتي لا تقر بها إثيوبيا، وأن النص على الاستخدام العادل والمنصف للمياه دون النص على اتفاقية 1902 مع إثيوبيا يلغي هذه الاتفاقية تماما، وفيها تنازل مصري صريح عن كل ما جاء فيها، وتحرق إحدى الأوراق الرئيسية التي يمكن اللجوء إليها في حالة التحكيم.

علي الجانب الاخر أكد الدكتور مغاوري شحاتة رئيس الجمعية العربية للمياه علي ان المفاوضات المصري ساهم بشكل كبير في ضياع الحقوق التاريخية من مياة النيل، وان السدود الإثيوبية قللت من حصتنا حوالي 9 مليارات متر مكعب سنويا، مبينا انه علينا ان نعترف ان هناك أزمة حقيقية مع اثيوبيا، وان حالة من «الانبطاح» أو «الركوع» أمامها، وان سياسة المهادنة التي ينتهجها المفاوضات المصري غير مجدية ولن تؤتى بثمارها، وستدخلها مرحلة الخطر. وقال شحاتة ان ملامح حروب المياة بدأت في الظهور، وان منطقة حوض النيل بدأت تعيش هذه الاجواء، مشيرا الي الدور الاسرائيلي المؤجج لتلك الحروب في المنطقة، بذراعها الطويل الممتد في الكثير من دول حوض النيل ولها علاقات حميمة بهذه الدول، وعلي الأخص الدولة الإثيوبية التي ترتبط مع إسرائيل بعلاقات استراتيجية، مؤكدا علاقتها بدولة جنوب السودان ولكنها لا تمثل خطورة علي حصة مصر، وقد استعانت هذه الدول الأفريقية بكثير من الخبرات الإسرائيلية

في كثير من المجالات وبالأخص في مجالات السدود. وقال عالم سدود مصري: تصميمات «سد النهضة» عدائية لمصر والسودان.. والمفاوض المصري فشل طيلة 16 شهراً في تحقيق الهدف



الخلاصة:

سد النهضة الإثيوبي العظيم (Grand Ethiopian Renaissance Dam))، كان يعرف سابقاً بسد الألفية وأحياناً يشار إليه باسم حداسه، هو سد تثناقلي تحت الانشاء على النيل الأزرق على بعد حوالي 40 كم شرق السودان في منطقة بني شنقول-غموز، إثيوبيا بقدرة 6.000 م.و، سيصبح السد أكبر محطة طاقة كهرومائية في أفريقيا عند اكتماله، وفي الترتيب 13 أو 14 في العالم، مع سد كراسنويارسك. ستبلغ سعة خزان السد 63 بليون متر مكعب ليصبح واحد من أكبر الخزانات في القارة الأفريقية التي تولد الطاقة المتجددة الكهرومائية. كما هو معروف، يتكون سد النهضة من سدين، الأول هو السد الخرساني والذي يصل إرتفاعه الإنشائي لقرابة 175 متر بينما إرتفاع الماء أمام السد الخرساني سيكون في أفضل الأحوال لا يزيد عن 145 متر. أي أنه في حالة أقصي إمتلاء سيكون هناك فرق يعادل قرابة 30 متر بين أقصي إرتفاع ماء وأقصي إرتفاع خرساني وهو ما يعرف بالـ Free board بحيث يمكن تخزين فائض الفيضان خلال هذا الحيز ما لم يؤثر على سلامة إستقرار السد. تماماً مثلما هو الحال في السد العالي بين منسوب (175 لـ 183).

يشرف على الإنشاء «المجلس العام لتنسيق إنشاء سد النهضة»، برئاسة دمكه مكونن، بدرجة وزير، المهندس سيمغنيو بلكه كان مدير مشروع سد النهضة، منذ بدء الانشاءات في 2011 حتى وفاته مقتولاً في 26 يوليو 2018. ويرى خبراء أن خطورة بناء سد الألفية تكمن أيضاً في أن السعة التخزينية له تفوق 70 مليار متر مكعب، وهي نسبة خطيرة في منطقة قابلة للتعرض للزلازل والهزات الأرضية، بجانب تحكم إثيوبيا في مياه النيل الأزرق المغذي للسودان بنسبة %86 من حصته المائية، فضلاً عن نقل المخزون المائس من أمام بحيرة ناصر إلى الهضبة الإثيوبية، وأمام النقطة الأخيرة يتلاشى حديث المسؤولين المصريين عن «المشروع الضخم على بحيرة ناصر»، الذس سيكلف

خزانة الدولة مليارات الدولارات. ومن الآراء السالبة حول السد ويوضح الخبراء أنه إذا ما تعرض السد للتدمير أو القصف ستمتد آثاره الكارثية إلى مصر والسودان، كما سيؤدي لإحداث خلل بيئي، ولتحريك النشاط الزلزالي في المنطقة، نتيجة الوزن الهائل للمياه المثقلة بالطمي والمحتجزة أمام السد، وسيبلغ العجز المائي لمصر 94 مليار متر مكعب عام 2050، أي سيحرم مصر من مياه النيل كاملة لمدة عامين، حيث تبلغ حصة مصر من مياه النهر 55 مليار متر مكعب سنوياً.

تتخوف مصر كذلك من يؤدي ملء السد بكامل طاقته الى سطرة إثيوبيا على جريان النيل الأزرق، بل وعلى كامل نهر النيل، الأطول في أفريقيا. ورغم أن محطة توليد الكهرباء، المنشأة مع السد لاستهلاك من الماء بكمية تؤثر على حصة مصر من ماء النيل، إلا أن السرعة التي تملأ بها إثيوبيا بحيرة السد، ستؤثر على إنسياب الماء في مجرى النيل بمعدل سرعته الحالية. وعليه: كلما طال مدة ملء بحيرة السد، التي تبلغ مساحتها مساحة مدينة لندن الكبرى، وبحجم 74 مليار متر مكعب، كلما قل التأثير على مستوى ماء النهر! وفيدلك تخطط إثيوبيا لتحديد فترة ملء السد ب6 سنوات! كما حدد وزير الماء الإثيوبي تاريخ ديسمبر 2020 موعداً لتوليد الطاقة الكهربائية من مولدين (2 توربين)، إلا أن مصر بتأخير هذا الموعد إلى فترة لاحقة، حتى لا يؤثر مستوى جريان النهر، خاصة خلال الفترة المبدئية المحددة لملء بحيرة السد. لكن محادثات الحكومات الثلاث: السودانية و المصرية والإثيوبية، حول قبول مقترح يحدد هذه المدة بأربع سنوات، كحل وسط، لم يجد القبول من إثيوبيا. بل اتهم الوزير الإثيوبي مصر بأنها لا تريد الوصول إلى حل وسط يرضي الجميع.

المصادر والمراجع:

- (1) د زكي البحيري (2018): تقييم ومراجعة مصر ومشكلة مياه النيل أزمة سد النهضة: دار التقوى للطباعة والنشر، القاهرة.
 - (2) مصطفى محمود عمرو عبد الحميد أحمد خالد مصطفى كاتب غير محدد أثير عبد الله النشمي ديل كارنيجي سيد قطب محمد الغزالي احمد خالد توفيق خولة حمدي فهد عامر الأحمدى علي بن جابر الفيقي جون غراى عباس محمود العقاد حنان لاشين نجيب محفوظ أنيس منصور حسن الجندي ديمي لوفاتو محمد بن صالح العثيمين المزيد من مؤلفين الكتب
 - (3) الصادق المهدي(2016): مياه النيل الوعد والوعيد، دارالشروق للطباعة والنشر، الخرطوم.
 - (4) مشعل بن عبد الرحمن المويشي (2018): أزمة المياه ومستقبل العلاقات العربية التركية بعد وصول الحركة الإسلامية إلى السلطة في تركيا - الدكتور مشعل بن عبد الرحمن المويشير
 - (5) أ ب د. فيصل حسن الشيخ، مستقبل العلاقات البينية لدول حوض النيل الشرقي على ضوء لواقع المائي لمرحلة ما بعد قيام سد النهضة الأثيوبي، صفحة 25،26،28. بتصرّف.
 - (6) عباس محمد شراقي، جيولوجية سد النهضة الإثيوبي وأثرها على أمان السد، صفحة 7-12. بتصرّف.
 - (7) «سد النهضة»، www.aljazeera.net، اطّلع عليه بتاريخ 20-12-2018. بتصرّف.
- (1) Robin Darry, (2018) Public Participation on the Construction of the Grand Renaissance Dam, Ministry of Information, Addis Ababa.

- (2) Basillioh MutahiBB, (2019): Egypt–Ethiopia row: The trouble over a giant News, Nairobi.
- (3) Yuhanes, E. B. (2020): Why is Egypt so upset? Addis Publishing House, Addis Ababa.

نوبة كينيا السودانيون: قضية إنتهاكات حقوق الإنسان التي طواها النسيان - (دراسة تعريفية)

الرئيس المناوب الأسبق لوحدة خدمات اللغات بلجنة
التحقيق الدولية المستقلة التابعة للمحكمة الجنائية-لبنان

د. صلاح الصافي رحمة الله البدوي

مستخلص:

تسعى هذه الدراسة إلى لفت الإنتباه إلى إنتهاكات حقوق الإنسان التي طالت أجيالاً من مجتمعات النوبة السودانيين في كينيا، والجهود التي بُذلت على مختلف المستويات لإنصافهم . فأفراد هذه المجتمعات هم في الأصل أحفاد الجنود النوبة الذين جندهم جيش الإستعمار البريطاني من مصر والسودان لمساعدته في قتاله ضد جماعات «الماوما» التي كانت تقاتل لطرده المستعمر من كينيا. وفي أعقاب نيل كينيا إستقلالها ، تخلت السلطات الأستعمارية البريطانية عن هؤلاء الجنود، ولم تكافأهم بأكثر من السماح لهم بالعيش في ضاحية «كابيرا» السيئة الصيت المعروفة بأنها أكبر أحياء الفقراء في أفريقيا . ولما كانت السلطات التي صعدت إلى سدة الحكم في كينيا عشية إستقلالها تنظر إلى أولئك الجنود النوبة بإعتبارهم مرتزقة قاتلوا ضد الشعب الكيني في صفوف المستعمر البريطاني، فقد رفضت منحهم الجنسية الكينية، وإزاء ذلك الرفض أضطر من بقي على قيد الحياة من الجنود النوبة وأحفادهم من بعدهم إلى العيش في كينيا زهاء القرن كأشخاص بلا جنسية ، محرومون من جميع حقوقهم الإنسانية التي تكفلها لهم تشريعات حقوق الإنسان الدولية ، على الرغم من الجهود الحثيثة التي بذلتها المنظمات المعنية بحقوق الإنسان على كافة المستويات. تسعى الورقة أيضاً إلى تسليط الضوء على ما إنتهت إليه مختلف القضايا ذات الصلة بقضية النوبة التي نظرتها المحاكم الكينية والإقليمية والدولية. وقد تناولت الدراسة العديد الوثائق القانونية الدولية والإقليمية التي تثبت حق أحفاد النوبة في العيش والتمتع بكافة حقوق الإنسان في كينيا بعد أن سلطت الضوء على الضيم الذي طالهم. وفي خاتمتها أوصت هذه الدراسة الجهات المعنية بتوثيق التاريخ العسكري السوداني ببذل المزيد من الجهد لحفظ الحق التاريخي لهذه الفئة من أهل السودان في أن تتعرف عليهم الأجيال القادمة .

Abstract:

This paper seeks to draw attention to human rights violations to which successive generations of Sudanese Nuba communities in Kenya were subject, and efforts made at various levels to do them justice. Members of these communities were originally grandchildren of Sudanese Nuba soldiers recruited by the colonial British army from Egypt and Sudan to assist with the fight against the Mau Mau freedom fighters in Kenya. Following independence of Kenya, Nuba soldiers were abandoned by the British colonial authority which granted them nothing more than allowing them to live in the Kibera notorious area which is known as the biggest slum in Africa. Dismissing them as mercenaries who fought against the people of Kenya, post-independence Kenyan authorities refused to grant them Kenyan nationality. So, the Nuba lived for almost a century as stateless people deprived

of all rights enshrined in international human rights legislations. The paper highlights rights guaranteed for stateless people by domestic, regional and international legislations and efforts exerted by organizations at these levels to defend Nuba soldiers' rights. The paper, moreover, touched on the outcome of relevant cases looked into by various Kenyan, regional and international courts.

مقدمة :

سجل التاريخ العسكري السوداني في مضابطه العديد من القصص التي تروي مشاركة الجنود السودانيين خارج حدود البلاد. فقد تم التوثيق لمشاركة وحدات سودانية ضمن الجيش المصري في حروب محمد علي باشا خديوي مصر في عامي 1854 و1856 في القرم إلى جانب تركيا، ثم في المكسيك في عام 1862 م عندما طلبت كل من فرنسا وإنجلترا من خديوي مصر إرسال فرقة من السودانيين لحماية رعاياها ضد العصابات المكسيكية. وفي الحرب العالمية الأولى أرسلت بريطانيا فرقتين من الجنود السودانيين إلى جيبوتي بناء على طلب من فرنسا لتحمي محل الجنود السنغاليين هناك.



وعند ما تم تأسيس قوة دفاع السودان نواة الجيش السوداني الحالي في عام 1925 إشتربت فرق منها في العمليات الحربية إبان الحرب العالمية الثانية ، حيث قاتلت ضد الإيطاليين في إريتريا وإثيوبيا وأوقفت تقدمهم في جبهتي كسلا والقلابات، وأبليت بلاء حسنا في معركة «كرن» في إريتريا، كما شاركت في حملة الصحراء الغربية لدعم الفرنسيين حيث رابطت في واحتى» الكفرة «و» جالو» في الصحراء الليبية بقيادة القائد البريطاني» أرشيبالد ويفل»، كما تم نشرها في صحراء العلمين لوقف تقدم قوات الجنرال الألماني «رومل» الملقب بثعلب الصحراء. إلى جانب ذلك ، شاركت قوة من الجنود السودانيين قوامها حوالي 250 جندي في حرب فلسطين عام 1948 م . وفي حرب أكتوبر 1973 م ، ارسلت الحكومة السودانية قوة قوامها لواء مشاة إلى شبه جزيرة سيناء . وشاركت القوات المسلحة السودانية أيضا في عمليات دولية تصب في مساعي حفظ السلام والاستقرار في كل من الكونغو البلجيكي عام 1960 ، وتشاد عام 1997 ، وناميبيا عام 1989 م، وكذلك في لبنان ضمن قوات الردع العربية لحفظ السلام تحت لواء جامعة الدول العربية، كما شاركت في عملية إعادة الحكومة المدنية في جمهورية جزر القمر حيث ساهمت قوات المظليين السودانية في استعادة جزيرة أنجوان وتسليمها لحكومة جزر القمر عام 2008 م.⁽¹⁾

غير أن حوليات التاريخ العسكري السوداني تكاد أن تخلو من أي إشارة توثق لسيرة الجنود السودانيين الذين حاربوا ضمن صفوف كتيبة بنادق الملوك الإفريقية (The King's African Rifles Regiment) في شرق أفريقيا إبان الحقب الإستعمارية وإنتهى بهم المقام في كينيا حيث ضاقوا صنوفاً من إنتهاكات حقوق الإنسان وغيرها من ألوان الضيم عبر الحقب المتلاحقة ، بعد أن تخلى عنهم المستعمر البريطاني عندما وضعت حرب «الماماو» أوزارها ، ورفضت السلطات الكينية التي جاءت إلى السلطة بعد الإستقلال الإعتراف بحقوقهم بإعتبارهم في نظرها مجرد مرتزقة جُندوا لمقاتلة أبناء الشعب الكيني. لذلك فقد إرتأيت أن تكون هذه الورقة بمثابة تعريفٍ بقضية هؤلاء النفر الكريم من جنودنا الذين غابوا عن الساحة السودانية ليس بحُر إرادتهم ، ولم يعبأ أحد بإقتفاء أثر سيرتهم حتى كادت أن يطويها النسيان. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضؤ على العديد من المحاور ذات الصلة بهذه القضية ، وأهمها : جذور المشكلة - مشكلة مصطلح مُسمى النوبة - الوضع القانوني للمهجرين عديمي الجنسية على وجه العموم وحقوقهم في التشريعات الإقليمية والدولية وإنتهاكات حقوق نوبة كينيا السودانيين، إلى جانب قضية النوبة أمام المحاكم الكينية والأفريقية

جذور المشكلة :

قَدِمَ النوبة إلى كينيا في بواكير القرن التاسع عشر ، وقد بلغ عددهم اليوم زهاء المئة ألف نسمة جُلهم من المسلمين . ولما كانت السلطات الكينية تمنع في منحهم وضع القبيلة ، أصبحت مهنة العسكرية هي الهوية التي تجمعهم . وعند ما شرعت كينيا بعد نيل إستقلالها في تشكيل بنيتها الإجتماعية ، عمدت السلطات البريطانية إلى مساندة المجموعات العرقية من خلال إيوائها في محمياتٍ عرقية . غير أن النوبة لم يُحظوا بهذه المعاملة ، فقد أثار الإستعمار البريطاني إستثنائهم من هذه الترتيبات بإعتبار أنهم لا ينتمون لأي قبيلة كينية ، فغدى النوبة بذلك لا يشكلون جزءً من البنية الإجتماعية الكينية . وجراء ذلك لم يظهر النوبة ضمن أرقام أي تعدادٍ سكاني أجرتة كينيا قبل عام 2017 لأن الحكومة الكينية قبل ذلك العام كانت تصنفهم تصنيفاً جائراً حيث كانت تشير إليهم في سجلاتها الرسمية تحت مُسمى «الغير كينيين» أو مجرد «آخرين» . ولم يطال ذلك الضيم الرسمي النوبة دون سواهم ، بل لحق أيضاً بالصوماليين ومن يُعرفون «بعرب الساحل» . وكان عدم إعراف الحكومة بالنوبة وعدم وجود ممثلين لهم في أجهزة الحكم خلال سنوات ما بعد خروج المُستعمر يعني أنهم في حاجةٍ إلى طرفٍ ثالث ليتحدث باسمهم مما جعلهم لقمة فريسة مهيضة الجناح تتنازعها أهواء السياسة الكينية ، حيث كان لزاماً عليهم أن يدلوا بأصواتهم في الحالات القليلة التي سُمح لهم فيها بذلك ، لصالح الحكومة التي في سدة الحكم ضماناً للحماية ، ناهيك عن إستغلال المعارضة الكينية لهم وإستخدامهم وقوداً لنيران نزاعاتها ضد الحكومات القائمة. (2)

ومن المعلوم أن إستعانة القوى الإستعمارية الأوروبية بمجموعاتٍ عرقية بعينها لم تقتصر على إستغلال المستعمر البريطاني للنوبة فحسب ، فقد سجلت حوليات النشاط الإستعماري ثلاث عرقيات أخرى إستغلها المستعمر الأوروبي لذات الغرض . وقد وصف المؤرخون هذ المجموعات التي إستعان بها ذلك المستعمر في قمع الشعوب الأفريقية بالجماعات المصطنعة «Artificial Communities» ، بأعتبار أن أفرادها قد جُلبوا من خارج المناطق المستهدفة نظراً لعلم المستعمرين بأن السكان المحليين لن يتعاونوا معهم . وتشارك هذه المجموعات مع النوبة في سماتهم وأوضاعهم الإجتماعية مما سوغ إيراد ذكرهم في هذه الورقة . وهذه المجموعات هي :

1. مجموعة الشيكوندا (Chikunda) وهم الأكثر شبهاً بالنوبة ، بإعتبار أنهم بدأوا

في الظهور كجنود أرقاء جاء بهم المستعمر البرتغالي للعمل في وظائف جباية

الضرائب من المزارعين ومعاقبة المتهربين من الضرائب، إلى جانب وظائف الشرطة حيث كانوا يسيرون الدوريات لمنع مزارعي السُخرة المحليين من الفرار من المزارع التي يملكها المستوطنون البرتغاليون. وقد جاء البرتغاليون بهذه المجموعة ما بين 1891-1902 من المناطق المحيطة بنهر الزمبيزي ووطنوها في موزمبيق في إطار السباق الإستعماري على إحتلال أفريقيا الذي كان يوجب على القوى الإستعمارية وضع المناطق المستعمرة تحت سلطتها الفعلية إعمالاً لمبدأ الإحتلال الفعلي « effective occupation » الذي كان شرطاً أساسياً للإعتراف بسلطة المستعمرين على أراضي المستعمرات الجديدة. (3)

2. مجموعة القريكواز (Griquas) في جنوب أفريقيا وهي مجموعة قوامها خليط من الملونين مختلفي الأصول نشأت في مستعمرة الكاب في عام 1815، وترجع أصول أفراد هذه المجموعة إلى الزيجات المختلطة بين الأوروبيين والسكان المحليين، وقد جعلهم المستعمر الهولندي ومن بعده البريطاني قوام وحدات قواته الخاصة. (4). وعلينا أن لانخلط بين هذه المجموعة وبين القورخاز (Gurkas) النيباليين الذين قاتلوا في صفوف القوات البريطانية إبان الحقب الإستعمارية.

3. مجموعة السيربوليز (Creoles) الذين سكنوا فريتاون عاصمة سيراليون، وهم من أحفاد مختلف المجموعات المُسترقّة التي تم تحريرها في الولايات المتحدة وجزر الكاريبي، وقام المستعمر البريطاني بترحيلهم وتوطينهم في شبة جزيرة فريتاون ما بين 1787-1850. وقد أصبح أفراد هذه المجموعة عماد الخدمة المدنية والجهاز القضائي في عهد الأستعمار البريطاني لسيراليون. وقد كافأ المستعمرون هذ المجموعات الثلاثة بأن ضمنوا لها وضعاً مميزاً في الحياة المهنية والإجتماعية في مستعمراتهم بعد إنتهاء حروب التحرير. ومن المؤسف أن سلطات الإستعمار البريطاني قد تخلت عن مجموعة النوبة التي لعبت دوراً حاسماً في إنهاء تمرد «الماماو» المناوئ للإستعمار البريطاني في كينيا، فتخلت عنهم وتركتهم نهياً لمتغيرات السياسية الكينية وويلاتها، بل أن السلطات الإستعمارية البريطانية على الرغم من أنها كانت قد دخلت في مفاوضات سياسية مع الساسة الكينيين الذي صعّدوا إلى سُدة الحكم عشية الإستقلال، فإنها لم تأبه ولم تعير بالاً للضغط على هؤلاء الساسة، أو حتى مجرد إقناعهم بإحترام الإلتزامات والوعود التي قطعها الإستعمار البريطاني للنوبة السودانيين. (5) وكان ذلك على خلاف ما فعله المستعمر الفرنسي في الجزائر. فقد قاتلت إلى جانبه مجموعة جزائرية يُطلق عليها إسم «الحركيين» ، عمد إلى ترحيل أفرادها مع عائلاتهم إلى فرنسا بعد أن وضعت حرب التحرير

أوزارها. بل يمكن القول أن المستعمر البريطاني في مسكه ذلك تجاه الجنود النوبة قد تجاوز عرفاً أخلاقياً ظلت القوات الأجنبية التي تقاتل خارج أراضيها تحافظ عليه منذ القدم إلى عصرنا هذا ويقف شاهداً على إستمرارية ذلك التقليد الإخلاقي قرار القوات الأمريكية بسحب الف من المترجمين الأفغان الذين عملوا معها إلى خارج أفغانستان عندما قررت الإنسحاب من أفغانستان في يوليو 2021، إلى جانب إصدار تأشيرة دخول للولايات المتحدة لألفين وخمسمئة متعاون أفغاني آخر. بل إن الرئيس الأمريكي ذهب إلى أبعد من ذلك في خطابه الذي ألقاه بمناسبة سحب القوات الأمريكية من أفغانستان بأن لام الكونغرس على الإبقاء على القوانين التي تمنع نقل المتعاونين مع القوات الأمريكية إلى الأراضي الأمريكية ، وطالبه بإلغاء هذه القوانين.⁽⁶⁾

وفي ختام هذا المحور من الدراسة نشير إلى أن قضية النوبة كانت واحدة من ثلاثة قضايا نظرت فيها المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب وكذلك المفوضية الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب. وتتعلق كلها بكون أن كينيا لديها تاريخ لاتخطئه العين في تهجير المستوطن المستعمر للأفارقة وإعادة توطينهم في إطار محاولات جرت في فترة ما بعد تصفية الإستعمار في سبيل إصلاح الأراضي. فيلإ جانب قضية النوبة ، هنالك قضيتا الإندوري « Endorois والأوجيك » Ogiek . وقد عانت المجموعات الثلاثة من ويلات الفقر المدقع والبؤس جراء تصرفات الحكومة الكينية.

وتتعلق قضية «الإندوري» بموقع سكناهم في إحدى محميات الحياة البرية السياحية التي تم تصنيفها ضمن التراث العالمي. أما قضية «الأوجيك» فتتعلق بموقع سكناهم الواقع داخل غابة تحازي منطقة لتجمع مياه أحد الأنهار الهامة. وفحوى الظلم الذي حاق بهذه المجتمعات الثلاثة أن الحكومات التي تعاقبت على حكم كينيا بعد الإستقلال قد درجت على منح حقوق ملكية الأراضي للمجتمعات الأصلية بينما حرمتها من هذا الحق الذي سلب منها إبان الحكم الإستعماري.⁽⁷⁾

ومن المعلوم أن المفوضية الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب كانت في عام 2010 قد أصدرت قراراً رياحه على خلاف ما إشتهى سفنُ الحكومة الكينية ، إذ أقرت المفوضية بأن هذه الحكومة قد إنتهكت حقوق مجموعة «الإندوري» المتعلقة بالتنمية والدين والملكية والحق في ممارسة ثقافتها ، وطالبت الحكومة الكينية بأن تعترف بحقوق هذه المجموعة ، وأوصتها بأن تعيد وضع ملكية أراضيها إلى ما كان عليه أيام أسلافها، وأن تضمن لأفراد المجموعة حرية ممارسة شعائرهم الدينية والثقافية دونما قيود، إلى جانب تعويضهم عن مالحق بهم من خسائر، وتعويضهم عن الإيرادات التي كانوا يحصلون عليها من إستغلالهم من الزراعة ورعي المواشي في تلك المحمية.

وقد كان ذلك أول حكم يصدر عن المفوضية الأفريقية ينطوي على إعترا ف بحقوق المجتمعات

الأصلية. بل كان أول حكم دولي يصدر بشأن الحق في التنمية بموجب المادة (22) من ميثاق بانجول وإعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق السكان الأصليين (1987).⁽⁸⁾

مشكلة مصطلح مُسمى النوبة :

ظل مُسمى النوبة يشكل مشكلة للباحثين في أزمة الجنود السودانيين السابقين الذي خدموا مع الجيش البريطاني في كينيا، فقد كان السودانيون الذين قاتلوا في شرق إفريقيا إلى جانب بريطانيا ضمن صفوف كتيبة بنادق الملوك الإفريقية قد تم تجنيدهم للقتال في يوغندا من فلورل حاميات جيش أمين باشا المصري في المديرية الإستوائية الذين سُدت أبواب العودة إلى الوطن من خلفهم إثر قيام الثورة المهديّة . وقد تم إرسال هؤلاء الجنود السودانيين في بادئ الأمر إلى كينيا لحراسة خط السكك الحديدية الذي تم إنشاؤه حديثاً. ويطلق الباحثون على هذه المجموعة إسم «نوبة شرق أفريقيا» ، لأن النوبة الذين خدموا في صفوف كتيبة بنادق الملوك الإفريقية كانوا قد درجوا على إقامة مجتمعات مميزة لهم أينما حلت الكتيبة . لذلك فإن المرء غالباً ما يلحظ وجود مجتمعات نوبية في سائر بلاد شرق أفريقيا قوامها أحفاد المجندين السودانيين في الجيش المصري في جنوب السودان الذين تقطعت بهم السبل في أعقاب سقوط الخرطوم في عام 1885 ، حيث تم تجنيدهم بعد ذلك في صفوف الجيشين الإستعماريين البريطاني والألماني في شرق أفريقيا . وفي أعقاب تسريحهم سُمح لهم بالإقامة في القرى النوبية التي أقاموها في كل من يوغندا وكينيا وتنزانيا. وقد إختفى النوبة من تنزانيا حيث ذابوا في المجتمع المسلم . أما في يوغندا فقد إستفاد النوبة من تعاطف عيدي أمين الذي كان قد أقام في «كابيرا» إبان خدمته العسكرية في الجيش البريطاني ، وعلى وجه التحديد في كتيبة بنادق الملوك الإفريقية ، التي خدم ضمن صفوفها نوبة السودان ، ولكونه مسلماً فقد جمعته علاقات طيبة مع النوبة ، فما أن جاء إلى السلطة في حقبة سبعينيات القرن الماضي حتى جند الكثيرين منهم في الجيش اليوغندي. ولذلك فقد تماهى النوبة مع سلطة أمين ، فأصبحوا الأقرب إلى مركز السلطة في كمبالا ، غير أنه ما أن سقط نظام عيدي أمين حتى غادر السواد الأعظم منهم يوغندا غافلين إلى «كابيرا» خوفاً من إنتقام خصوم أمين . أما في كينيا فقد آثر هؤلاء الجنود البقاء ليُكتب لهم الشقاء، سيما بعد أن تحولت «كابيرا» لأكبر حي للفقراء (Slum) في أفريقيا . وإلى يومنا هذه يُطلق على اليوغنديين الذي يمارسون الشعائر الإسلامية إسم «النوبة» . ويعني ذلك أن كلمة «نوبي» في يوغندا أصبحت مُرادفاً لكلمة «مسلم» ، غير أن الحال ليس كذلك في كينيا. السؤال الذي يتبادر إلى ذهن الباحث في سعيه لتحديد هوية النوبة الذين

ورد ذكرهم في الدراسات التي تناولت قضية الجنود السودانيين في كينيا- هل هم نوبيو شمال السودان أم نوبة جنوب كردفان؟

نبدأ الإجابة على هذا السؤال بفرضية أن المقصودين هم نوبيو شمال السودان . وفي ذلك نقول أن هؤلاء عُرفوا عبر التاريخ بأنهم محاربون أشاوس مما حدى بالمستعمر التركي ومن بعده البريطاني إلى تجنيد أعداد كبيرة منهم في جيشه لمساعدته على حماية مستعمراته الجديدة في المناطق المؤدية إلى منابع النيل، إلى جانب مناطق أخرى أسلفنا الإشارة إليها في مقدمة هذه الدراسة . وكما هو متوقع فقد أثبت النوبيون أنهم جنود مميزون حتى أن بعضاً منهم ترقى إلى مصافي رتب صغار الضباط . غير أنه في أعقاب تمرد الجنود النوبيين في عام 1897 ، عدل الجيش البريطاني عن عزمه إعادتهم إلى السودان ، وبدلاً عن ذلك نشرهم في كينيا. ومنذ ذلك الوقت فقد الجنود النوبيون صلاتهم بالسودان ولم يعد لهم خيار آخر سوى البقاء في كينيا ، فأُنشأوا في عام 1904 العديد من القرى فيما ما يُعرف اليوم بمنطقة «كابيرا» التي تعني « الغابة»، إحدى ضواحي نيروبي ، ومن أهم القرى التي أقامها النوبة في هذه المنطقة : كيسومو- كيسي- ميرو- إتين- بونغوما- إيسولو- كيبزس- مازيرا- كيبيريكو - ميغوري - كاتومو وموغيتيو .وقد أصبحت هذه القرى مناطق لتفريخ الجنود للجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى.

ومن خلال ربط هذه الرواية بمسمى «نوبة شرق أفريقيا» الذي درج المؤرخون على إطلاقه على مجموعة النوبة التي دخلت فيها مجموعات عرقية غير سودانية ، نخلص إلى أن النوبة المعنيين في هذه الدراسة هم خليط من نوبة جنوب كردفان وبعض المجموعات الجنوبية وبعض نوبيي شمال السودان، بدليل أن بعضهم قد تم تجنيدهم في مصر قبلة النوبيين ومحجهم في ذلك الزمان ، بينما تم تجنيد البعض الآخر في السودان، إلى جانب قلة من قبائل الفور وبعضاً من العشائر الأفريقية التي تصاهرت مع هذه المجموعات السودانية خلال مختلف الأزمان فإكتسبت عاداتها وتقاليدها وتبنت هويتهم ، وفي نهاية المطاف إنصهرت فيها.

وتشير الدراسات التي جرت بشأن النوبة السودانيين في «كابيرا» أنهم كانوا يعيشون في شكل مجموعات عشائرية ، حيث سكن الفور ونوبة جنوب كردفان في مناطق «سارانغ» و«لوميلى» ، أما المجموعة الجنوبية الإستوائية التي ضمت «الليندي» و«الباريا» فقد إستوطنوا في منطقة «ماكيننا» ، بينما إتخذ الدينكا والشلك مساكن لهم حول «سارانغ» و«لوميلى»، التي راققت لهم بمراعيها ومياهها الوفيرة بحكم أنهم في الأصل من رعاة الماشية. ولم تقف

أمام التواصل بين هذا الخليط من العشائر أي عقبة لغوية ، حيث درج الجنود الذين تم تجنيدهم من شمال السودان أو من مصر للقتال في الصومال على التخاطب في بادئ الأمر بالدارجية السودانية المألوفة ، وليس اللهجة النوبية ولا العربية البسيطة المعروفة في زماننا هذا بعربي جوبا.⁽⁹⁾

ويرى الباحث ، أن عدم وجود يقين قطعي بأن النوبة الذين كانت تُنتهك حقوقهم في كينيا ليسو بالضرورة كلهم من نوبة السودان قد أعطى للحكومات السودانية المتعاقبة مبرراً للتقاعس وعدم التدخل والدفاع عنهم وتبني قضيتهم كقضية سودانية وطنية.

أما الحكومة البريطانية الإستعمارية فلم تسعى أصلاً لإعادة الجنود النوبة إلى السودان بحجة أنهم قد غادروا السودان منذ زمن بعيد فتحضروا وتغيرت طباعهم ، ولن يفلحوا في الإندماج مرةً أخرى في مجتمع السودان الزراعي القائم على سلطة الزعماء ورؤساء العشائر الأقل تحضراً ، وذلك ما لا تقبله الشخصية العسكرية التي إكتسبوها. وقد يكون السبب الأساسي والأهم هو عدم رغبة النوبة أنفسهم في العودة إلى السودان ، فقد دلت الدراسات على أنه لم يعد هنالك من بين نوبة كينيا من يحتفظ بعلاقات قوية بالسودان تسوغ عودته ، إذ يعود تاريخ آخر طلب تقدم به نوبة كينيا لإعادتهم إلى السودان إلى حقبة الخمسينيات ، وكان قد تقدم به زعماء النوبة من الجيل القديم ، غير أن زعماء الجيل الجديد كانوا يتمسكون بالبقاء في كينيا . حتى المجموعات التي كانت تحتفظ في ذلك الوقت بعلاقات عائلية في السودان لا يمكن إعتبارها تمثل توجهات مجتمع نوبة كينيا برمته.⁽¹⁰⁾

«كابيرا»: ملاذ نوبة السودان الأخير :

كانت إدارة جيش محمية شرق افريقيا في بواكير القرن العشرين قد سمحت للجنود النوبة السابقين وعوائلهم بالإقامة على أرض التدريب العسكرية الواقعة على مقرية من نيروبي والتي تحولت فيما بعد إلى ما يوصف بأنه أكبر أحياء الفقراء في إفريقيا الذي أصبح يُسمى «كابيرا»، وهي بقعة مساحتها 550 هكتار تقاطر عليها مئات الآلاف من الناس فيما بعد حتى غدى النوبة مجرد أقلية صغيرة في تلك المنطقة ، غير أنهم إحتفظوا بأسلوب حياتهم ، سيما دينهم ولغتهم وأنماط أزيائهم وصنوف طعامهم . ومازالوا يؤمنون بأنهم المالكون الحقيقيون لمنطقة «كابيرا» التي منحهم اياها جيش الإستعمار الإنجليزي بعد تقاعدهم من الخدمة العسكرية. إذ لم يحصل الجنود النوبة بعد إنتهاء خدمتهم على أي معاشات أو أي من حقوق ما بعد الخدمة ، ولم يكن ذلك ليقلقهم كثيراً على مستقبلهم ، فقد تم إعفاؤهم من

ضريبة السكن وضريبة الرؤوس ، بل سُمح لهم بالإقامة في «كابيرا» وممارسة الزراعة فيها ، فأفترضوا أن ذلك هو «معاشهم» . وقد تأكد ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها مدير المديرية البريطانية لإتحاد النوبة السودانيين ، كما بعث القائم بأعمال السكرتير الأول رسالة مماثلة لنفس الإتحاد فحواها أنه السودانيين قد تم بالفعل منحهم حيازات في «كابيرا» بعد إنقضاء مدة خدمتهم العسكرية عوضاً عن المعاش . مما يعني أن منطقة «كابيرا» قد تم منحها بالفعل للسودانيين.⁽¹¹⁾

غير أن السلطات الكينية قد واجهت هذه الحجة بالإدعاء بأن السودانيين قد فسروا خطأً سماح سلطات الإستعمار البريطاني لهم بالبقاء في أرض التدريبات العسكرية في منطقة «كابيرا» على أنه حق في ملكية الأرض يمكنهم توريثه للأجيال القادمة، بينما كانت تلك السلطات تقصد- حسب التفسير الكيني- ألا يكون توطين النوبة في ذلك المكان أبدياً ، وألا يُنظر إليه بإعتباره حق مكتسب للملكية الأرض. ومع تزايد أعداد القادمين الجدد من المجموعات الإثنية الأخرى إلى منطقة «كابيرا»، عمدت المجموعة النوبية إلى التجمع في قرى صغيرة تقع على الأجزاء المرتفعة من تلك المنطقة ، حيث كان الجميع يمارسون الزراعة ورعي الماشية على المنحدرات المطلّة على الأنهار.

ومع مرور الزمن أصبحت الأجيال اللاحقة من أحفاد المجندين السودانيين في الجيش البريطاني ممن تلقوا حظاً من التعليم قبل فرض القرارات الجائرة بحرمان النوبة من حق التعليم يلتحقون بالوظائف الكتابية أو وظائف الحراسة في مدينة نيروبي مثل آبائهم المتقاعدِين⁽¹²⁾ . يجادل أفراد مجتمع النوبة دوماً بأنهم السكان الأصليين لمنطقة «كابيرا» ، إستناداً على الحجج التي ساقوها آنفاً ، ويرون أنه يتوجب على السلطات الكينية الإعتراف بملكيتهم القانونية لهذه المنطقة لكونها تمثل في نظرهم «ملاذهم الأخير».

البُعد السياسي لمنطقة «كابيرا» والصراع حولها:

نبدأ هذا المحور من الدراسة بالإشارة إلى أن النوبة قد إستفادوا من كونهم أول مجموعة سكنت «كابيرا» ، ليصبح أهم مصادر دخلهم هو بناء المنازل وتأجيرها للمجموعات الوافدة، سيما تلك التي تبحث عن فرص للعمل في نيروبي نظراً لقرب «كابيرا» منها. وظل لتركيز المساكن المُستأجرة في منطقة «كابيرا» وإزدهار سوق الإيجارات غير الرسمية فيها بعداً سياسياً . فمن المعلوم أن العديد من السياسيين المحليين يملكون مساكن في «كابيرا» إستغلوها في تعبئة المُستأجرين لأغراضهم السياسية. وبذلك أصبحت «كابيرا» من أهم

مناطق التعبئة الإنتخابية في كينيا ، سيما منذ مطلع التسعينيات عندما بدأ السياسي الكيني المعارض «راليا أودينغا» الذي ينتمي إلى عرقية «اللو» (Luo) يطرح نفسه كسياسي وطني معتمداً على شبكة من المناصرين الذين إتخذوا من «كابيرا» معقلاً لهم . ولا يخفى على أحد أن السياسة الكينية ظلت دوماً وإلى يومنا هذا تقوم على شبكات الولاء العرقي التي عادة ما تحسم الصراع على السلطة والوصول إلى سدة الحكم، لذلك فإن العنف الذي شهدته منطقة «كابيرا» الفقيرة في مختلف الحقب هو جزء من مجريات أحداث الحلبة السياسية والإنشاقات القائمة بين الأحزاب التي تقوم بتعبئة المناصرين لها على أسسٍ عرقي.

وقد ترتب على عدم حسم أمر ملكية أراضي «كابيرا» تنامي العنف بين النوبة والجماعات الأخرى التي تشاركهم العيش فيها، إذ إندلعت أعمال العنف بين مكونات هذه المنطقة مرات عديدة بسبب المشاحنات السياسية ، سيما تلك التي تشعل فتيلها الحملات الإنتخابية . ففي ما بين عامي 1995- 2001 إندلعت إشتباكات بدوافع سياسية بين النوبة ومجموعة «اللو» .

نعود إلى الإشتباكات التي وقعت بين النوبة وعرقية «اللو» والتي كانت زيارة زعيم المعارضة «راليا أودينغا» بمثابة الشرارة التي أشعلت موجة العنف الثانية التي إجتاحت «كابيرا» في عام 2001 . فقد كانت تصريحات «أودينغا» خلال تلك الزيارة أقرب إلى التحريض ضد النوبة ، إذ غلب على خطبه إبان تلك الزيارة التذكير بكون النوبة هم «ملاك» المساكن وأن أفراد عشيرته «اللو» هم «المستأجرين» ، وأن الأرض هي في واقع الأمر ملك للحكومة ، وأنه ينبغي إجبار الملاك النوبة على تخفيض الإيجارات. لذلك فقد رأى بعض المراقبين أن «أودينغا» في سعيه لكسب أصوات الناخبين «اللو» إنما كان في واقع الأمر يحرض على طرد النوبة من «كابيرا» . وقد ترتب على ذلك التحريض تدمير أملاك النوبة وتهجير الآلاف منهم. كما تأثر النوبة بأحداث العنف الواسعة النطاق التي صاحبت إنتخابات ديسمبر 2007 الذي صمد النوبة خلالها صموداً مشهوداً بعد أن إصطفوا هذه المرة إلى جانب المعارضة ، على الرغم أن تلك الأحداث كانت قد إستهدفت في الأساس عرقية الكيكيو «Kikuyu» التي كان يُنظر إليها على أنها قد (سُرقت) الإنتخابات .

ونذكر أن مطالب النوبة قد تطورت خلال الألفية الثانية من التركيز على الملكية الفردية إلى الملكية الجماعية ، حيث أخذ النوبة يطالبون بالإعتراف بملكية مجموعتهم لمنطقة «كابيرا» بفضل فوز أحدهم وهو «يونس علي» في الإنتخابات ، وهو من القلائل الذين حازوا على عضوية البرلمان الكيني .⁽¹³⁾

الوضع القانوني للمهجرين عديمي الجنسية وحقوقهم في التشريعات الدولية :

إنتبه المشرع الدولي مبكرا لخطورة هذه الظاهرة، فأقر في عام 1954 معاهدة دولية بشأن وضع الأشخاص عديمي الجنسية، وهي المعاهدة التي دخلت إلى حيز النفاذ في يونيو 1960، واعتمدت المعاهدة مرجعية لها كل من ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، من خلال التأكيد على مبدأ وجوب تمتع جميع البشر، دون تمييز بالحقوق والحريات الأساسية. وقد عرّفت المادة الأولى من هذه المعاهدة عديم الجنسية على أنه الشخص الذي لا تعتبره أية دولة مواطناً فيها بمقتضى تشريعها. فالمرجعية في إعتبار شخص ما عديم الجنسية حسب منصوص هذه المعاهدة هو التشريع الداخلي للدولة، إذ أن تنظيم الجنسية من حيث شروط اكتسابها يخضع للسلطان الداخلي للدولة وفق نظامها القانوني الذي يحدد ضوابط تكوين الشخصية القانونية، وذلك إستناداً على مبدأ السيادة الذي تتمتع بها كل دولة ذات سيادة والذي يُعتبر بدوره مبدأ هام من المبادئ الأساسية المُكرّسة بمقتضى القانون الدولي.

نصت مقتضيات المعاهدة على العديد من الأحكام لصالح عديمي الجنسية يتعين على الدول الأطراف فيها تطبيقها واحترامها دون تمييز من حيث العنصر أو الدين أو بلد الأصل. ومنها ما يرتبط بالإقامة، وبالحقوق الاجتماعية والاقتصادية كالحق في العمل والضمان الاجتماعي، وحق ملكية الأموال المنقولة وغير المنقولة، وبالحريات الأساسية، كحرية التنقل، وحرية الانتماء للتنظيمات، وحق التقاضي أمام المحاكم، وبالحقوق الفنية والملكية الصناعية.

ورغبة من المشرع الدولي في وضع حدٍ لظاهرة إنعدام الجنسية، صدرت معاهدة دولية أخرى بشأن خفض حالات انعدام الجنسية، وهي المعاهدة التي دخلت إلى حيز النفاذ في ديسمبر 1975. وتُعتبر المعايير الدولية التي نصت عليها المعاهدتان بمثابة الحد الأدنى من معايير معاملة عديمي الجنسية التي من المفترض على الدول تضمينها في تشريعاتها، سيما الدول الأطراف في المعاهدتين. وعليه، فإن الحق في الجنسية قد تم تكريسه أيضاً بمقتضى القانون الدولي لحقوق الإنسان من خلال العديد من المعاهدات الدولية المكونة لهذا القانون، ومنها المعاهدة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري لسنة 1965 التي نصت المادة الخامسة منها على أن الحق في الجنسية من بين الحقوق التي تتعهد الدول الأطراف في اللعاهدة بضمانها دون تمييز بسبب العرق أو اللون أو الأصل القومي أو الاثني، والمادة السابعة من معاهدة حقوق الطفل لسنة 1989 التي نصت فقرتها الأولى على أن يتم

تسجيل الطفل بعد ولادته فوراً ، ويكون له الحق منذ ولادته في أن يكون له إسم ، إلى جانب حقه في اكتساب جنسية. ورغم أن هناك العديد من الدول التي بادرت إلى ملائمة قوانينها المتعلقة بالجنسية لتنسجم مع ما نص عليه القانون الدولي، فإنه في المقابل هناك دول أخرى ما تزال قوانينها وتشريعاتها تركز التمييز ضد عديمي الجنسية، مما أسهم في توسيع حالات انعدام الجنسية ، بل ، هناك من الدول من تصدر وثائق تحدد وضعية الشخص القانونية على أنه بدون جنسية، وهو ما يرتب آثاراً سيئة حتى على الجانب النفسي للشخص الموصوف بهذه الوضعية، ناهيك عما يشكله ذلك من انتهاك لحقوق الإنسان، ومنافاةً لمقتضيات القانون الدولي وغيره من المرجعيات الدولية لحقوق الإنسان.⁽¹⁴⁾

الوضع القانوني للمهجرين عديمي الجنسية وحقوقهم في التشريعات الإقليمية

يتصدر الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب الذي أجازته مجلس الرؤساء الأفارقة خلال دورة إنعقاده العادية رقم (18) التي إلتأمت في نيروبي (كينيا) في يونيو من عام 1981 قائمة التشريعات التي تسعى إلى وضع حدٍ لظاهرة إنعدام الجنسية ، ومن أبرز مواد هذا الميثاق في هذا الشأن المادة (12) التي تنص على ما يلي :

1. لكل شخص الحق في التنقل بحرية واختيار إقامته داخل دولة ما، شريطة الالتزام بأحكام قانونها.
2. لكل شخص الحق في مغادرة أي بلد بما في ذلك بلده، كما يحق له العودة إلى بلده ، ولا يخضع هذا الحق لأية قيود ، إلا إذا نص عليها القانون وكانت ضرورية لحماية الأمن القومي، أو النظام العام، أو الصحة، أو الأخلاق العامة.
3. لكل شخص الحق ،عند تعرضه للإضطهاد، في أن يسعى ويحصل على ملجأ في أي دولة أجنبية طبقاً لقانون كل بلد ولاتفاقيات الدولية.
4. ولا يجوز طرد الأجنبي الذي دخل بصفة قانونية إلى أراضي دولة ما طرف في هذا الميثاق إلا بقرار يجيزه القانون.
5. يُحرم الطرد الجماعي للأجانب. ويُقصد بالطرد الجماعي الطرد الذي يستهدف مجموعات عنصرية، أو عرقية أو دينية. بعينها
6. كما كفلت المواد (14)، (15)، (16) و(17) من ذات الميثاق حق الملكية والتعليم والرعاية الصحية.

ونظراً لجسامة ظاهرة الحرمان من الجنسية أطلقت الأمم المتحدة في

عام 2014 حملة لوضع حد لها في أفريقيا جنوب الصحراء . وفي سبيل إنهاء هذه الظاهرة يتوجب على السياسات والتشريعات الوطنية أن تلتزم بالمادة (7) من معاهدة حقوق الطفل والمادة 6 (3 و4) من الميثاق الأفريقي لحقوق ورفاهية الطفل التي تضمن لكل طفل الحق في الجنسية.

كما ظلت المجموعات الإقتصادية الأفريقية توالي ممارسة الضغوط على دولها الأعضاء لإلغاء كافة الأحكام التي تنطوي على تفرقة على أساس النوع أوالجنسية أوالمواطنة من قوانينها ، إلى جانب مناشدتها بإتخاذ إجراءات حاسمة وفعالة تضمن التسريع في تجنيس المهاجرين عديمي الجنسية وتوفير الحماية لهم .

كما لفتت هذه المجموعات نظر الدول إلى حقيقة أن العصر الذي تُترك فيه قضايا الجنسية للدولة يجب أن يولي إلى غير رجعة. وناشدت كل من الإتحاد الأفريقي والمفوضية السامية لشئون اللاجئين بالعمل يداً بيدٍ وإنتهاج برنامج فعال وإستراتيجية للمناصرة بغرض تسليط المزيد من الضؤ على قضية عديمي الجنسية، إلى جانب ممارسة المزيد من الضغط على دول أفريقيا جنوب الصحراء لوضع حلول لهذه الظاهرة المستشرية فيها.⁽¹⁵⁾

إنتهاكات حقوق نوبة كينيا السودانيين:

1. حق المواطنة:

واجه النوبة العديد من المشاكل في سبيل إعتراف السلطات الكينية بهم كمواطنين كينيين ، وهو حق كفله لهم دستور كينيا الذي نص على حق المواطنة لكل شخص وُلد في كينيا قبل الإستقلال يكون أحد والديه قد وُلد في كينيا أيضاً ، ويعني ذلك أن هذا الشرط ينطبق تماماً على النوبة . غير أن السلطات الكينية كانت قد بيتت النية لمخالفة هذا النص الدستوري الصريح، إذ طلبت من الأجانب مثل الآسيويين أن يعلنوا للحكومة عن نيتهم في أن يصبحوا مواطنين كينيين ، أما النوبة فقد تم إبلاغهم بأنهم ليسو في حاجة لذلك الإعلان (لأنهم ليسو سودانيين ، بل كينيون) ، لذلك لم يأبه النوبة بالسعي للحصول على الجنسية الكينية حسب نصيحة السلطات لهم. وقد إستخدمت الحكومة الكينية ذلك ضد النوبة ، فأصبح كل من يتقدم بطلب للحصول على الجنسية الكينية يُطلب منه إبراز شهادة ميلاد جده ليثبت انه قد وُلد في كينيا . وفي قضية رفعتها ضد الحكومة الكينية أحد المنظمات الحقوقية لرفضها منح الجنسية للنوبة على الرغم من أنهم من مواليد كينيا، دفعت الحكومة بأن النوبة لم يتخلوا عن جنسيتهم السودانية وتغافلوا عن السعي للتسجيل لنيل الجنسية الكينية كما فعل الآسيويون. وقد أيدت المحكمة

العليا الكينية دفعوات الحكومة الكينية هذه، بل وذهبت إلى أبعد من ذلك بأن طلبت من النوبة أن يثبتوا بأنهم مجموعة حقيقية وليست وهمية ، مما كان يعني أنه على كل نوبي أن يوقع عريضة يذكر فيها «أنه نوبي وتعرض للظلم». وهذه حيلة بائنة سعت من خلالها المحكمة العليا إلى وأد قضية النوبة إلى غير رجعة.

ترتب على حرمان الأجيال الأولى من النوبة من الحصول على الجنسية الكينية أن ورث أحفادهم هذه التفرقة القائمة على الحرمان من الوثائق الثبوتية ، فأصبح من المستحيل تسجيل المواليد وإستخراج شهادات الميلاد لهم وبالتالي حرمانهم من الجنسية وكل مايرتبط بذلك من الحق في التعليم والتوظيف وحق الرعاية الصحية والإجتماعية، بل والحقوق السياسية مثل حق تشكيل التنظيمات السياسية وحق الترشح والتصويت⁽¹⁶⁾.

2. ملكية الأرض:

ترتب على حرمان النوبة من إستخراج بطاقات الهوية حرمانهم من تسجيل الأراضي التي منحها لهم الإستعمار الإنجليزي وظلوا يعيشون فيها زهاء المئة وخمسين عاماً . ومع تزايد الضغط على الحكومة الكينية المتعاقبة من جانب منظمات حقوق الإنسان الإقليمية والدولية أعلن الرئيس الكيني آنذاك «دانيال أراب موي» في عام 1996 أن النوبة سيتم منحهم سندات ملكية لأراضيهم ، إلا أن ذلك الوعد كان سراباً بقيعة حسب النوبة الظمانون للجنسية حقيقة ، وفي عام 1997 أعلن وزير الأراضي والتوطين بأن وزارته تسعى لتأمين حقوق الملكية لملاك الأراضي الحقيقيين ، فحصل سكان بعض القرى مثل «مازيراس» و«كاسيمو» الذين تربطهم صلات قوية بالكنيسة على سندات الملكية ، بينما حُرِم منها معظم سكان «كابيرا» ومنهم النوبة.⁽¹⁷⁾

3. الحرمان من التعليم وما ترتب عليه:

عادة ما لا يواصل شباب النوبة تعليمهم ، فيهجرون مقاعد الدراسة في سن مبكرة مما تسبب في تدني المستوى التعليمي في أوساط أفراد هذه المجموعة وإرتفاع مستويات البطالة بين أفرادها ، مما يرمي بهم في أتون عالم الجريمة والمخدرات. وتتفاقم هذه المحنة بفعل التمييز الذي يُمارس ضد النوبة سيما المسلمين منهم.

4. الإجراءات التمييزية الحاطة من القدر:

فرضت السلطات الكينية إجراءات لا تخلو من التمييز والخط من القدر على الشباب النوبة الراغبين في الحصول على بطاقات الهوية ، حيث إشتطت خضوع المتقدمين لطلب تلك البطاقات لفحصٍ للتحقق من هويتهم

تتولاه لجنة مشكلة من إثنتين أو ثلاثة من النوبة كبار السن . ومن تُثبت هذه اللجنة صحة هويته النوبية يمكنه التقدم لإدارة الشرطة المعنية لإستخراج بطاقة هويته. وقد رأت مفوضية حقوق الإنسان الكينية (وهي كيان مستقل شكلته الحكومة الكينية في عام 2007) بأن إخضاع النوبة والصوماليين والعرب الكينيين لمثل إجراءات التحقق من الهوية هذه ينطوي على معاملة تمييزية تنتهك مبدأ المساواة في المعاملة ، حيث لا يتم تطبيق شرط التحقق من الهوية إلا على هذه الفئات الثلاثة.

وقد برر بعض الساسة هذه الإجراءات بإعتبار أنها قد أملتها مقتضيات الحرب على الإرهاب ، غير أنه هذه حجة واهية بإعتبار أن السلطات الكينية ظلت تمارس هذا التمييز قبل زمن طويل من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، التي فاقمت من هذه الإجراءات .⁽¹⁸⁾

5. الإخلاء القسري للمساكن:

فعلى الرغم من تعهد الحكومة الكينية بعدم هدم المساكن في أحياء الفقراء إلا بعد إيواء ساكنيها في مساكن بديلة ، ظلت السلطات البلدية تمارس عمليات هدم المساكن وإخلاء ساكنيها قسراً . ففي عام 2004 قامت هذه السلطات بهدم 400 مسكن في «كابيرا» تمهيداً لتشديد طريق يمر بمحاذاة إحدى قرى «كابيرا» مما أدى إلى نزوح ألفين من سكان المنطقة جُلبهم من النوبة . وقد أقدمت السلطات الكينية على ذلك وهي تعلم علم اليقين أن الإخلاء القسري بهذه الشاكلة يمثل إنتهاكاً لإلتزاماتها بموجب الإتفاقيات والمعاهدات الدولية التي صادقت عليها، والتي توجب عليها إبلاغ السكان المُستهدفة مساكنهم بالهدم قبل وقتٍ كافٍ، إلى جانب توفير المأوى البديل لهم أو تعويضهم عن مساكنهم . ومن أسوأ الإنتهاكات في هذا السياق ما حدث عام 2007 حين أمهلت وزارة الإسكان سكان «سويتو» الشرقية مهلة أسبوع واحد لإخلاء مساكنهم تمهيداً لهدمها لتشديد طريق مباقاسي- كارانجا ، ولم تفعل الوزارة أكثر من وسم المساكن المُستهدفة بالهدم بعلامة الصليب الأحمر ولم تمنح أيّاً من السكان تعويضاً ، بل أنها ذهبت الى حد التهديد بمقاضاتهم لتغريمهم تكاليف إزالة مساكنهم.⁽¹⁹⁾

7. التهجير القسري لصالح مجموعاتٍ أخرى:

تعرض النوبة للتهجير القسري لصالح المجموعات المسيحية الموالية للحكومة الكينية ، وقد إنطوى ذلك التهجير القسري على نوع من الإضطهاد الديني حيث هُدمت مساكن نوبية لصالح بناء كنائس لهذه المجموعات . ففي عام 1978 تم هدم مدرسة «موي» للبنات بإحدى أحياء النوبة لصالح بناء

إحدى هذه الكنائس ، وفي مناطق نوبية أخرى تم هدم المنازل لصالح إنشاء مؤسسات تابعة للكنيسة ، وقد أفضى ذلك إلى جعل العديد من العوائل النوبية في تعداد النازحين ، ولم يبق للنوبة سوى 700 هكتار من مجموع 4198 كانوا يعيشون فيها . وقد كانت دوافع سياسية تقف وراء ذلك التهجير، حيث كانت السلطات الكينية ترغب في ضمان التفوق العددي للمجموعات المسيحية الموالية لها لسد الطريق أمام المرشحين النوبة في الإنتخابات.

8. الإقصاء السياسي :

لجأت حكومة «دانيال أراب موي» الذي خلف «جوموكينياتا» في الحكم عام 1979 إلى كل الوسائل لضمان الإقصاء السياسي للنوبة ، وفي هذا السياق نذكر أن المرشح النوبي «يونس علي» كان المرشح الأوفر حظاً في مواجهة «فيليب ليكي» المرشح الكيني الأبيض الموالي للرئيس «موي» ، غير أن «موي» قد رشى «يونس» لينسحب من الإنتخابات ليفسح الطريق أمام «ليكي» ففاز هذا الأخير.

دور منظمات النوبة الحقوقية المحلية:

تشمل المنظمات الرئيسية المعنية بشئون النوبة كل من : لجنة أراضي «كابيرا» ، ومجلس كبار النوبة . وينصب نشاط لجنة أراضي «كابيرا» على قضايا الأراضي ، وكانت قد فرغت في عام 2002 من التفاوض مع الحكومة بشأن إصدار شهادات الملكية الخاصة بما يُسمى بالقرى النوبية التي تنتشر على مساحة 250-300 هكتار، أي نصف مساحة «كابيرا». غير أن المجلس ظل ومنذ ذلك الحين ينتظر بلاجدوى صدور تلك الشهادات.

أما مجلس كبار النوبة فقد تصاعد نشاطه في أعقاب الصدمات التي إندلعت في عام 2001 ، وبذل جهوداً مقدرة لتهدئة الأوضاع وإعادة الأمور إلى طبيعتها بالتعاون مع كبار المجموعات العرقية الأخرى. ويعمل هذا المجلس على ضمان إحترام حقوق النوبة ، كما بادر إلى رفع دعوى أمام المحكمة الجنائية الدولية بشأن قضايا منح الجنسية للنوبة وإلغاء التمييز الذي يُمارس ضدهم، إلى جانب الدور الفعال الذي قام به في الدعوى التي تم رفعها أمام المفوضية الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب ببانجول .⁽²⁰⁾

ولا يحتاج المراقب إلى عميق نظر حتى يثبت له أن هذه إنتهاكات تشكل تعدياً سافراً على أحكام أهم التشريعات الدولية بشأن عديمي الجنسية وهي معاهدة عام 1954 بشأن عديمي الجنسية.

فإن كانت السلطات الكينية التي جاءت بعد خروج المستعمر البريطاني تنظر إلى النوبة بإعتبارهم دُخلاء ، نقول إن معاهدة عام 1954 تصنفهم ضمن

فئة الأشخاص (الذين يقيمون بطريقة مشروعة في إحدى الدول الأطراف فيها). وعليه فقد منحهم حق تشكيل التنظيمات (المادة:15)، وحق العمل (المادة:17)، وحق ممارسة المهن الحرة (المادة:19)، وحق الحصول على مسكن (المادة:21)، والحق في الحصول على وثائق السفر (المادة:28). كما ينطبق على أفراد مجتمع النوبة وصف آخر أوردته هذه المعاهدة وهو وصف عديمي الجنسية الذين إعتادوا الإقامة في دولة طرف في المعاهدة (Habitually resident” in a State party). فبالرجوع إلى تاريخ مجيء النوبة إلى كينيا في مطلع الخمسينيات، يمكن القول بأن الفترة التي إنقضت ما بين قدوم النوبة إلى كينيا وقيام أول حكومة وطنية في كينيا في عام 1963 هي مدة كافية لوصفهم بالمقيمين المعتادي الإقامة في بلد طرف في المعاهدة.

والجدل القانوني هنا، أنهم إستمدوا مشروعية إقامتهم من سلطة الأمر الواقع أي سلطة المستعمر البريطاني، وبعد تصفية الإستعمار أصبحوا في ذمة السلطات الوطنية الكينية التي تلزمها التشريعات الدولية بمنحهم الحقوق الواجب منحها لعديمي الجنسية مثلما فعلت مع الآسيويين وعلى وجه الخصوص الهنود، كما سيرد في جزء لاحقٍ من هذه الورقة.⁽²¹⁾

قضية النوبة أمام المحاكم الكينية:

نظرت المحاكم الكينية لإماماً في الدعاوى المرفوعة ضد الحكومة الكينية بشأن إنتهاكها لحقوق المجموعة النوبية، ونورد أناه ثلاثة من الدعاوى التي إستنفذت مراحل التقاضي حتى وجدت طريقها إلى المحكمة العليا، وقد سبقتها دعوتان رُفعتا أمام المحاكم الكينية في عامي 2003 و2006، غير أنهما لم يُكتب لهما الوصول إلى المحكمة العليا.

المحكمة العليا – دائرة المراجعة الدستورية والقضائية (العرائض رقم 65-85 و95، لعام 9102):

نظرت دائرة المراجعة الدستورية والقضائية في العرائض رقم 56-58 و59 لعام 2019 التي تقدمت بها بالتضامن مجموعة من المنظمات الحقوقية هي: منبر حقوق النوبة والمفوضية الكينية لحقوق الإنسان والمفوضية القومية الكينية لحقوق الإنسان ضد الحكومة الكينية ممثلة في أجهزتها المعنية بحقوق الإنسان.

وملخص هذه العرائض:

1. أن الجمعية الوطنية الكينية (البرلمان) قد أجازت في العشرين من نوفمبر من عام 2018 التعديلات المتنوعة التي تم إدخالها على القانون رقم (18) لسنة 2018، التي وافق عليها رئيس جمهورية كينيا ودخلت إلى حيز النفاذ في الحادي والثلاثين من ديسمبر من عام 2018. وقد تضرر النوبة من

بعض تلك التعديلات ، سيما تلك التي ربطت تقديم الخدمات الحكومية بما فيها والتعليم والإسكان والرعاية الصحية والخدمات الزراعية وتحويل الأموال بالحصول على مستندات الهوية، وهو أمر كان يتعذر تماماً على النوبة بسبب السلطات الواسعة النطاق التي منحتها المادة (8) من تلك التعديلات لضباط التسجيلات وخولتهم طلب معلومات إثبات إضافية كشرط لإصدار بطاقات الهوية لسكان المناطق المهمشة ومنها «كابيرا» حيث يقطن النوبة. ومن بين معلومات الإثبات التعجيزية الجائرة تلك مُطالبة مقدمي طلبات مستندات الهوية من النوبة بإجراء فحص للحمض النووي (DNA) وتحديد مواقع سكنهم من واقع معلومات أجهزة تحديد المواقع (GPS).

2. ترى المنظمات الحقوقية أن إجازة هذه التعديلات تنطوي على إنتهاك للدستور الكيني، كما أنها تشكل - على نحو ينم عن سوء النية- تهديداً مباشراً لحقوق النوبة وحررياتهم الأساسية التي تكفلها وتحميها وثيقة حقوق الإنسان.

قرار دائرة المراجعة الدستورية والقضائية :

وقد خلصت دائرة المراجعة الدستورية والقضائية بالمحكمة العليا الكينية بعد نظرها في تلك العرائض الثلاثة إلى أن:

أ. إن مطالبة مقدمي طلبات مستندات الهوية من النوبة بإجراء فحص للحمض النووي (DNA) وتحديد مواقع سكنهم من واقع معلومات أجهزة تحديد المواقع (GPS) أمر غير لازم ، وينطوي على إقحام لأمر ليس ذات صلة بمستندات الهوية، وهو بذلك ينتهك أحكام البند (31) من الدستور.

ب. إن مطالبة مقدمي طلبات مستندات الهوية من النوبة بإجراء فحص للحمض النووي (DNA) وتحديد مواقع سكنهم من واقع معلومات أجهزة تحديد المواقع (GPS) حسبما نص عليه في البنود الفرعية 5 (1) (ز) و5 (1) (ح- ط) من قانون تسجيل الأشخاص أمر يتعارض أيضاً مع أحكام البند (31) من الدستور، مما يجعل هذه البنود الفرعية غير دستورية، وعليه فهي باطلة ولاغية.

ج. للدولة المدعى عليها الحق في المضي قدماً في تنفيذ النظام الوطني لإدارة الهوية ، ولها الحق أيضاً في استخدام المعلومات التي يتم تجميعها في إطار هذا النظام، شريطة أن يتم ذلك، أولاً وفقاً لإطار تنظيمي ملائم وشامل يضمن إنسجام التنفيذ مع

المقتضيات الدستورية السارية الواردة في هذا الحكم . (22)

قضية نوبة كينيا السودانيين أمام المحافل الإقليمية والدولية: أولاً : على المستوى الإقليمي:

أقرت المنظمات الإقليمية وقوع ممارسات تمييزية ضد النوبة الكينيين، كما خلصت إليه المفوضية الأفريقية لحقوق الإنسان في قرارها بشأن الفصل في قضية مجتمع النوبة ضد حكومة كينيا في فبراير 2015 ، كما تبنت نفس الرأي لجنة الخبراء الأفارقة المعنية بحقوق ورفاهية الأطفال عندما فصلت في قضية أحفاد النوبة ضد حكومة كينيا في فحوى قرارها الصادر في مارس 2011. وقد رأت المفوضية واللجنة في ممارسات الحكومة الكينية بشأن التسجيل وإصدار مستندات الهوية تمييزاً سلبياً ينتهك حقوق افراد هذه الأقلية. (23) ونظراً لتعدد القضايا التي رفعتها المنظمات الحقوقية دفاعاً عن قضية النوبة نختار أهمها والتي تمخضت عن منح النوبة حقوقهم:

أ.قضية النوبة أمام المفوضية الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب:

رفعت هذه الدعوى في مواجهة الحكومة الكينية مبادرة المجتمع المفتوح للعدالة (OSJI) ومعهد حقوق الإنسان والتنمية في أفريقيا (IHRDA) نيابة عن مجتمع النوبة المقيمين في كينيا أمام المفوضية الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب خلال دورة إنعقادها التاسعة والثلاثين في بانجول- غامبيا خلال الفترة 9-23 مايو 2006.

ملخص عريضة الدعوى:

- وفقاً لعريضة الدعوى، فإن أحفاد النوبة الذي يتجاوز تعدادهم المئة ألف نسمة هم أحفاد الجنود السودانيين الذين تم تجنيدهم قسراً في كتيبة بنادق الملوك الإفريقية في بواكير القرن التاسع عشر ، وهم ينتمون في الأصل إلى جبال النوبة بجمهورية السودان.
- ويدعي الشاكون أن أسلافهم قد تم تجنيد و جلبهم قسراً إلى مختلف أنحاء شرق أفريقيا ومن بينها ما يُعرف اليوم بكينيا للقتال ضمن صفوف الحملة البريطانية. غير أنهم وبنهاية هذه الحملة ، لم تمنحهم سلطات الإستعمار البريطاني المواطنين البريطانية كما فعلت مع عمال السكة الحديد الهنود الذين تم جلبهم إلى كينيا.
- وإزاء ذلك الظلم ظل النوبة مجرد رعايا بريطانيين يعيشون في كينيا التي لا يعرف أسلافهم لهم وطن آخر سواها. ولم تعبأ

السلطات الكينية بعد الإستقلال في عام 1963 لوضعهم ، بل ظلت تعاملهم كأجانب على الرغم من أهليتهم للحصول على الجنسية الكينية بموجب الدستور الكيني لعام 2010 ، وبسبب ذلك فقد حُرِّموا من كل حقوقهم سيما الخدمات الأساسية مما جعلهم يعيشون في فقر مُدقع. وعليه ، فإن ما تقدم يشكل إنتهاكاً للبنود 1-2-3-5-12 (1)-13-14-15-17(1)-18-19-22-24 من الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب.

بعد التداول في حيثيات هذه القضية والدفعات التي قدمها طرفاها ، خلصت المفوضية إلى:

1. أن جمهورية كينيا قد إنتهكت البنود: 1-2-3-5-12-13-14-15-16-17 و 18 من الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب.

2. طلبت المفوضية من الحكومة الكينية:

■ وضع معايير وإجراءات تتسم بالشفافية وعدم التمييز لمنح الجنسية الكينية.

أ. الإعتراف بحق النوبة في ملكية الأرض في منطقة «كابيرا» وإتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية هذه الملكية.

ب. إتخاذ التدابير اللازمة لضمان إن القيام بعمليات إجلاء السكان من منطقة «كابيرا» يتم وفقاً لمقتضيات المعايير الدولية لحقوق الإنسان.

ج. إبلاغ المفوضية عملاً بمقتضى البند 112 (2) من قواعد إجراءات المفوضية خلال (180) يوم من تاريخ إخطارها بهذا القرار بالتدابير التي إتخذتها في سبيل تنفيذ هذا القرار. (24)

موقف مؤسسات الإتحاد الأفريقي:

كان موقف مؤسسات الإتحاد الأفريقي من الدعاوى التي رفعها ليس النوبة وحدهم ، بل العرقيات الأخرى المضمومة حقوقها تكتنفه بعض المشاكل. فمفوضية الإتحاد الأفريقي لم يكن في وسعها في بادئ الأمر غير إصدار التوصيات التي كانت لاتجد سوى التجاهل من جانب الحكومة الكينية . لذلك يمكن القول بأن مؤسسات الإتحاد الإفريقي ،على وجه العموم ، كانت تفتقر إلى المصادقية ، حتى أنها وُصفت بأنها مجرد كلاب تنبح ولا تُعض .

فقد شكت المحاكم من أنها تجد صعوبة في تنفيذ التفويض الممنوح لها في غياب سلطة مراقبة التنفيذ المنوطة بالمجلس التنفيذي الذي يمثل برلمان رؤساء دول وحكومات الإتحاد الإفريقي . فتنفيذ قرارات المحاكم الصادرة في مثل هذه القضايا يقتضي تواملاً لصيقاً من حكومات الدول الأعضاء المعنية. فمن بين ثلاثة قضايا تخص المجتمعات المهمشة في كينيا لم تصدر قرارات للحكومة سوى في قضية النوبة والتي تم تنفيذ التوصيات الصادرة بشأنها تنفيذاً جزئياً لكونها كانت غير ملزمة، مما يعني أن أجهزة الإتحاد الإفريقي تحتاج إلى إستكشاف الدوافع السياسية التي تقف وراء عدم تنفيذ قرارات المحاكم الأفريقية بشأن المجموعات المتظلمة والعمل على معالجتها.⁽²⁵⁾

موقف مفوضية الأراضي الكينية:

ظلت هذه المفوضية على مر حقب التاريخ تسعى لإنصاف المجتمعات المهمشة مثل مجتمع النوبة، كما تثبت التوصيات التي دائماً ما تصدر عنها متى ما طلبت المحاكم رأيها للإستتارة به في الفصل في مثل تلك الدعاوى كما يثبت رأيها الصادر في عام 1932 بشأن قضية النوبة الذي فحواه: «إن الوضع القانوني لسكان «كابيرا» هو وضع «مستأجرين» وليس وضع «ملاك» بإرادة التاج البريطاني ، وحتى إستجارهم لهذه الأراضي قابل للإنتهاء بموجب قرار من مفوض الأراضي . ومن ناحية أخرى ، فإننا نرى أن لديهم حق في أن يتم أنصافهم. إذ أننا نعتبر أن الحكومة يقع على عاتقها واجب واضح تجاه هؤلاء الجنود السابقين... وهو إما أنها تعمل على إعادتهم إلى بلادهم، أو أن تجد لهم مأوى ... وفي رأينا أنهم لايجب ترحيلهم قبل منحهم أرض مناسبة في مكان آخر ، إلى جانب تعويضهم عن ما لحق بهم من إرباكٍ لحياتهم، وينطبق ذات الشيء على أراملهم وأبنائهم الذين كانوا يقيمون بالفعل في منطقة في «كابيرا».⁽²⁶⁾

ثانياً : على المستوى الدولي:

وردت قضية النوبة عرضاً ضمن قضايا إنتهاك حقوق الإنسان التي طالت المجتمعات المهمشة في كينيا، ومن أمثلة ذلك ورودها في التكاليف الذي أسندته الجمعية العامة للأمم المتحدة للمفوضية السامية لشئون اللاجئين ضمن فعاليات عام 2011 للإحتفال بالذكرى الخمسين لمعاهدة عام 1961 بشأن تقليل حالات إنعدام الجنسية، حيث طلبت منها العمل مع الحكومة الكينية لمعالجة مشكلة عديمي الجنسية . وقد ورد في ذلك التكاليف أن تعداد عديمي الجنسية ، ومن بينهم النوبة قد ناهز الإثنى عشر مليوناً في سائر أنحاء العالم . وشدد ذلك التكاليف على حقيقة أن حرمان الدول لبعض فئاتها من

حق المواطنة يجعل تلك الفئات محرومة من وثائق الهوية ، مما يترتب عليه حرمانها من الحق في التعليم والرعاية الصحية والتوظيف والملكية والمشاركة السياسية وحرية التنقل. (27) وقد أتت جهود المؤسسات الدولية والإقليمية والمنظمات الحقوقية على كافة المستويات أكلها عندما أصدرت الحكومة الكينية قراراً في الثاني من يونيو 2017 تعترف بموجبه بملكية النوبة ممثلين فيما يعرف بإتحاد مجتمع النوبة لمساحة 288 هكتار من الأرض في «كابيرا» ، مثلما أوصلت المفوضية الأفريقية في قرارها الذي صدر عنها في عام 2015 بعد أن نظرت في الدعوى التي رفعتها مبادرة مجتمع العدالة نيابةً عن مجموعة النوبة، وذلك بعد الدعوى التي رفعتها نفس المبادرة بالتضامن مع معهد حقوق الإنسان والتنمية في أفريقيا في عام 2006 . وقد تسلم قرار ملكية الأرض الشيخ «عيسى عبد الفراج» رئيس مجلس إتحاد زعماء النوبة من يد الرئيس الكيني «أوهورو كينياتا» . ويشهد هذا الحدث على أن إحالة قضايا حقوق الإنسان لمؤسسات الإتحاد الأفريقي هو أنجع السبل لحسم هذه القضايا، مع مواصلة المجتمعات المتضررة لإلتزامها وتمسكها بتلك القضايا ، إلى جانب إمتلاك الحكومات للإرادة والإستعداد لتسويتها. ويُسقط هذا الإعتراف بملكية الأرض جميع العقوبات التي كانت تقف أمام تمتع النوبة بحقوقهم الأخرى وأهمها حق المواطنة لأن السلطات الكينية كانت تربط ذلك الحق بملكية الأرض ضمن قيودٍ أخرى. (28)

الخاتمة والتوصيات:

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بقضية الجنود النوبة الذين تم تجنيدهم من وحدات الجيش المصري العاملة في مصر وجنوب السودان لمساعدة قوات المستعمر الإنجليزي في كينيا لكبح جماح مقاتلي «الماوماو» . وقد إنتشر هؤلاء الجنود في فتراتٍ مختلفة من خدمتهم العسكرية حتى شمل وجودهم سائر أنحاء شرق أفريقيا حتى أطلق عليهم المؤرخون إسم «نوبة شرق أفريقيا» . ويضم هؤلاء الجنود خليطاً من نوبيي شمال السودان الذين تم تجنيدهم من مصر إبان عملهم ضمن وحدات الجيش المصري في عهد الخديوي توفيق ونوبة غرب السودان الأوسط الذين تم تجنيدهم من السودان. وقد سلطت الدراسة الضوء على العديد من المحاور ذات الصلة ، وأهمها : جذور المشكلة . حيث أشارت إلى تجنيد هذه المجموعة ضمن ما يُعرف بكتيبة بنادق الملوك الإفريقية التي شكلت عماد قوات المستعمر البريطاني في شرق أفريقيا . ولإزالة اللبس الذي يعلق بمسمى النوبة الذي يُستخدم للتفريق ما بين نوبة جبال النوبة ورفصائهم النوبيين قاطني أقصى الشمال السوداني خلصت الدراسة إلى

الإسم يسري على المجموعتين النوبيتين، ويلاحظ ان الباحث قد درج لذلك على إستخدام لفظ النوبة ليسري على المجموعتين . بعد ذلك سلطت الدراسة المزيد من الضؤ على الوضع القانوني للمهجرين عديمي الجنسية وحقوقهم في التشريعات الإقليمية والدولية وأشارت إلى إنتهاكات حقوق الإنسان التي طالت نوبة كينيا السودانيين، وأهم الدعاوى التي تم رفعها بشأن حقوق النوبة أمام المحاكم الأفريقية والكينية.

وقد خلصت الدراسة إلى أن النوبة المعنيين هم خليط من نوبة جنوب كردفان ونوبيي شمال السودان وقلّة من الفور وبعض القبائل الجنوبية سيما الدينكا والشك والليندي، إلى جانب خليط من عشائر القبائل الأفريقية التي حاربت في صفوف الجيش البريطاني في شرق أفريقيا فتماهت مع النوبة بأن تصاهرت معهم وإعتمدت انماط معيشتهم وسلوكهم وذابت في محيطهم في خاتمة المطاف.

إلى جانب ذلك أوردت الدراسة الأسباب التي جعلت الحكومات السودانية المتعاقبة تتقاعس عن المطالبة بإنصاف هؤلاء الجنود النوبة، وكذلك المسوغات التي ساقها المستعمر البريطاني للإحجام عن إعادتهم إلى السودان، مشيرة إلى أن أحفاد الجنود النوبة أنفسهم لم تكن لديهم الرغبة في العودة إلى السودان، على خلاف أسلافهم الذين سعوا لذلك في منتصف خمسينيات القرن الماضي، غير أن مساعيهم تلك قد ذهبت أدراج الرياح..

وقبل وضع عصا الترحال، ينوه الباحث إلى أن شح الدراسات العربية التي تناولت هذا الموضوع إضطره إلى الإعتماد على نحو أقرب إلى الكُلي على المراجع المكتوبة باللغة الإنجليزية.

في خاتمتها توصي هذه الدراسة الجهات المعنية بتوثيق التاريخ العسكري السوداني ببذل المزيد من الجهد لحفظ الحق التاريخي لهذه الفئة من أهل السودان في أن تتعرف عليهم الأجيال القادمة، ويمكن ذلك من خلال سبر غور سيرتهم وتديونها إستناداً على محفوظات الأرشيف السوداني (Sudan Archives) التي توجد نسخ وافية من محتوياته في جامعة درم (Durham University) على وجه الخصوص، حيث يضم الأرشيف الخاص بالسودان في مكتبة جامعة درهم 1074 صندوقاً من الوثائق الورقية، وأكثر من 57,000 صورة فوتغرافية، فضلاً عن 136 فيلماً سينمائياً إلى جانب الف خريطة وقد مرهول من المواد المطبوعة. وكل ذلك الأرشيف يؤرخ للسودان منذ عام 1880 م . ويمكن البحث عنها بإستخدام الرمز المرجعي code Reference: GB- SAD-0033. (29).

ناهيك عما تحتويه سجلات المتحف العسكري البريطاني وأرشيف وزارتي الخارجية الدفاع في لندن وغيرها من الكيانات المعنية بالتوثيق للتاريخ البريطاني على وجه العموم وتاريخ الفتوحات البريطانية في شرق أفريقيا على وجه الخصوص.

وحسبي أنه تقع على عاتق المتحف الحربي السوداني ودار الوثائق السودانية مسئولية إقتفاء أثر هؤلاء الجنود السودانيين الذين عملوا في صفوف كتيبة بنادق الملوك الأفريقية في كل من يوغندا وكينيا. كما يمكن توجيه بعض طلبه الدراسات العليا في مجال التاريخ وحقوق الإنسان والدراسات الأمنية وغيرها لإفراد حيز مقدر من مساعيهم البحثية لهذه القضية.

المصادر والمراجع:

- (1) القوات المسلحة السودانية - ويكيبيديا (wikipedia.org)
- (2) Adam Hussein Adam- Kenyan Nubians: standing up to statelessness – Retrievable from: <http://www.justiceinitiative.org>
- (3) Wikipedia, the free encyclopedia
- (4) Ibid
- (5) Timothy Parsons – “Kibra Is Our Blood”: The Sudanese Military Legacy in Nairobi’s Kibera Location, 1902-1968 –: The International Journal of African Historical Studies. Vol. 30, No. 1 (1997), pp. 87-122- Published by: Boston University African Studies Center- Retrievable from: <https://www.jstor.org/stable/221547>
- (6) Aljazeera news bulletin –July 8th. 2021
- (7) House of Commons Home Affairs Committee The Windrush Generation (2018) Sixth Report of Session 2017
- (8) Robert Home and Faith Kabata: Turning fish soup into fish : The wicked problem of African community land rights – Published by Babalola Journal of studies on development and Law VOL. 9: 2: 2018-Retrieval from: <https://dx.doi.org/10.4314/jsdlp.v9i2.2>
- (9) Business Daily-May 5th. 2016-. How Kenya’s Nubian community became ‘stateless’
- (10) Samantha Balaton-Chimes :Counting as Citizens: Recognition of the Nubians in the 2009 Kenyan Census- pp. 205-218- | Published online: 17 May 2011 - <https://doi.org/10.1080/17449057.2011.570983/>

- (11) Letter District Commissioner to Commissioner for Local Government, Lands & Settlement, 151930/10/, KNA, PC/CP.9168 .3/15/ and Letter of Acting Chief Secretary, 2239/8/, KNA MAA/23/1/ ii.
- (12) Major Edwards“ Memorandum, 1936, p3; Kibera survey report, p.2
- (13) Elfversson, E., Höglund, K. (2017) Home of last resort: Urban land conflict and the Nubians in Kibera. Kenya. Urban Studies – Retrievable from: <https://doi.org/10.11770042098017698416/>.
- (14) 13. محند بوكوطيس: عديمي الجنسية من منظور القانون الدولي- مدونات قناة الجزيرة 2018- /8/16 <https://Aljazira.net/> .Author/mohand-bouktis
- (15) Michael Addaney : Dealing with statelessness in sub-Saharan Africa: The way forward- Published in “Africa Law”
- (16) Batchelor: ‘Statelessness and the Problem of Resolving Nationality Status’. International Journal of Refugee Law (1998). pp. 156–182.
- (17) Press release Minister of Lands and Settlement, 2397/10/. Copy from Kibera.
- (18) Retrievable from: <http://www.minorityrights.org/3951/kenya/muslims.html>
- (19) COHRE 2006: 536-; “D-Day for Kibera`s derelict structures”- Sunday Nation, 2904/2/.
- (20) Report of the Business and Economic Research Co. Ltd., reference in Schwartz-Barcott.

- (21) Handbook of Stateless Persons` protection under the 1954 Convention relating to the status of Stateless Persons – Geneva. 2014
- (22) Kenya Law : Petition 56. 58 & 59 of 2019 (Consolidated)-
Retrieval from: [http://kenyalaw.org/caselaw/view/189189#Google search](http://kenyalaw.org/caselaw/view/189189#Google%20search)
- (23) African Charter on the Rights and Welfare of the Child. OAU Doc. CAB/LEG/24.91990) 49/),
- (24) Communication 317 / 2006 – The Nubian Community in Kenya vs. The Republic of Kenya
- (25) Olafemi Amao. African Union Law: The Emergence of a Sui Generis Legal Order (Routledge 2018).
- (26) Quoted in Nubian Community of Kenya v The Republic of Kenya. African Commission Communication 3172006/.
- (27) UNHCR–Kenya’s Nubians: Then & Now – Nov. 17th. 2010.
- (28) Relief web – New York – 5 Jun 2017 – After Long Struggle, Kenya’s Nubian Minority Secures Land Rights.
- (29) Durham University Library Archives & Special Collection catalogue Retrieval from : catalogue: <https://n2t.durham.ac.uk/ark:/32150/s1k930bx05z.xml>

التدخل الإماراتي في اليمن (الدوافع و التحديات و المآلات)

أستاذ مشارك - قسم العلوم السياسية - كلية الدراسات
الاقتصادية والاجتماعية - جامعة النيلين

د. مايسة مدني محمد مدني

المستخلص :

تتناول الورقة موضوع التدخل الإماراتي في اليمن : الدوافع و التحديات و المآلات ، تتمثل أهمية الورقة في إنها تحاول الوقوف على الأهداف التي تسعى الإمارات إلى تحقيقها من خلال إنضمامها للتحالف العسكري لمواجهة انقلاب الحوثيين على السلطة الشرعية في اليمن .تكمن مشكلة الورقة في إنها تحاول تسليط الضوء على الأهداف والدوافع غير المعلنة للتدخل الإماراتي في اليمن و التحديات التي تعيق تحقيق ذلك ، إستندت الورقة على فرضية مفادها أن هنالك أهداف غير معلنة دفعت الإمارات إلى التدخل في اليمن و المشاركة في التحالف العسكري بقيادة المملكة العربية السعودية .تم استخدام المنهج التاريخي و الوصفي و دراسة الحالة .توصلت الورقة إلى عدة نتائج : حظيت اليمن بموقع جيوسياسي و استراتيجي هام جذب أنظار القوى الإقليمية إليها ، لدى الإمارات أهداف خفية غير معلنة ترتبط بتحقيق مصالح و أهداف طويلة الأجل دفعتها للمشاركة في التحالف العسكري بقيادة المملكة العربية السعودية .خرجت الورقة بعدة توصيات :امتناع القوى الإقليمية عن التدخل في الشؤون الداخلية اليمنية بما يخدم مصالحها ، ضرورة توحيد القوى اليمنية لمواجهة هذه التدخلات الخارجية التي تهدد وحدة الشعب اليمني و استقراره .

Abstract:

The paper deals with the issue of Emirati intervention in Yemen: motives and challenges, The importance of the paper is that it tries Standing on the goals that the UAE seeks to achieve by joining the military alliance To confront the Houthi coup against the legitimate authority in Yemen.The problem with the paper is that it attempts to shed light on the unspoken goals and motives of the Emirati intervention in Yemen And the challenges that hinder this ,The paper was based on the premise that there were undeclared goals that prompted the UAE to intervene in Yemen and participate in the military coalition led by the Kingdom of Saudi Arabia .The historical, descriptive and case study method was used.The paper reached several conclusions : Yemen has enjoyed an important geopolitical and strategic position, attracting the attention of regional powers to it , The UAE has hidden, undeclared goals related to achieving long-term interests and goals that pushed it to participate in the military coalition led by the Kingdom of Saudi Arabia .The paper came out with several recommendations : Regional powers refrain from interfering in Yemeni internal affairs in a way that serves their interests , The need to unite the Yemeni forces to confront these external interventions that threaten the unity and stability of the Yemeni people.

المقدمة :

تشهد الساحة اليمنية في الآونة الأخيرة مجموعة من التطورات السياسية والعسكرية أفرزت معطيات جديدة نتج عنها تضارب في المصالح الأمنية والاقتصادية والسياسة ، وصراع حول تقسيم النفوذ بين الفاعلين الإقليميين الأمر الذي شكل تحدياً كبيراً أمام الإمارات في تحقيق أهدافها المنشودة في اليمن .

مفهوم التدخل :

يقصد بالتدخل الممارسات الخارجية التي تؤثر علي الشؤون الداخلية لدولة أخرى ذات سيادة ، و يستخدم بعض المحللين هذا اللفظ إلي الإشارة للتدخل بالقوة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى⁽¹⁾.

يعتبر مبدأ عدم التدخل من المبادئ الهامة في القانون الدولي العام ، ويقصد به عدم تدخل دولة أو مجموعة من الدول في الشؤون الداخلية أو الخارجية لدولة أو مجموعة أخرى من الدول ، ويرتبط مبدأ عدم التدخل ارتباطاً وثيقاً بفكرة السيادة الوطنية للدولة ، إضافة إلي أنه أثر من آثار مبدأ السيادة أي مترتب عليه ونتيجة له ، وعليه فإن احترام سيادة الدولة واستغلالها يتطلب عدم التدخل في شئونها الداخلية من قبل أي دولة أخرى أو منظمة من المنظمات الدولية العالمية والإقليمية ، وقد نص علي ذلك ميثاق الأمم المتحدة في المادة (7/2) : « ليس في الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما ، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لان تحل بحكم هذا الميثاق ، علي أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع »⁽²⁾.

للتعرف علي خاصية التدخل يضع البعض شروطين أساسيين بغض النظر عن الأشكال والوسائل المستعملة وهما : أن يكون العمل جديداً وخارقاً للعادة ، وان يكون لسلوك التدخل تأثيراً ايجابياً أو تأثير سلبي في التركيبة السلطوية للدولة المستهدفة⁽³⁾.

يعتقد البعض أن التدخل عملية توازنية للحفاظ علي توازن القوى الضروري لاستقرار النظام الدولي ، وتتخذ هذه العملية شكلين هما :⁽⁴⁾

- أ. التدخل الدفاعي الذي يهدف إلي منع إحداث تغيير في توازن القوى الموجودة وذلك لأنه سيضر بمصالح الدولة المتدخلة .
- ب. التدخل الهجومي الذي يقاوم لإحداث تغيير في توازن القوى الموجودة وإحداث تغيير في نظام الحكم للدولة المستهدفة . بطريقة تضمن اكبر قدر ممكن من النتائج الإيجابية للدولة المتدخلة .

يري بعض المحللين السياسيين أن التدخل يشمل جميع الأنشطة

الخارجية . التي تهدف إلى تغيير القادة السياسيين أو البناء الدستوري للدولة عن رسم السياسة الخارجية ، أي يهتم التدخل بالأنشطة الخارجية التي تكون ضد الرغبات القانونية للسلطة .

يمكن تقسيم التدخل إلى تدخل داخلي وهو أن تتدخل دولة بين الأطراف المتنازعة في دولة أخرى سواء كان ذلك التدخل لصالح الحكومة الشرعية أم لصالح الثوار ، تدخل خارجي هو أن تتدخل دولة في علاقات دولة أخرى وعادة تكون هذه العلاقات عدوانية ، تدخل عقابي نعني به حالة القمع التي لا تصل إلى الحرب بسبب ضرر قامت به الدول المتدخل في شئونها ، التدخل الهدام وذلك للدعاية وغير ذلك من الأعمال التي مارسها دولة ضد أخرى بقصد استثارة ثورة أو صراع مدني لصالحها (5) .

أشكال التدخل من حيث القائمين به :

تتعدد أشكال التدخل فقد يكون فردياً أو جماعياً ، وقد يكون مباشر أو غير مباشر علي النحو التالي :

التدخل الفردي :

نعني به قيام دولة بمفردها بالتدخل في شئون دولة أخرى ، عادة ما تكون اضعف منها بغرض تحقيق أهداف معينة كالأهداف السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، ... الخ ، ويجب أن تتعارض أهداف التدخل مع مصالح وأهداف الدولة المتدخل في شئونها حتى يصبح تدخل بالمعني الحقيقي

التدخل الجماعي :

قيام مجموعة من الدول بالتدخل في شئون دولة أخرى وذلك لتحقيق أهداف ومصالح مشتركة ، ولا يكتسب هذا التدخل صفة الشرعية إلا إذا كان دفاعاً عن النفس أو لمساعدة حكومة شرعية قائمة بناء علي طلب منها دون ضغط أو إكراه لمواجهة عدوان خارجي وليس لقمع معارضة خارجية (6)

التدخل المباشر والتدخل غير المباشر :

قد يكون التدخل ظاهراً وصريحاً « مباشر » سواء كان بالطرق الدبلوماسية أو العسكرية ، وقد يكون خفياً وغير ظاهر « غير مباشر » ، كأن ترسل الدولة المتدخلة أشخاص داخل الدول المراد التدخل فيها ، للقيام بأعمال غير قانونية ضد نظام الحكم أو عن طريق تقديم الدعم للمعارضة ومساندتها علي الإطاحة بنظام الحكم .

أهداف التدخل :

تتعدد أهداف التدخل فقد تكون أهداف سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو إنسانية وغير ذلك .

التدخل السياسي :

يتمثل في محاول دولة ما أن تفرض سياستها علي دولة أخرى ، ويأخذ هذا التدخل شكل رسائل شفوية أو طلبات كتابية سواء كان ذلك سرراً أو علنية أو الدعوة لعقد مؤتمر دولي لإقرار المطالب السياسية للدولة المتدخلة (7).

التدخل العسكري :

أكثر أشكال التدخل وضوحاً وعلانية وتتعدد أسبابه ، إلا أن الأسباب الاقتصادية تقف علي قمة هذا الشكل من التدخل ، فضلاً عن الأسباب السياسية .

التدخل الاقتصادي : يأخذ أحد شكلين هما : (8) .

أ. فرض الشروط المجحفة علي الدول الفقيرة والضعيفة من خلال المنظمات الدولية الاقتصادية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية .
ب. الضغوط الاقتصادية التي تتم من خلال العلاقات الثنائية المباشرة بين الدول الغنية والدول الفقيرة عبر اتفاقيات تركز هذا التدخل وتقننه .

التدخل الإنساني :

أدي الاهتمام الدولي لحقوق الإنسان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلي تطورات جديدة في طبيعة العلاقات بين الدول أهمها إن الفرد أصبح يتمتع بحماية النظام الدولي ، و عليه سمحت الدول الكبرى لنفسها بالتدخل العسكري الإنساني في العديد من الدول منذ أواخر القرن التاسع عشر ، مستندة في ذلك إلي فكرة الحماية الإنسانية والحماية الدبلوماسية ، وبعد دخول مسألة حقوق الإنسان إلي نطاق القانون الدولي ثار الخلاف القانوني حول جواز التدخل في الشؤون الداخلية للدول لمنع انتهاك حقوق الإنسان ما بين مؤيد للتدخل وما بين رافض له .
فيما يتعلق بالأسانيد القانونية للتدخل لأغراض إنسانية فان المواثيق الدولية التي تحتوي علي بيانات الحقوق والحريات الأساسية تمنح هذه الحقوق من حيث المبدأ لكل الأفراد بصرف النظر عن جنسياتهم ، وهذا يعني أن كل دولة تقبل تقييدات علي حرية عملها بموجب معاهدة دولية تلزمها حماية جميع البشر فهي ملزمة أيضاً بالتزامات بغض النظر عن معاملة الأشخاص الذين لم تتخذ بلدانهم الأمر نفسه أو التي سوف تتخذه ، ولا يمكن تفسير مثل هذا الفعل من جانب واحد من قبل الدول علي أنه مصلحة شخصية (9) .

الأهمية الإستراتيجية لليمن :

تقع اليمن في الجزء الجنوبي الغربي لقارة آسيا وهي همزة وصل بين آسيا وإفريقيا و أوروبا بموقعها البحري المتميز وإعتبارها نقطة مهمة للتجارة القديمة و الملاحة البحرية قديماً و حديثاً ، فقد كانت تمثل جزيرة العرب

بأكملها من راس مسندم في مضيق هرمز في حدود عمان شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً و من جنوب بادية الشام شمالاً حتى خليج عدن جنوباً⁽¹⁰⁾ .

يتمتع اليمن بأهمية استراتيجية كبيرة على المستويات السياسية والاقتصادية والأمنية ، فهو يشرف على باب المندب الذي يربط المحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط وخاصة بعد افتتاح قناة السويس ، الأمر الذي جعله مصدر اهتمام القوى الدولية على مر التاريخ ، حيث يمثل البوابة الجنوبية لمدخل البحر الأحمر ويتحكم بالممر الذي يصله بالمحيط الهندي ، ويتحكم كذلك في طرق الملاحة البحرية المؤدية إلى آسيا ، كما إن اليمن وبمساحته الجغرافية وعدد سكانه يعد عمقاً و امتداداً أمنياً وسياسياً لدول الخليج⁽¹¹⁾ .

كذلك يمتلك اليمن العديد من الجزر ذات الموقع الهام والتي تكسبه أهمية إستراتيجية كبيرة مثل جزيرة سقطري ، و الشئ الذي زاد من هذه الأهمية هو انتشار جزره البحرية في مياهه الإقليمية على امتداد بحر العرب وخليج عدن و البحر الأحمر كجزيرة بريم المطلة على مضيق باب المندب .

أما فيما يتعلق بمضيق باب المندب فهو يمثل نقطة الاختناق الرئيسية و مفتاح المدخل الجنوبي للبحر الأحمر إذ يبلغ عرضه حوالي عشرين ميلاً وتقسمه جزيرة ميون (بريم) إلى ممرين ، فالقناة الشرقية يقل عرضها عن ميلين و يبلغ عمقها 85 قدماً ، في حين يبلغ عرض القناة الغربية 16 ميلاً و يصل عمقها إلى 990 قدماً ، وهي تمثل القناة الوحيدة الصالحة للملاحة⁽¹²⁾ .

يعتبر باب المندب من أهم الممرات المائية في العالم نظراً لربطه بين البحار و المحيطات الغربية و الشرقية لذا فهو محط إهتمام دولي ، يشكل المدخل الجنوبي له موقعاً استراتيجياً هاماً إزدادت أهميته بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م و ظهور أكبر مخزون للبترو في الوطن العربي ولا سيما في شبة الجزيرة العربية ، حيث يشكل البترول سلعة استراتيجية هامة⁽¹³⁾ .

من ثم أصبح باب المندب طريق ملاحية لقوافل النفط العملاقة القادمة من الخليج العربي و من الشرق إلى غرب و جنوب و شمال أوروبا و أمريكا مروراً بمنطقة الشرق الأوسط عبر قناة السويس⁽¹⁴⁾ .

الأهداف و المصالح الإماراتية في اليمن :

أن طبيعة العلاقات الإماراتية اليمنية كانت غير مستقرة في أغلب الفترات بما في ذلك عهد الرئيس السابق علي عبد الله صالح ، فقد كانت تسودها حالة مد و جزر تبعاً للأحداث التي شهدتها اليمن و المنطقة حيث لم تشهد علاقة البلدين استقراراً نسبياً إلا في أعقاب توقيع اتفاقية تأجير ميناء عدن لصالح شركة موانئ دبي عام 2008م لمدة خمسة و عشرون عاماً قابلة للتديد لمدة عشر سنوات⁽¹⁵⁾ .

كان القرار الإماراتي بالمشاركة في التحالف العربي أو ما يعرف بعاصفة الحزم الذي تقوده المملكة العربية السعودية لمواجهة انقلاب الحوثيين على السلطة الشرعية للرئيس عبد ربه منصور هادي ، يمثل بوابة الدخول لتطبيق استراتيجية تحقق مصالح طويلة الأمد تنطلق من الخليج العربي مروراً بخليج عدن و مضيق باب المندب وصولاً إلى مصالحها في القارة الإفريقية . من ثم فأن التدخل الإماراتي في اليمن يأتي في صياغ البيئة السياسية و الاستراتيجية في ما بعد الربيع العربي و التي تضمنت تطورات مثيرة للقلق بالنسبة لقياداتها تحدياً للوضع الراهن في العالم العربي الذي تقوده الأنظمة الملكية الخليجية ، ترتب على ذلك سعي الإمارات لتوسيع نفوذها الإقليمي على خطوط إمدادات الطاقة عبر البحر الأحمر و مضيق باب المندب و العودة إلى ميناء عدن الاستراتيجي لاسيما بعد إعلان جيبوتي إلغاء عقد الامتياز المنوح لمجموعة موانئ دبي العالمية و إستعادة إدارة ميناء دورال و إعلان أرض الصومال وقف أعمال بناء مطار القاعدة العسكرية الإماراتية في بربرة الاستراتيجية⁽¹⁶⁾ .

تتمثل الدوافع و الأهداف الإماراتية من وراء تدخلها في اليمن في عدة جوانب منها:

أولاً : تعزيز نفوذها الجيوسياسي المتنامي في ما وراء بحر العرب حتى خليج السويس ويشمل ذلك خليج عدن و غربي المحيط الهندي وذلك بهدف تقوية و دعم موقفها العسكري و الاقتصادي والسياسي في مجلس التعاون الخليجي و جامعة الدول العربية والعالم العربي الذي يشهد تنافساً شديداً بين الإمارات و إيران و المملكة العربية السعودية وتركيا ومصر⁽¹⁷⁾ .

كذلك توسيع مشاركتها في مكافحة الإرهاب و إتخاذ ذلك وسيلة صعود إلى العالمية و كسب ود القوى الكبرى و من ثم التخلص من التهم الموجهة فيما يتعلق بدعمها لعض الجماعات الإرهابية .

ثانياً : تسعى الإمارات من وراء تدخلها في اليمن أيضاً إلى إرساء نظام إتحادي فيدرالي يماني مكون من إقليمين أو ثلاثة يشبه إلى حد كبيراً نظامها الاتحادي في حال تعزز ترتيب البلاد و تقسيمها إلى دولتين منفصلتين ، أي الرجوع إلى نظام الدولتين اليمن الشمالي و اليمن الجنوبي الذي كان سائداً قبل عام 1990م و الغرض من ذلك هو تسخير الفوائد الجيوبولتكية للمناطق اليمنية الواقعة تحت نفوذها لكي تخدم مصالحها في المنطقة⁽¹⁸⁾ .

ثالثاً : كذلك يرجع بعض المراقبين دوافع تدخل الإمارات في اليمن إلى إنها مهتمة بشكل أساسي بالسيطرة على جنوب اليمن و خاصة مؤاني الجنوب و الغرب و أبرز ذلك ميناء عدن الاستراتيجية و ذلك من أجل تأمين سيطرتها على خطوط الشحن التجارية في المنطقة ، و ميناء بلحاف النفطي في شبوة الذي يصدر منه الغاز المسال بوابة

لنفاسة إيران و قطر في سوق الغاز الطبيعي ، و المحافظة على وجودها بالقرب من مضيق باب المندب الحيوي و جزيرة سقطري التي يمكن أن تصبح قاعدة عسكرية و غرفة عمليات متقدمة لقوتها في خليج عدن و القرن الافريقي⁽¹⁹⁾.

رابعاً : أيضاً تسعى الإمارات من وراء تدخلها في اليمن إلى التصدي لإيران و ممارسة أقصى حد من التأثير في الشؤون الداخلية السعودية حيث لا تلتقي مصالحها دائماً مع المصالح السعودية ، و في هذا الصدد عملت الإمارات على مساعدة الحلفاء المختلفين في جنوب اليمن في معركتهم ضد تنظيم القاعدة و إحتواء الحوثيين المدعومين من إيران ، لذا من أجل تحقيق ذلك تعمل الإمارات على الانخراط العسكري و الدبلوماسي مع الملكة العربية السعودية إنطلاقاً من مصلحة إقليمية مشتركة في إحتواء إيران ، الأمر الذي يتيح لها من ممارسة الحد الأقصى من التأثير على جدول الأعمال الداخلي السعودي وعلى رأسه إجراءات كبح التطرف الوهابي⁽²⁰⁾.

من ثم فإن الإمارات عملت على استغلال الأوضاع في اليمن لتحقيق المزيد من التوسع ميدانياً لتبسط سيطرتها و تكون صاحبة النفوذ الأقوى في المستقبل في ظل إنشغال السعودية بوضعها الداخلي و المعارك في حدودها مع مليشيا الحوثيين ، و يتجلى ذلك بشكل واضح في التالي :⁽²¹⁾

1. انشاءقاعدة عسكرية في جزيرة ميون .
2. تهجير سكان بلدية نو باب القريبة من باب المندب و نقلهم إلى خيام في منطقة صحراوية في ظروف قاسية و تحويل مساكنهم إلى ثكنات عسكرية .
3. تحويل ميناء المخا إلى قاعدة عسكرية لهم و وضعوا فيها نحو أربعمئة من قواتهم و منعوا اليمنيين من الاقتراب منها ، وأصبح الميناء حكراً عليهم تصل إليه سفنهم الحربية و إمداداتهم العسكرية .
4. من السكان من صيد الاسماك على طول الشريط الساحلي من باب المندب و حتى ميناء المخا .
5. تشكيل قوات محلية تضم المئات من أبناء الساحل الغربي من المواليين لهم بشكل كامل ليشكلوا الحزام الأمني الذي تشرف عليه .

التحديات التي تعيق تحقيق الأهداف الإماراتية في اليمن :

يوجد عدة تحديات تواجه تحقيق و خدمة الأهداف الإماراتية في اليمن منها ما هو مرتبط بتحديات داخلية و منها ما هو مرتبط بتحديات خارجية و ذلك على النحو التالي :

التحديات الداخلية:

تتمثل التحديات الداخلية المرتبطة بالشؤون الداخلية في التالي :⁽²²⁾

- يعتبر اليمن موطن أكبر عدد من سكان الجزيرة العربية ، إذ يبلغ عددهم حوالي 28 مليون نسمة و كان يعيش %54 من سكانها عام 2014م تحت خط الفقر .

- يسيطر التحالف الذي قام بين الحوثيين المؤيدين لإيران و القوات الموالية للرئيس السابق علي عبد الله صالح على مساحات واسعة من البلاد بما في ذلك المناطق الاستراتيجية و ميناء الحديدة على البحر الأحمر
- خروج رقعة واسعة من اليمن عن سيطرة أي سلطة باستثناء القاعدة في شبه الجزيرة العربية و تنظيم الدولة الإسلامية ، يشكل تهديداً أمنياً خطيراً لدول مجلس التعاون الخليجي .
- يقع جنوب اليمن على مضيق حرج للتجارة البحرية الدولية في مجرى باب المندب الذي يسيطر على النقل البحري بين البحر الأبيض المتوسط و المحيط الهندي مروراً بقناة السويس .
- من منظور حقوق الإنسان فإن سجل الإمارات في اليمن يترك طابع سلبي عنها يتمثل في مسؤولية التحالف بما في ذلك الإمارات عن مقتل المدنيين اليمنيين و إطالة أمد الصراع ، كما إن البعض يحمل الإمارات وجود 18 مركزاً سرياً في جنوب اليمن حيث اختفى مئات المشتبه بهم و تعرضوا للتعذيب على يد القوات الإماراتية ، فضلاً عن عمليات قتل احتجاجات و أنشطة غير مشروعة قامت بها قوات الحزام الأمني بتمويل إماراتي في مدينة عدن .
- ضعف العلاقة بين الإمارات و الرئيس اليمني و كثرة الخلافات السياسية بينه و بين المسؤولين الإماراتيين مما انعكس سلباً على قضية استعادة السلطة الشرعية للبلاد .

التحديات الخارجية :

توجد مجموعة من التحديات الخارجية التي يمكن أن تقف عقبة في طريق تحقيق الحكومة الإماراتية لأهدافها المنشودة من وراء تدخلها في اليمن ومن أبرز هذه التحديات :

أولاً : الدعم الإيراني للانقلاب الحوثي على السلطة الشرعية

بدأ الانقلاب الحوثي على الشرعية في اليمن حينما تحالفت الأقلية الحوثية المدعومة من إيران مع فريق علي عبد الله صالح قبل قتله و بعض الفصائل الجنوبية و حاصروا القصر الرئاسي في صنعاء أثناء تواجد الرئيس عبد ربه هادي فيه ، إلا إنه تمكن من الهروب إلى عدن التي حاولوا قتله فيها، ومن ثم استنجد بالسعودية للتدخل و حماية الشرعية و غادر إلى الرياض . في هذه الأثناء ازدادت الأقلية الحوثية بعد أن أصبحت قوة عسكرية بانضمام الحرس الرئاسي لصالح لها و تلقي الدعم المباشر من إيران ، فقد كانت تسير رحلات جوية بينها وبين صنعاء تنقل إليها أفراداً من الحرس الثوري الإيراني تمهيداً لحشد عسكري قادم و تثبيت وجود إيراني دائم في اليمن⁽²³⁾ . بعد إنطلاق عاصفة الحزم لدعم الشرعية بقيادة كل من المملكة العربية السعودية و الإمارات تواصلت التصريحات الإيرانية بدعم الحوثيين ، حيث وجه

قائد الحرس الثوري رسالة إلى زعيم ميليشيات الحوثيين في اليمن عبد الملك الحوثي حثه فيها بالاستمرار في المقاومة ضد عمليات التحالف لإعادة الشرعية واعداداً باستمرار الدعم الإيراني لهذه الميليشيات الموالية لطهران⁽²⁴⁾.

الأمر الذي أفرز توترات واضحة بين الإمارات وإيران وذلك لطبيعة العلاقات الوثيقة بين إيران والحوثيين التي بدأت بالتقارب الفكري والمذهبي بينهم ، و خاصة حينما اختار الحوثيون شعار الثورة الإسلامية الإيرانية « الموت لأمريكا وإسرائيل » شعاراً لحركتهم السياسية الدينية .

يبدو أن هذا التوتر في العلاقات بين الإمارات وإيران ليس الأول من نوعه، فتاريخ العلاقات بينهما يتسم بالتراوح بين التعاون والصراع وعوامل الشد والجدب والتوتر من فترة لأخرى ، منذ العام 1971م يرجع يعود السبب في ذلك للإحتلال الإيراني لثلاث جزر إماراتية قبل أيام قليلة من استقلال الإمارات ديسمبر 1971م وهي طناب الكبرى وطناب الصغرى وأبو موسى⁽²⁵⁾.

تكمن أهمية هذه الجزر الثلاثة في إنها تقع على مدخل مضيق هرمز الذي يصل بين خليج عمان والخليج العربي ، فهي تشرف على حركة المرور في الخليج العربي و تتحكم فيها أيضاً ، فضلاً عن ذلك فإن 86% من صادرات نفط الشرق الأوسط تمر من مضيق هرمز بشواطئ هذه الجزر⁽²⁶⁾.

يلاحظ إن لإيران عدة دوافع من مساندة الحوثيين في اليمن تتجلى في التالي :⁽²⁷⁾

1/ تقارب المذاهب :

تحول أنصار الحوثي من معتقد المذاهب الزيدية إلى المذهب الجعفري الاثنى عشري بعد أن توثقت علاقة زعيم الحركة بإيران بشكل كبير .

2/ دوافع توسعية :

بعد نجاح الثورة الخمينية في إيران رغبت في تصدير الفكر الشيعي إلى كل دول المنطقة ، وهو ما قاد طهران إلى نسج علاقة مع جماعة الحوثي في صعدة شمال اليمن .

3/ الدعم العسكري :

كان للدعم العسكري الذي قدمته طهران لحركة أنصار الله الحوثي أثراً كبيراً في تحقيق الدوافع التوسعية التي تسعى إليها ، من خلال محاولتها في بسط نفوذها و أذرعها العسكرية و ميليشياتها في المنطقة و خاصة اليمن ، فضلاً عن رغبتها في فرض نفوذها على مضيق باب المندب .

على الرغم مما سبق كانت إيران تنكر دائماً في بداية الأمر وجود أي تحالف بينهما و إنها تقدم الدعم المعنوي فقط ، غير إنها كانت تقدم الدعم للحوثيين بطريقة سرية عبر الحرس الثوري الإيراني الموجود على

الأرض ويرجع ذلك إلى خوفها من الإفراط في التمدد في المنطقة من ناحية ، وأن الحوثيين ليسوا تحت سيطرتها المباشرة من ناحية أخرى، لذا كانت تدعوا في تصريحاتها العلنية إلى وقف إطلاق النار في اليمن ، (28) .

في هذا السياق حدث تغير ملحوظ في السلوك السياسي الإيراني من الحرب الدائرة في اليمن منذ العام 2019م ، يتجسد ذلك في سير النظام الإيراني في طريق الاعتراف بالحوثيين كحليف استراتيجي و التعامل معهم بطريقة علنية ، و قد تزامن ذلك مع زيارة وفد من أنصار الله الحوثيي إلى طهران التقوا فيها بوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف ثم بالمرشد الأعلى السيد علي خامنئي و قاموا بمبايعته ، توجهت هذه الخطوات باعتماد سفير من الحوثيين يمثل اليمن لديها(29) .

هذا الخطوة تمثل اعتراف إيراني صريح بالحوثيين كسلطة تمثل اليمن و من ثم التعامل معهم بشكل رسمي و استقبالهم في طهران كمسؤولين رسميين ابرمت معهم اتفاقيات ، و تقديم الدعم العسكري لهم (30) .

ثانياً : الدعم القطري لحركات الإسلام السياسي في اليمن :

سعت دولة قطر منذ العام 1991م على تعزيز علاقاتها مع اليمن عبر تبني عدة خطوات و مواقف داعمة لها و ذلك على النحو التالي : (31)

1. التعاطف معها في مواجهة المقاطعة الخليجية التي اتخذتها السعودية وبقية الدول الخليجية أثناء حرب الخليج الثانية .
2. تأييدها المستمر لانضمام اليمن لعضوية مجلس التعاون الخليجي .
3. تقديم المساعدات الاقتصادية للحكومة اليمنية في شكل منح أو قروض .
4. تمويل بعض المشاريع التنموية في اليمن و إقامة بعض المشاريع الاستثمارية .
5. الانخراط الموسع في التعامل مع مختلف القوى الفاعلة على الساحة اليمنية مثل حزب الإصلاح و حركة أنصار الله و الجماعات الجهادية و القاعدة .
6. دعم أنشطة الجمعيات الخيرية التابعة لحزب الإصلاح و المساهمة في تمويل بعض المشاريع الطبية و التعليمية المملوكة للإصلاح .

للحديث عن الدور القطري على الساحة السياسية اليمنية يظهر بشكل واضح في الدعم الذي تقدمه لجماعة الأخوان المسلمين المعروفة باسم التجمع

الیمنی للإصلاح ، حیث ظلت داعماً رئيسياً لهم بوسائل متعددة أبرزها الدعم الواضح الذی تقدمه قناة الجزيرة التابعة لها ، مما دفع المنتمون لهذا الحزب بالتصریح فی وسائل التواصل الاجتماعی عن انحيازهما الكلی لقطر علی الرغم من دعم المملكة العربیة السعودیة للقیادات العلیا فی الحزب⁽³²⁾ .

یأتي الدعم القطری لحزب التجمع الیمنی للإصلاح كجزء من استراتیجیة قطریة شاملة علی مستوى المنطقه للتحالف مع إحدى أهم حركات الإسلام السیاسی تنظیماً و انتشاراً فی المنطقه و الذی یمكن إن یقدم لها فرصة كبیره للقیام بدور إقليمي یعزز قدرتها علی التدخل فی الشؤون الداخلیة لدول المنطقه و علی رأسها الیمن .

كذلك إنضمت قطر فی بدایة الأمر إلی التحالف العسكری لدعم الشرعیة بقیادة المملكة العربیة السعودیة و الإمارات ، إلا إنها انسحبت منه بسبب قطع العلاقات بینها و بین الحكومة السعودیة و الحظر الذی فرضت علیها ، مما أحدث ذلك تغییراً واضحاً فی الرؤیة القطریة تجاه القضاة الیمنیة و من ثم أداء قوات التحالف السعودی الإماراتی . تم التعبير عن ذلك من خلال الآلیة الإعلامیة التابعة لها وهی قناة الجزيرة ، و التي قدمت انتقادات لازعة لقوات التحالف فی الیمن ، فضلاً عن تسلیط الضوء علی انتهاكاتهم ضد المدینین سواء بقصف الطیران لأهداف مدنیة أو بعمليات الاعتقال و الإخفاء القسری التي ترتكبها القوات الإماراتیة بشكل خاص⁽³³⁾ .

بناء علی ما سبق فأن قطر تقوم بدوراً خفياً یتجسد فی نشرها للمعلومات المتصلة بالانتهاكات و الأوضاع المتردیة فی مناطق سيطرة التحالف بشكل عام و جنوب الیمن بشكل خاص ، و قد رأى بعض المراقبین إن هنالك صراع حول النفوذ بین الإمارات و قطر متوقع حدوثه فی عدة محافظات كمحافظة تعز و عدن و شبوة

یرجع ذلك إلی أن هذه المحافظات تتمتع بمزايا كبیره تهتم الجانب القطری ، كمحافظة تعز بموقعها الجغرافی الذی یشرف علی مضیق باب المنذب و جزيرة میون شاملاً مدینة و میناء المحاء و جزء كبیر من ساحل البحر الأحمر و مواردها الاقتصادیة و البشریة تشكل أهمیة كبیره لها ، كما أن محافظة عدن تكتسب أهمیة سیاسیة و رمزیة كبیره لدى جمیع الأطراف السیاسیة الیمنیة عموماً و الجنوبیة خصوصاً لكونها كانت عاصمة الیمن الجنوبی قبل الوحدة ، الأمر الذی یجعل الطرف المسیطر علیها كأنه مسیطر علی كل المحافظات الجنوبیة⁽³⁴⁾ .

أیضاً محافظة شبوة لديها أهمیة اقتصادیة محلیاً و عالمياً لأنها توجد

بها منشآت بلحاف الغازية. بناء على ما سبق فإن قطر سعت سعياً حثيثاً لتوثيق علاقاتها مع حركة أنصار الله منذ العام 2017م في ظل متغيرات الأحداث المتلاحقة على الساحة السياسية اليمنية، من ثم دخلت في مرحلة تقارب تدريجي معهم يعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها العمليات العسكرية التي قادتها الإمارات في ساحل البحر الأحمر، مما نتج عنها السيطرة على بعض المناطق الحيوية التي كانت تتبع لسيطرة أنصار الله الحوثي و حلفائهم .

ثالثاً : صراع النفوذ مع المملكة العربية السعودية :

سعت المملكة العربية السعودية لتقويض نفوذ بعض الدول العربية التي كانت تمثل اللاعب الرئيسي في المنطقة و بالتالي تهيئة الوضع لتكون هي صاحبة النفوذ و التأثير الأكبر في مختلف قضايا المنطقة ، فهي برزت كدولة إقليمية مؤثرة خلال حقبة الحرب الباردة وما بعدها .

في هذا السياق أعطت القيادة السعودية اليمن أولوية في سياستها الخارجية ، فقدمت رعايتها لها منذ حقبة الستينيات حيث لم تقبل بامتداد النفوذ الخارجي إليها ، فقد احبطت مساعي الرئيس المصري انذاك جمال عبد الناصر و الذي حاول تصدير الثورة إليها و أيضاً احبطت مساعي إيران عندما حاولت أن تستخدم استراتيجيتها في تصدير الثورة لليمن ، فواجهتهم وحلفائهم الرئيسيين انذاك بكل حزم⁽³⁵⁾.

ونتج عن ذلك زيادة في الاهتمام و الرعاية و الإحتواء للحكومة اليمنية ولا سيما في حقبة الثمانينات من القرن الماضي و ما بعدها.

فيما يتعلق بجانب تاريخ العلاقات السعودية الإماراتية وتطورها منذ استقلال الإمارات و حتى تحالفهما العسكري مع بعضهم البعض لمواجهة انقلاب الحوثيين على السلطة الشرعية في اليمن ، فإنها اتسمت بالتوتر من وقت لآخر، بسبب الخلاف الحدودي بينهما⁽³⁶⁾.

يلاحظ بعض المراقبين للحرب الدائرة في اليمن إن هنالك ثمة خلافات بدأت تظهر بين الشريكين حول توسيع دائرة نفوذ كل منها داخل الأراضي اليمنية ، و يتمثل ذلك في علاقة الشريكين كل على حدة بالقوى اليمنية شمالاً و جنوباً ، ومنها ما يتعلق بالتنافس الاقتصادي و الاجتماعي و التنافس على الغنائم في الأرض و الجغرافيا و المنافذ و الجزر ، فضلاً على الإختلاف حول طبيعة و حجم الدعم السعودي السخي لحزب الإصلاح الذي تعتبره الإمارات خصماً لها بإعتباره تياراً يتبع لحركة الأخوان المسلمين ، الأمر الذي يجسد تهديداً لنفوذ الإمارات في المناطق اليمنية و لاسيما الجنوبية منها⁽³⁷⁾.

إذ یختلف الاماریتیون عن السعودیین فی الدعم المقدم للفرقاء الیمینیین المحليین ، حیث تقف الإمارات إلى جانب المقاتلین فی جنوب الیمن وذلك بحجة أن الرئیس الیمنی عبد ربه منصور المتواجد فی الریاض تنقصه الكفاءة وذلك ما اثبتته الأحداث و الوقائع ، بینما تدعم السعودية جانب الرئیس عبد ربه منصور و التحالفات الإسلامیة التي أنشأها نائبه علی محسن الأحمر.

یبدو إن الدعم السعودی المقدم للرئیس الیمنی عبدو منصور مرتبط بمخاوفها فی أن تتمكن الإمارات من إيجاد مواطئ قدم استراتیجیة و من تقویض نفوذها فی الفناء الخلفی التقليدي لها، و توسیع دورها فی الحفاظ علی الأمن فی البحر الأحمر، فی ظل عدم نشر السعودیة لقوات بریة فی الیمن الأمر الذی یزید هذه المخاوف (38) .

كذلك یبرز الخلاف بین الإمارات و المملكة العربیة السعودیة فی الیمن حول ما یعرف بقضية الإسلام السیاسی ، فقد رفضت حكومة الإمارات التشنید الإسلامی السیاسی فی الداخل و الخارج ، وبناء علی ذلك عملت علی حث الحكومة السعودیة بالتخلي عن حزب الإصلاح الیمنی الذی یعتبر بمثابة الفرع الیمنی لجماعة الأخوان المسلمین ، و الذی كسب قبول سعودی و خاصة فی العهد الحالي نظراً لأن قاعدته الداعمة هی عشائریة بشكل كبیر و یطغی علیها الطابع الیمنی ، الأمر الذی یميزه عن التنظيمات الأخرى التابعة لحركة الأخوان المسلمین فی مختلف الدول (39) .

إضافة إلى ذلك توجد خلافات حول تأسيس الإمارات للملیشیات ودعمها و الانفاق علیها ، فخلال فترة الحرب أسست الإمارات ملیشیات تابعة لها فی المحافظات المحررة من انقلاب جماعة الحوثی یصل عددهم إلى 90 ألف مقاتل فی عدة تشكيلات أهمها الحزام الأمني فی عدن ، الضالع ، لحج ، أبین، و سقطری و النخبة فی شبوة و حضرموت ، و كلفتها بعدة مهام أمنية و حماية المنشآت (40) .

وسهلت لهم كل ما یحتاجونه من دعم عسكري أو لوجستی ، أو كل ما یتعلق بإصدار القرارات و التعینات فی الجیش و الأمن و كذلك السلطة المحليیة، یبدو أن المصلحة الاسایة للإمارات من وراء ذلك هی إحكام السيطرة علی أكثر أجزاء الیمن و لاسیما المناطق الجنوبيیة منها(41) .

فی هذا الصدد دعمت الإمارات العید من الكتائب و المجموعات المسلحة الیمنیة التي ساندت القوات النظامیة لحكومة الشرعیة فی المعارك ضد ملیشیات الحوثی و تنظیم القاعدة و تنظیم الدولة ، و التي یمكن الإستفادة منها فی تثبیت مصالحها فی الیمن ، و هی علی النحو التالي (42) :

1. **كتائب أبو العباس** : توجد هذه الكتائب في مدينة تعز و التي تمكنت من صد هجمات مليشيات الحوثي المتتابعة للسيطرة على المنطقة ذات الطبيعة الجبلية .
2. **قوات جزيرة سقطري** : قامت الإمارات بإنشاء معسكرات تدريبية لشباب جزيرة سقطري اليمنية ليتم تجهيزهم كقوات أمنية و أجهزة شرطة مدنية و خفر سواحل .
3. **قوات الحزام الأمني في عدن** : تم تشكيلها بدعم مشترك بينها و بين المملكة العربية السعودية و ذلك بعد استيلاء قوات الشرعية على محافظة عدن ، مما استوجب الفراغ الأمني الحاصل في العاصمة ضرورة تشكيل جهاز أمني لضبط الحالة الميدانية و ملاحقة الخلايا الحوثية و العناصر الإرهابية النشطة في المحافظة

يعتقد البعض إن هذه المليشيات العسكرية و الأمنية التابعة للإمارات تقع عليها مسؤولية انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان من خلال القيام بأعمال الاعتقالات و أعمال التعذيب التي تحدثت عنها تقارير دولية متعددة كما إنها تقوم بحرب بالوكالة ضد من تعتبرهم الإمارات خصوماً لها⁽⁴³⁾. في هذا السياق تملك الإمارات سلطة على بعض ألوية العمالة التي تقاتل في الساحل الغربي للبلاد إلى جانب قوات حراس الجمهورية التي يقودها طارق صالح نجل شقيق الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح وكتائب أبو العباس في محافظة تعز وسط البلاد⁽⁴⁴⁾.

قد عملت هذه الهياكل على اسقاط شرعية الرئيس هادي كلياً و إنشاء دولة موازية للدولة اليمنية و هو ما يتعارض مع أهداف التحالف و تعميق الإنقسامات في المناطق الجنوبية و إطالة أمد الحرب في اليمن و تقويض الاستقرار في المنطقة ، و تنفيذ أجندة الحكومة الإماراتية التوسعية الأمر الذي يفتح أبواب صراع خفية مع منظومة التحالف ، وقد قوبلت هذه الأجندة الإماراتية بمخاوف سعودية من استقلال الإمارات لهذا النفوذ في التأثير على الأمن القومي للمملكة ، فسعت إلى تعزيز تواجدتها الميداني⁽⁴⁵⁾.

كذلك عملت الإمارات على استقلال المشروعية المجتمعية في جنوب اليمن و مطالب المواطنين في جنوب اليمن بالانفصال عن شماله ، من خلال تشكيل ما يعرف بالمجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم و الممول من قبلها ، و الذي تشكل في العام 2017م من مسؤولين سابقين في الحكومة الشرعية تم إقالتهم من قبل الرئيس اليمني عبد ربه منصور . وقد أعلن هذا المجلس في البيان الصادر عنه في 9 يوليو 2017م عدة قرارات هامة منها⁽⁴⁶⁾:

- الموافقة على مشاريع الوثائق المنظمة مؤقتاً إلى حين إقرارها قانونياً عند إكتمال المجلس و من هذه الوثائق مشروع النظام الأساسي ، مشروع البرنامج السياسي ، و مشروع الأسس و

- المبادئ .
- إنشاء عدد من الدوائر وعين لها رؤساء و منحهم شرعية العمل .
- تكليف عدد من الأعضاء بالإشراف على إدارة نشاط المجلس و عمله في المحافظات الجنوبية .

كذلك اعلن رئيس المجلس الانتقالي في أكتوبر 2017م أمام الحشود المناصرة له بأنه يرفض أي مشروع ينتقص من الإدارة الجنوبية الحرة ، إضافة إلى ذلك أعلن ما يلي (47) :

1. تأسيس الجمعية الوطنية للمجلس الانتقالي ، وتتكون من 303 عضواً و ثلاثة أعضاء من كافة محافظات الجنوب و شرائحه المجتمعية .
 2. التصعيد الشعبي ضد حكومة أحمد عبيد المستضافة مؤقتاً في عدن بعد فشلها في تقديم الخدمات و ممارسة العقاب الجماعي ، ومحاولة إعادة القوات الشمالية التي أخرجها شعبنا بالمقاومة المسلحة .
- يستنتج ما سبق إن المجلس الانتقالي أصبح الشريك المحلي للإمارات ، الذي يمكن أن تعتمد عليه لتنفيذ إجندتها في جنوب اليمن و الكيان الموازي لمؤسسات الحكومة الشرعية العسكرية ، و لم يختصر الأمر على ذلك بل أصبح أقوى كيان في مدن الساحل الجنوبي من اليمن و المنفذ لسياساتها في هذه المنطقة (48) .
- في وقت لاحق حاول هذا المجلس الانتقالي القيام بتمرد مسلح في يناير 2018م و أيضاً في اغسطس 2019م ، فقد نفذت القوات المدعومة إماراتياً ضد قوات الرئيس هادي تمرداً جديداً مدعوماً باستخدام الطيران الإماراتي ، من ثم نجح هذا المجلس في الاستيلاء على عدن بفضل عدة عوامل أبرزها تدخل الإمارات بأكثر من 400 مدرعة لمهاجمة القوات الحكومية الأمر الذي دفع الحكومية اليمنية إلى إتهامها بالتخطيط و التنفيذ و التمويل للتمرد المسلح ضدها في عدن و إبلاغ مجلس الأمن بذلك (49) .

في مقابل ذلك الوضع شجعت حكومة المملكة العربية السعودية الرئيس هادي بتشكيل كيان جنوبي موازي للمجلس الانتقالي المدعوم إماراتياً وكان ذلك في أبريل 2018م ، و من ثم برز ما يعرف بالائتلاف الوطني الجنوبي و الذي يحمل رسالة موجهة إلى أطراف عديدة ، مفادها أن القضية الجنوبية لا يمثلها المجلس الانتقالي وحده ، إنما هنالك العديد من الجنوبيين المعارضين لقياداته و يتبنون رؤية سياسية مختلفة (50) .

يلاحظ إن هذه الخلافات بين الشريكين أصبحت في تزايد مستمر و بشكل علني و الدليل على ذلك هو تزايد التصريحات الإعلامية المتباينة وعدم توحيد

قيادات القوات العسكرية التابعة لهما في المعارك التي خاضها ضد الحوثيين ، إذ يوجد فريقان إحداهما تحت قيادة السعودية و الآخر تحت قيادة الإمارات . غير إنه في الآونة الأخيرة حدث نوع من التوافق النسبي بين الشركين لتسوية هذه الخلافات التي يشكل إستمراريتها خطراً على بقاء التحالف و تحقيق أهدافه المنشودة في ظل وجود قوي إقليمية أخرى تحاول أن تجد موطئ قدم على الساحة اليمنية لتحقيق أهدافها و مصالحها في اليمن . بناء على ذلك حدث توافق وتنسيق بين الشريكين على النفوذ في المناطق المحررة ، إذ تمركزت الإمارات في مدن السواحل الجنوبية و الغربية و تولت تدريب و تمويل قوات عسكرية جنوبية تطالب معظمها بالانفصال عن الشمال ، بينما كثفت السعودية تواجدتها في المناطق الصحراوية مثل محافظة مأرب و المناطق المتاخمة لحدودها و عملت مع بعض الوحدات العسكرية في الجيش اليمني التي حاربت الحوثيين (51) .

الخاتمة :

مما سبق يمكن القول أن الإمارات كانت لديها أهداف غير معلنة تسعى لتحقيقها من وراء تدخلها في اليمن ضمن مشاركتها في التحالف العربي لإعادة الشرعية تتمثل في تحقيق مصالحها الاستراتيجية والسياسة والجيوستراتيجية ، غير إنها اصطدمت بعدة تحديات اعاقت تحقيق ذلك منها ما هو داخلي و منها ما هو خارجي .

توصلت الورقة إلى عدة نتائج هي :

1. حظيت اليمن بموقع جيوسياسي و استراتيجي هام جذب أنظار القوى الإقليمية إليها .
2. اتسم تاريخ العلاقات بين الإمارات و اليمن بالتوتر و عدم الاستقرار عبر الحقب المختلفة .
3. لدى الإمارات أهداف خفية غير معلنة ترتبط بتحقيق مصالح و أهداف طويلة الأجل دفعتها للمشاركة في التحالف العسكري بقيادة المملكة العربية السعودية .
4. واجهت الإمارات عدة تحديات داخلية و خارجية مثلت عائقاً كبيراً أمام تحقيق أهدافها المنشودة في اليمن .

خرجت الورقة بعدة توصيات هي :

1. ضرورة توحيد القوى اليمنية لمواجهة هذه التدخلات الخارجية التي تهدد وحدة الشعب اليمني و استقراره .
2. على الحكومة اليمنية الاستفادة من هذا الموقع الاستراتيجي و الجيوسياسي المميز، الجاذب للقوى الإقليمية في إقامة علاقات متوازنة معها في المجالات السياسية و الاقتصادية و العسكرية.
3. يجب على القوى الإقليمية الامتناع عن استغلال الاوضاع السياسية المتوترة في اليمن لخدمة مصالحها الاستراتيجية .

المصادر و المراجع :

- (1) جوزيف س . ناي الابن ، ت. أحمد الجمل ، المنازعات الدولية ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، القاهرة ، 1997م ، ص 196.
- (2) ميثاق الأمم المتحدة ، الفصل الأول www.un.org
- (3) James N. Rosenau , International Aspects of Civil Strife Princeton , Princeton3/ University Press , 1964 ,155
- (4) إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية والدولية ، دراسة في الأصول والنظريات ، دار السلاسل ، الكويت ، 1985م ، ص 276 – 277.
- (5) محمد طلعت الغنيمي، الوجيز في قانون السلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1977م ص 188 .
- (6) مصطفى أحمد أبو الخير ، أزمات السودان الداخلية والقانون الدولي المعاصر ، ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006م ، ص 135 .
- (7) ياسر خضر الجويش ، مبدأ عدم التدخل واتفاقيات تحرير التجارة العالمية ، د. ن ، القاهرة ، 2001م ، ص 158.
- (8) شريف أحمد خاطر ، حق الدفاع الشرعي باستعمال الأسلحة النووية في القانون الدولي الجنائي ، د. ن ، الزقازيق ، 2005م ، ص 238.
- (9) سعد حقي ، مبادئ العلاقات الدولية ، دار وائل ، عمان ، 2000م ، ص 392.
- (10) خالد عقلان ، اليمن جذور الصراعات الداخلية ، المعهد المصري للدراسات ، 11 مايو 2017 www.eipss_eg.org
- (11) أهمية اليمن الذهبية و أبعاد عوامل السيطرة في الساحة الدولية ، العالم العربي ، www.arabic.sputniknews.com
- (12) عبد الله عبد المحسن ، البحر الأحمر و الصراع الإسرائيلي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط3 ، 1988م ، بيروت ، ص 30 .
- (13) مركز هردو ، باب المنذب خطر الحرب الإقليمية و حق مصر في الدفاع عن مصالحها الاستراتيجية ، القاهرة ، 2015 ، ص 7.
- (14) نفس المرجع .
- (15) محمد الأحمدى ، الإمارات في اليمن : من دعم الشرعية إلى تقويض ملامح الدولة ، مركز الجزيرة للدراسات ، أبريل 2020م ، www.studies.aljazeera.net .
- (16) نفس المرجع .
- (17) دوافع الدور الإماراتي في الحرب اليمنية و مخاطره ، تقارير ، مركز الجزيرة للدراسات ، 10 يوليو 2017 ، ص 3 .
- (18) نفس المرجع .
- (19) الصراع الصامت على النفوذ ... مستقبل التحالف السعودي الإماراتي ، مركز ابعاد للدراسات و النفوذ www.abaadstudies.org

- (20) دوافع الدور الإماراتي في الحرب اليمنية و مخاطره ، تقارير ، مرجع سابق .
- (21) أطماع الإمارات في اليمن .. السيطرة على الساحل الغربي ، 2017/7/15م ،
www.aljazeera.net
- (22) إيماسك ، مطامع الإمارات تهدد وحدة اليمن ، المركز العربي ، العدد 20/9/2017م
واشنطن ، www.emasc-uae.com
- (23) محمد خيرى ، دوافع مساندة إيران للحوثيين في اليمن ، المنتدى العربي لتحليل
السياسات الإيرانية ، 23 أكتوبر 2019 ، www.afaip.com
- (24) صالح حميد ، تفاصيل دعم إيران لمليشيات الحوثي و التدخل في اليمن ، العربية
نت ، 20 مايو 2020م ، www.alarabiya.net
- (25) عبد الكريم فاضل ، العلاقات الإماراتية ... الإيرانية بعد 2003 ، المكتب الجامعي
الحديث ، 2012 ، الاسكندرية ، ص 7 .
- (26) ضاري سرحان ، سياسة إيران تجاه دول الجوار ، العربي للنشر و التوزيع ، ط1 ،
2012م ، القاهرة ، ص 149.
- (27) محمد خيرى ، دوافع مساندة إيران للحوثيين في اليمن ، المنتدى العربي لتحليل
السياسات الإيرانية ، 23 أكتوبر 2019 ، www.afaip.com
- (28) الأسكندر مترسكي ، الحرب الأهلية في اليمن : صراع معقد و آفاق متباينة ، المركز
العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، سبتمبر 2015م ، الدوحة ، ص 6 .
- (29) الأسكندر مترسكي ، الحرب الأهلية في اليمن : صراع معقد و آفاق متباينة ، المركز
العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، سبتمبر 2015م ، الدوحة ، ص 6 .
- (30) أمل الالم ، موقع اليمن في الصراع الإيراني ————— الأمريكي ، تقارير ، مركز
الجزيرة للدراسات ، 12 فبراير 2020م ، wwwstudies.aljazeera.net
- (31) مطهر لقمان ، قراءة في ثنايا الدور القطري في اليمن ، مركز المسبار للدراسات و
البحوث ، www.almesbar.net
- (32) ماجد المذحجي، ماهي انعكاسات الأزمة الخليجية على حرب اليمن؟ www.sanaacenter.org
- (33) نفس المرجع .
- (34) مطهر لقمان ، قراءة في ثنايا الدور القطري في اليمن ، مركز المسبار للدراسات و
البحوث ، www.almesbar.net
- (35) الأسكندر مترسكي ، الحرب الأهلية في اليمن : صراع معقد و آفاق متباينة ، المركز
العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، سبتمبر 2015م ، الدوحة ، ص 6 .
- (36) عبد السلام قائد ، من التحالف الهش إلى سباق النفوذ .. كيف ستؤثر الأزمة
اليمنية على العلاقات السعودية الإماراتية ، بوست ، 24 نوفمبر 2019 ، www.al-
mawqeaqpost.net
- (37) صلاح السقليدي ، الصراع السعودي الإماراتي باليمن ، ... صور و أدوات ، صحفية
رأي اليوم ، www.raialyoum.com

- (38) يل باتريك، الإمارات وأهدافها من الحرب في اليمن ، صدى -www.carnegieendowment.org
- (39) العالم العربي ، أهمية اليمن الذهبية و أبعاد عوامل السيطرة في الساحة الدولية ،
www.arabic.sputniknews.com
- (40) صالح العبيدي ، أهداف غير معلنة للإمارات في اليمن ، فرانس برس ، www.alaraby.co.uk
- (41) هود أبو راس ، اليمن : السعودية و الإمارات مصير مجهول و انهيار قادم ، المعهد المصري للدراسات 13 أبريل 2020م ، www.weipss_eg.org
- (42) النفوذ الإماراتي المتنامي في اليمن ' 22 يوليو ، www.barq-rs.com
- (43) صالح العبيدي ، أهداف غير معلنة للإمارات في اليمن ، فرانس برس ، www.alaraby.co.uk
- (44) الصراع الصامت على النفوذ ... مستقبل التحالف السعودي الإماراتي ، مركز أبعاد للدراسات www.abaadstudies.org و النفوذ
- (45) مأرب برس ، منطلقات تقسيم اليمن بين الإمارات و إيران ، 2 سبتمبر 2019م .
- (46) عبد الباقي شمسان ، السياسة الإماراتية في اليمن : الأجندة المغايرة ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، نوفمبر 2017م ، ص 6 .
- (47) نفس المرجع ، ص 7 .
- (48) مركز كارنيغي للشرق الأوسط ، هل من صراع إماراتي سعودي ؟ ، أغسطس 2019م ،
www.carnegie-mec.org
- (49) الصراع الصامت على النفوذ ... مستقبل التحالف السعودي الإماراتي ، مركز أبعاد للدراسات و النفوذ www.abaadstudies.org .
- (50) مركز كارنيغي للشرق الأوسط ، هل من صراع إماراتي سعودي ؟ ، أغسطس 2019م ،
www.carnegie-mec.org
- (51) مركز كارنيغي للشرق الأوسط ، هل من صراع إماراتي سعودي ؟ ، أغسطس 2019م ،
www.carnegie-mec.org

تدابير الحماية التقنية لحماية حق المؤلف على شبكة الإنترنت

أستاذ المكتبات والمعلومات المشارك - قسم المكتبات
والمعلومات - كلية العلوم الإسلامية واللغة العربية
جامعة غرب كردفان

د.فردوس عمر عثمان عبد الرحمن

مستخلص :

تناولت الدراسة تدابير الحماية التقنية لحماية حق المؤلف على شبكة الإنترنت وقد هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على تدابير الحماية التقنية لحماية حق المؤلف على شبكة الإنترنت وذلك من خلال الأهداف الفرعية التالية: معرفة إمكانية الاستفادة من الشبكة الدولية للمعلومات في زيادة التوعية بحقوق الملكية الفكرية لحماية حق المؤلف بالإضافة إلى التعرف على التشريعات والقوانين المحلية والدولية للملكية الفكرية، وإكتشاف أبرز التحديات التي تحد من المحافظة على حقوق الملكية الفكرية بالسودان وسن القوانين اللازمة لذلك ، وكذلك التعرف على أنواع حقوق الملكية ومجالاتها والمدة القانونية لحق المؤلف واصحاب الحقوق المجاورة فيما ينشر إلكترونياً، كما هدفت أيضاً على التعرف على سبل المحافظة على حقوق المبدعين في ظل النشر الإلكتروني المتاح على شبكة الإنترنت أهمية الدراسة يعد هذا البحث من الدراسات المهمة بالسودان والتي تسلط الضوء على موضوع بالغ الأهمية هو التدابير التقنية لحماية حقوق المؤلفين المتبعة من جانب الجامعات لحماية الملكية الفكرية لأعضاء هيئة التدريس والباحثين، كما أنها تمهد الطريق للدراسات المستقبلية في الإتجاه التشريعي وسن القوانين التي تكفل الحماية القانونية للمصنفات الرقمية للمؤلفين عبر شبكة الإنترنت بشكل علمي ومنهجي منظم . استخدمت في الدراسة المنهج الوثائقي وفقاً لأدبيات البحث عن الجانب النظري للدراسة وكذلك المنهج الوصفي التحليلي ووظفت فيه لجمع المعلومات وسائل المقابلة والملاحظة كما استخدمت في الدراسة الأدوات التالية: المصادر والمراجع الأوراق العلمية والبحث في الشبكة العنكبوتية. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها غياب التوعية لدى معظم مستخدمي الإنترنت بأهمية المحافظة على حقوق الملكية الفكرية والحقوق المجاورة للمنشورات الإلكترونية، كما توصلت الى أنه توجد تشريعات واضحة للحفاظ على حقوق الملكية الفكرية، إلا أنه لا توجد رقابة على تطبيقها. كما توصلت إلى أن المؤسسات الأكاديمية لم تضع التدابير الواضحة للحماية القانونية للناسخين عبر الشبكة للباحثين والمؤلفين لحماية منشوراتهم الإلكترونية وقد خرجت الدراسة بعدد من التوصيات أهمها: إيجاد أنظمة عربية موحدة تتبنى وضع تدابير تقنية تمنع وتجرم التحايل وإنتهاك الحقوق لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في البيئة الرقمية للمنشورات الإلكترونية عبر الشبكة. كما توصلت إلى ضرورة تبني وتشجيع إنشاء جمعيات عربية إقليمية ووطنية لإدارة حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة في البيئة الرقمية ووضع قواعد وأنظمة لهذه الجمعيات. مع وضع تدابير الحماية التقنية اللازمة لحماية حقوق المؤلفين وبالتالي حماية المنشورات الإلكترونية وذلك للحد من التعدي على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين عبر الشبكة. **حدود الدراسة** الحدود الزمنيه : خلال الفترة من يناير- ديسمبر 2019 م .

Abstract:

The study dealt with technical protection measures for copyright protection on the Internet. The study aimed to shed light on technical protection measures for copyright protection on the Internet through the following sub-objectives: Knowing the possibility of benefiting from the international information network in raising

awareness of intellectual property rights to protect copyright in addition to To get acquainted with the local and international intellectual property legislation and laws, and to discover the most prominent challenges that limit the preservation of intellectual property rights in Sudan and the enactment of the necessary laws for this, as well as to identify the types and fields of property rights and the legal duration of copyright and neighboring rights holders in what is published electronically. On ways to preserve the rights of creators in light of electronic publishing available on the Internet The importance of the study Paving the way for future studies in the direction of Legislative and enact laws that ensure legal protection of digital works of authors via the Internet in a scientific and systematic manner. The study used the documentary method, according to the literature of research on the theoretical side of the study, as well as the descriptive analytical method, and employed in it to collect information, interview and observation methods. The study reached a number of results, the most important of which is the lack of awareness among most Internet users of the importance of preserving intellectual property rights and the rights adjacent to electronic publications. It also concluded that there are clear legislation to preserve intellectual property rights, but there is no control over their application. It also concluded that academic institutions did not put in place clear measures for the legal protection of online publishers for researchers and authors to protect their electronic publications. It also concluded the need to adopt and encourage the establishment of Arab regional and national associations to manage the rights of authors and related rights in the digital environment and to set rules and regulations for these associations. With the development of the necessary technical protection measures to protect the rights of authors and thus protect electronic publications in order to limit the infringement of intellectual property rights. for authors over the network. Study limits Time limits: During the period from January to December 2019.

الحدود الموضوعية :

التدابير التقنية لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة في البيئة الرقمية).

الحدود المكانية :

جامعة الزعيم الأزهرى - جامعة غرب كردفان - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - جامعة النيلين- المركز القومي للبحوث - دراسة آراء بعض الأساتذة والباحثين

مصطلحات الدراسة :

الملكية الفكرية- حقوق المؤلف -الانتحال العلمي -المنشورات الإلكترونية - المحتوى الرقمي : التشريعات الإسلامية - المصنفات الإلكترونية - الاتفاقيات الدولية.

المقدمة:

يعيش العالم ثورة في عالم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حيث نجد أن ثورة المعلومات مرتبطة بصناعة وحياسة المعلومات وتسويقها وتخزينها وبحثها وإسترجاعها من خلال الإستخدام المشترك للحاسبات الآلية ونظم الإتصالات حيث أسهمت شبكة الإنترنت إسهاما كبيرا في نقل وتبادل المعلومات بين مجتمع يعج بحركة دائمة لتدفق المعلومات بشكل اصبح من الصعب السيطرة عليها، وقد كان لشبكة الإنترنت أثر بالغ على الميدان التعليمي لا سيما وأنه يهتم بإنتاج المعرفة ويشجع على إستخدامها والتفاعل معها حيث تقوم شبكة الإنترنت بدور عظيم في نشر المحتوى الرقمي، الأمر الذي ادى الي بروز كثير من القضايا المتمثلة في التعدي على حقوق الملكية الفكرية فمن المعلوم ان كل الإبداعات والابتكارات الجديدة في كافة المجالات عبارة عن ملكية فكرية سواء كانت براءة اختراع او علامات تجارية اوحقوق المؤلفين والحقوق المجاورة لها، وأن ما ينشر في البيئة الرقمية اوالفضاء الإلكتروني هي حقوق لأصحابها ولا يجوز إستغلالها بأي شكل من الأشكال الا بإذن وموافقة مالكيها. ان الصعوبة تكمن في مدى إعتبار حقوق الملكية الفكرية بشكل عام وحقوق المؤلفين والحقوق المجاورة لها بمنأى عن الإعتداءات التي قد تتعرض لها منشوراتهم الإلكترونية ، في حقيقة الأمر ان السهولة المفرطة في النسخ والتوزيع وقلة تكاليفها وتزايد اعدد المستخدمين يجعل هذه البيئة غير آمنة وبالتالي ظهرت مشاكل كبيرة في هذا المجال ومن هنا كان لابد من البحث والدراسة في التدابير التقنية التي يمكن بواسطتها حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة على شبكة الإنترنت في ظل النشر الإلكتروني .

مشكلة الدراسة :

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ماهي التدابير الحماية التقنية المتبعة من جانب الجامعات لحماية الملكية الفكرية للمؤلفين من أعضاء هيئة التدريس والباحثين من أصحاب الإبداعات الفكرية والعلمية؟
- ما الطرق التي يتم بها حفظ وإتاحة وحماية المنشورات الإلكترونية من الإنتاج الفكري الخاص بالباحثين بالجامعات .

أهداف الدراسة : تهدف الدراسة وفقاً لأدبيات البحث الى الآتي :-

1. التعرف على مفهوم الملكية الفكرية وأنواعها وطرق إثباتها والتدابير الحماية التقنية اللازمة للمحافظة على الحقوق الفكرية للمؤلفين عبر الشبكة .
2. تشخيص أسباب وأشكال التعدي على حقوق الملكية الفكرية وماهي التدابير التي اتخذت للحماية القانونية .
3. إلقاء الضوء على أبرز التشريعات المنظمة لحقوق الملكية الفكرية والحقوق الفكرية بالسودان.
4. التعرف على سبل المحافظة على حقوق المبدعين في ظل النشر الإلكتروني.
5. التعرف على تدابير الحماية التقنية المتبعة من جانب الجامعات السودانية (المحتويات الرقمية) لحماية الملكية الفكرية لأعضاء هيئة التدريس والباحثين من أصحاب الإبداعات الفكرية والعلمية وصون المحتوى الإلكتروني المقدم من جانبهم .

أهمية الدراسة :

يعد هذا البحث من الدراسات المهمة بالسودان والتي تسلط الضوء على موضوع بالغ الأهمية هو التدابير التقنية لحماية حقوق المؤلفين المتبعة من جانب الجامعات لحماية الملكية الفكرية لأعضاء هيئة التدريس والباحثين، كما أنها تمهد الطريق للدراسات المستقبلية في الإتجاه التشريعي وسن القوانين التي تكفل الحماية القانونية للمصنفات الرقمية للمؤلفين عبر شبكة الإنترنت بشكل علمي ومنهجي منظم وذلك وفقاً للآتي :-

- الإهتمام العالمي والقومي والمحلي المتزايد بحقوق الملكية الفكرية في البيئة الرقمية .
- تزويد الرأي العام والمسؤولين والمشرفين على المواقع الرقمية والمكتبات الإلكترونية بطول يمكن من خلالها تحسين وتطوير سبل المحافظة على المصنفات الإلكترونية وحفظ حقوق المؤلفين والناشرين عبر الشبكة الدولية .

المنهج المستخدم في الدراسة:-

- أ. المنهج الوثائقي وفقاً لأدبيات البحث عن الجانب النظري للدراسة وكذلك المنهج الوصفي التحليلي ووظفت فيه لجمع المعلومات وسائل المقابلة والملاحظة .

ب. إشتملت عينة البحث على أداة المقابلة على عدد من المسئولين عن إدارة المحتويات الرقمية (المستودعات الرقمية - قواعد البيانات - الكتب الإلكترونية) لبعض الجامعات السودانية وعدد مقدر من الأساتذة و الباحثين .

أدوات جمع المعلومات :-

المقابلة - الملاحظة - الأوراق العلمية والمراجع والمصادر والبحث في الشبكة العنكبوتية .

حدود الدراسة :

الحدود الزمنية : خلال الفترة من يناير- ديسمبر 2019م .
الحدود الموضوعية : التدابير التقنية لحماية حق المؤلف حق المؤلف والحقوق المجاورة في البيئة الرقمية).

الحدود المكانية : جامعة الزعيم الأزهرى - جامعة غرب كردفان - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - جامعة النيلين- المركز القومي للبحوث - دراسة آراء بعض الأساتذة والباحثين

مصطلحات الدراسة :

الملكية الفكرية- حقوق المؤلف -الإنتحال العلمي -المنشورات الإلكترونية - المحتوى الرقمي : التشريعات الإسلامية - المصنفات الإلكترونية - الاتفاقيات الدولية

الدراسات السابقة:

1. دراسة حسام الدين عوض الله أحمد القدال (2010) بعنوان مدى إلمام المكتبيين في السودان بحقوق الملكية الفكرية: دراسة حالة المكتبات الجامعية بولاية الخرطوم(رسالة دكتوراة منشورة) .

توصلت الدراسة الى عدة نتائج أهمها أنه يوجد إلمام بحقوق الملكية الفكرية من قبل العاملين في المكتبات الجامعية ولكنه ليس كافياً، يستطيع الاستفادة أن يقوم بالنسخ التصويري لمصادر المعلومات ولا يوجد عدد محدد من الأوراق او الصفحات من قبل المكتبات وتوصلت الدراسة الى عدة توصيات منها أن على المكتبات أن تضع ملصقات توضح أن عمليات النسخ إذا تجاوزت حداً معيناً يعد إنتهاكاً لحقوق الملكية الفكرية، وأن على أقسام المكتبات والمعلومات أن تخصص مادة دراسية في فصل دراسي متقدم، وعلى المكتبات أن تهتم بمصادر المعلومات الرقمية كي تكون نواة للمكتبة الرقمية.

1. دراسة فخري محمود خليل (2010)ب (رسالة دكتوراة غير منشورة) عنوان الأسس القانونية للملكية الفكرية الأدبية والفنية وتطبيقاتها في البيئة الرقمية. تناولت الدراسة الأطر القانونية للجرائم المستحدثة في البيئة

- الرقمية في ظل التصاعد الملحوظ للتجاوزات بإبعادها المتشعبة.
2. توصلت الدراسة الى عدد من النتائج أهمها وجود قصور واضح في عدم تغطية التشريعات لأشكال الجرائم المستحدثة في البيئة الرقمية الأمر الذي يمنع معاقبة مرتكبي تلك الجرائم، عدم وجود محاكم مختصة بالنظر في الجرائم الإلكترونية. وتوصلت الدراسة الى مجموعة من التوصيات منها إعادة النظر في التشريعات الوطنية الحالية بشأن حقوق الملكية الفكرية لمواجهة الانتهاكات المتطورة، وتفعيل التعاون بين الدول العربية لتوحيد مفهوم الجريمة المستحدثة في البيئة الرقمية والتنسيق بينهم لعقد المؤتمرات التشريعية التي تدرس الظواهر الجديدة.
2. دراسة خالدة هناء سيدهم (2017) بعنوان حماية حقوق الملكية الفكرية للمصنفات الرقمية في بيئة الإنترنت (ورقة علمية منشورة). حيث اشارت الباحثة الى مميزات المصنفات الرقمية وأهميتها في العصر الحالي، وتوصلت الدراسة الى ان حماية المصنفات الرقمية وحماية حقوق الملكية الفكرية ستجعل نسبة السرقات العلمية اقل بكثير، وضرورة التنسيق بين مختلف الدول العربية من اجل وضع قوانين موحدة.
3. دراسة محمد محي الدين بابكر إدريس (2013) بعنوان الحقوق المجاورة للمؤلف وحمايتها في القانون السوداني (رسالة دكتوراة منشورة).
- تناولت الدراسة الحقوق المجاورة للمؤلف وحمايتها وهم فنانى الأداء ومنتجى التسجيلات الصوتية وهيئات البث على ضوء القانون السوداني الملغى والقانون السوداني الحالي.
- توصلت الدراسة الي عدة نتائج منها أن المشروع السوداني إستحدث ولاول مرة نصوصاً تتعلق بالإجراءات التحفظية ومن أهمها جواز طلب القيام بها في غيبة الخصم وقبل رفع الدعوى، كما إستحدث تجريم التحايل أوإبطال التدابير التكنولوجية الفعالة. وأوصت الدراسة بضرورة أن يفصل المشرع السوداني قانون حق المؤلف والحقوق المجاورة على قانون المصنفات الفنية والأدبية.
- الإطار النظري :**

تتناول هذه الدراسة التعريف بحقوق الملكية الفكرية وعناصرها وستركز على التعريف بحقوق المؤلف والحقوق المجاورة له بالإضافة الى المصنفات المحمية والمستتناة والشروط القانونية الواجب توافرها في المصنفات المحمية وحقوق المؤلفين المعنوية والمادية وحماية هذه الحقوق على الشبكة الدولية وتدابير الحماية التقنية في البيئة الرقمية وتخوفات المؤلفين من النشر على شبكة الإنترنت والصعوبات التي تتعرض لها الحقوق في هذا الفضاء الرقمي وكذلك أساليب الحماية المتمثلة في التدابير التكنولوجية والأنظمة الجماعية لادارة

حقوق المؤلفين وكل ذلك في ظل النشر الالكتروني وحمايته بالإضافة للإتفاقيات الدولية والمحلية والوطنية والتي أبرمت لحماية حقوق الملكية وقوانين الملكية الفكرية في السودان .

المفهوم والملكية الفكرية :

حسب ما عرفها المركز المصري للملكية الفكرية وتكنولوجيا المعلومات هي: كل ما ينتجه ويبدعه العقل والذهن الإنساني، فهي الأفكار التي تتحول أو تتجسد في أشكال ملموسة يمكن حمايتها، وتتمثل في الإبداعات الفكرية والعقلية، والابتكارات؛ مثل: الاختراعات، والعلامات والرسوم والنماذج، وتصميمات الدوائر المتكاملة، والسلالات النباتية، وحقوق المؤلفين. ويهدف نظام حماية حقوق الملكية الفكرية إلى تنمية البحث والتطوير، وذلك بتقديم حوافز للإستثمار في العملية الإبداعية، وتشجيع الوصول إلى الابتكارات.⁽¹⁾ وأن أصل الكلمة كما ورد للكاتب صلاح زين الدين إن كلمة ملكية (property) قد جاءت من الكلمة اللاتينية (proprius) والتي تعني: حق المالك (ones own)؛ أي: حقوق الإنسان في ما يتعلق بثمرة فكره، ولقد انصب هذا المعنى في بادئ الأمر على الملكية في مجال العلوم التطبيقية (الصناعية)، أو ما اتفق عليه اصطلاحاً: (الملكية الصناعية)، ويتضح أن للحقوق الفكرية ارتباطاً وثيقاً مع الاختراعات والتقنيات على وجه الخصوص، ومع العلوم والآداب والفنون على وجه العموم، وهذا يعني: أن رحم الحقوق الفكرية هو عقل الإنسان الذي يقذف بها إلى الوجود بصورة أفكار، فإذا ما تمت رعايتها بصورة معينة عندئذٍ تنشئ لصاحبها حقوقاً جد مهمة في ظل الأنظمة والقوانين الدولية ذات العلاقة.⁽²⁾

تعرف حقوق الملكية الفكرية (بانها تلك الحقوق التي ترد على كل عمل ابداعي مبتكر انتجه العقل البشري في حقول الآداب والفنون والعلوم والصناعة والتجارة وهي حقوق تتيح لمالكها الإستثمار بها قبل الغير مدة من الزمن لقاء الجهد الإبداعي والمبتكر الذي مكنه من التوصل الى هذا الحق). والملكية الفكرية ما هي إلا تجسيد لنشاط العقل البشري، وتاريخ الملكية الفكرية يسجل تطور هذا العقل ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة، من سياسية وإجتماعية واقتصادية وإدارية وعمرانية... الخ، وبالتالي نجد أن أهمية الملكية الفكرية للبشرية جمعاء وتزايد.

أهميتها من الدور الذي تلعبه على الصعيد الدولي في جميع مجالات الحياة وهي مهمة لنمو الإبداع والابتكار والتكنولوجيا الجديدة للعالم الحديث، وما صراع الدول النامية الا من أجل مواكبة الدول المتقدمة، فالملكية الفكرية قديمة قدم الانسان على هذه الارض وفي واقع الامر الملكية تنقسم الى عدة

اقسام منها الادبية والعلمية والصناعية والتجارية وسوف نقدم موجز عن مفهوم الملكية الفكرية واقسامها.(3)

اقسام حقوق الملكية الفكرية:

تنقسم حقوق الملكية الفكرية إلى قسمين كبيرين هما:

1. حق الملكية الصناعية والتجارية .
2. الملكية الأدبية والفنية والحقوق المرتبطة بها أو المجاورة لها .

القسم الاول حقوق الملكية الصناعية:

وتتضمن مجموعة من الفروع غير المتجانسة والتي تتمثل في :

1. الاختراعات .
2. الرسوم والنماذج الصناعية .
3. العلامات الصناعية والتجارية والخدمية.
4. الاسم التجاري وبيانات المنشأ الجغرافية ويمكن تجميع تلك الفروع تحت ثلاثة أقسام في الإبداعات الصناعية والرموز والعلامات المميزة واخيرا المنافسة غير المشروعة.

القسم الثاني: حقوق الملكية الأدبية والفنية " حقوق المؤلف " والى جانبها الحقوق المجاورة:

تتمثل هذه الحقوق بحق المؤلف علي إنتاجها لذهني في المجال الأدبي والعلوم والفنون وكذلك الأعمال الجماعية لهذا الإنتاج الذهني وبالإضافة إلى ذلك الحقوق المجاورة والتي تنصرف إلى الأداء الفني والفونوجراف والبث الإذاعي ويشمل حق المؤلف عدة مصنفات مثل المصنفات الأدبية (الروايات - القصائد الشعرية - المسرحيات - المصنفات المرجعية كالكتب وغيرها - الصحف - تطبيقات الحاسوب وقواعد البيانات - الغناء - الموسيقى - الأفلام... الخ)، المصنفات الفنية (الصور - المنحوتات - الرسوم - الخرائط - الرسم الهندسي... الخ).

أما الحقوق المجاورة لحق المؤلف تشمل الوسطاء في عملية نقل هذه المصنفات الي الجمهور وهي تمنح هؤلاء الحقوق الإستثنائية ذاتها التي يمنحها حق المؤلف ويمكن تقسيمهما لثلاث فئات مثلاً:(4)

الفئة الأولى وتشمل المغنين - الموسيقيين - الممثلين... الخ.
الفئة الثانية وتشمل منتج التسجيلات سواء كانت كاسيتات او أقراص مدمجة... الخ.
الفئة الثالثة وتشمل الهيئات الإذاعية وهذا الحق منح لهم على أساس مساهمتهم في عملية الإبتكار وتنفيذ البرامج.

حق المؤلف والحقوق المجاورة في الشريعة الإسلامية:

مما لا شك فيه ان الدين الإسلامي وضع ضوابط تنظم حياة البشرية ومن هذه الضوابط تنظيمه لعملية نقل وتبادل المعارف وحماية حقوق المؤلفين

والدراسة تعرض لها للأهمية ذلك في ديننا الحنيف ذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

- في مجال الحث على العلم والإنتفاع به جاء في قوله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) «سورة المجادلة آية 11» .
- كما جاء في الحديث الشريف، قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).⁽⁵⁾

وأكد علماء الشريعة على ضرورة الإبتكار بالنسبة للمؤلف والعمل على نشر علمه ومما يدل على مشروعية ذلك قول الرسول صل الله عليه وسلم: (بلغوا عني ولو آية)، وفي مجال الحق المالي للمؤلف، الراي الراجح لدى فقهاء المذاهب الأربعة في الشريعة هو جواز اخذ المؤلف عوضاً عن إنتاجه الفكري ولا يجوز لشخص أن يسطو عليه دون إذنه. أما في مجال الأمانة العلمية فقد أكدت الشريعة الإسلامية على الأمانة العلمية التي تعتبر الحماية للإنتاج الفكري، قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

وبشكل عام يمكن تقسيم حقوق المؤلف الي قسمين:

الحقوق المادية: تسمح الحقوق المادية للمؤلف بأن يتقاضى عائداً مالياً مقابل إنتفاع الآخرين بمصنفه كأن يقوموا بإستنساخه او تحميله او الأداء العلني أمام الجمهور كأن يقوم بالقاء قصيدة للمؤلف دون إذنه، فلمؤلف او المنتج وحده الحق في الإستنساخ بأي شكل سواء بتصويره او رقمته، وللمؤلف ايضاً الحق في ترجمة مصنفه لبلغة أخرى.

الحقوق المعنوية: وهي أن ينسب العمل الى صاحبه وله الحق في التصرف في مصنفه، وله الحق في الإعتراض على اي إسأة تطال المصنف، كما له الحق في إجراء كافة التعديلات على المصنف وله الحق في سحب مصنفه من التداول، كما له الحق في تحديد طريقة النشر وموعده.

ولما كان موضوع الدراسة يتناول الآليات الرقابية للمحافظة على حقوق الملكية الفكرية للنشر الإلكتروني المتاح على الشبكة الدولية للمعلومات فأنا سنقتصر البحث على حقوق الملكية الفكرية في البيئة الرقمية أي كيفية حماية هذه الحقوق ونشرها على شبكة الإنترنت، نظرا لأهمية هذا الموضوع في ظل العصر الرقمي والتقني وما يثيره ذلك من مشكلات مختلفة من الناحية التقنية ومن الناحية الموضوعية سواء كان للمؤلفين ام مستخدمي شبكة الإنترنت لذلك كان من الأهمية بمكان البحث في هذا الجانب وإثراء المعرفة فيه.

الملكية الفكرية للمصنفات الإلكترونية:

من خلال تنوع طرق النشر المختلفة وتطورها، مرت عملية النشر بمراحل مختلفة مروراً بالنشر على الأقراص المدمجة CDs، إلى النشر على الخط المباشر، وصولاً إلى النشر الإلكتروني Electronic publishing، فأصبحت الحاجة ماسة إلى وضع قوانين وتشريعات تحمي تلك المواد من العبث سواء أكان ذلك عن طريق التعديل أو الحذف أو النسخ... الخ، وقد تطورت تلك الحقوق حتى وصلت إلى ما يعرف الآن بحماية الملكية الفكرية على الإنترنت؛ حيثما لمقصود بها من الناحية التاريخية حماية أجهزة الكمبيوتر والاتصالات (المادية) بوصفها معدات ووسائل تقنية المعلومات، أما في بيئة أو مجال الإنترنت فتتعلق بأسماء نطاقات، أو مواقع الإنترنت (Domains)، وبمحتوى المواقع من مواد النشر الإلكتروني نصوصاً، وصوراً، ومواد سمعية ومرئية (الوسائط المتعددة Multimedia). وقد تعاملت النظم والدراسات القانونية والتشريعية مع مصنفات المعلومات، على أساس تلك التي تنتمي إلى بيئة الكمبيوتر، وهو اتجاه عبرت عنه الدراسات الفرعية الخاصة بدراسة قانون الكمبيوتر في النظم المقارنة، وهذه المصنفات ابتداء من منتصف أوائل السبعينات إلى الوقت الحاضر، تتمثل في التالي:-(6)

أولاً: برامج الحاسوب smargorp retupmoC:

فهي تعد من أول وأهم صنفات المعلومات التي حظيت باهتمام كبير من حيث الاعتراف بها وتوفير الحماية القانونية لها، والبرمجيات هي الكيان المعنوي لنظام الكمبيوتر والتي من دونها لا يكون هناك أي فائدة للمكونات المادية من الأجهزة والوسائط، وهي تنقسم من الناحية التقنية إلى برمجيات التشغيل المنوط بها إتاحة عمل مكونات النظام معا وتوفير بيئة عمل البرمجيات التطبيقية، هذا من ناحية التقنية، أما من ناحية الدراسات التشريعية والقانونية، فقد أثير العديد من المفاهيم المتصلة بأنواع البرمجيات، أهمها برمجيات المصدر والآلة، والخوارزميات، ولغات البرمجة، وبرامج الترجمة، ووفق لاتفاقية تريبس TRIPS فإن البرمجيات محل حماية سواء كانت بلغة الآلة، أو المصدر، ولؤلؤها كافة الحقوق المالية والمعنوية لمصنفات حق المؤلف - شأنها في ذلك شأن التسجيلات الصوتية والمرئية.

ثانياً: قواعد البيانات sesabataD:

هي تجميع للبيانات يتوفر فيها عنصر الابتكار عبر جهد شخصي، يكون مخزناً بواسطة الكمبيوتر، ويمكن استرجاعه من خلاله، والبيانات أو المعلومات المخزنة في الحاسبات بشكل مجرد ليست محل حماية كما بالنسبة للقوانين والأنظمة وقرارات القضاء، والمراد بحماية قواعد البيانات - بوجه عام -

هو الابتكار كما تعبر عنه الاتفاقيات الدولية هذا الحقل، فتنص المادة رقم 2/10 من اتفاقية تريبس TRIPS على أن «تتمتع بحماية البيانات المجمع، أو المواد الأخرى سواء كانت في شكل مقروء آلياً، أو أى شكل آخر إذا كان تتشكل خلقاً فكرياً نتيجة ارتفاع وترتيب محتواها» - كما نصت المادة 5 من الاتفاقية العالمية للملكية الفكرية لسنة 1996 على أنه «تتمتع مجموعات البيانات، والمواد الأخرى بصفتها هذه أيضاً كان شكلها إذا كانت ابتكارات فكرية بسبب محتواها، أو ترتيبها»⁽⁷⁾.

لذا يفهم من خلال ذلك أن البيانات أو المعلومات المخزنة في نظم الكمبيوتر ليست محل حماية، كما بالنسبة للقوانين والأنظمة وقرارات القضاء، لكنها متى ما أفرغت ضمن قاعدة بيانات وفق تصنيف معين وبآلية استرجاع معينة، وعند ما تخضع لعملية معالجة تتيح ذلك، فإنها تتحول من مجرد بيانات إلى قاعدة معطيات، ينطوي انجازها بهذا الوصف على جهد ابتكاري وإبداعي يتحتم الحماية، وكان الاعتراف لقواعد البيانات بالحماية لم يتأت وليداً إلا من خلال جهد لمنظمة الويبو WIPO وللمجلس أوروبا الذي وضع عام 1996 قواعد إرشادية وقرارات يقضي على حماية قواعد البيانات ضمن حقوق المؤلف⁽⁸⁾.

ثالثاً: طوبوغرافيا الدوائر المتكاملة Tseihpargopofo detargetni stiucric:

وهي ما تعرف بأشباه الموصلات التي مثلت فتحاً جديداً في حقل صناعات الإلكترونيات، وتطوير وظائف التقنية العالية اعتباراً من منتصف القرن الماضي، ومع تطور عمليات دمج الدوائر الإلكترونية على الشريحة للقيام بمهام ووظائف إلكترونية، أصبح التميز والخلق الإبداعي يتمثل في ترتيب وتنظيم الدوائر المدمجة على الشريحة، بمعنى أن تلك العملية تحتاج إلى جهد إبداعي ساعد على تطوير نظم الكمبيوتر بشكل سريع وهائل؛ ومن خلال الاعتماد على قانون الحماية الذي أعدته اللجنة الأوروبية أصدر مجلس أوروبا عام 1986 دليلاً لحماية الدوائر المتكاملة، وفي عام 1989 أبرمت اتفاقية واشنطن بشأن تلك الدوائر، وكان عدد الدول الموقعة على تلك الاتفاقية 8 دول ليس من بينهم سوى دولة عربية واحدة هي مصر، لكن تنظيم اتفاقية تريبس لقواعد حماية الدوائر المتكاملة (المواد 35-38) قد ساهم في تزايد الجهد التشريعي في هذا الحقل⁽⁹⁾.

الملكية الفكرية في بيئة الإنترنت:

لقد ساعدت الحرية الواسعة على الإنترنت في سهولة إصدار أي فرد في أي مكان في العالم لأي موقع يسجل ويكتب فيه ما يشاء، وما يريد، وقد يهاجم أي شخص سواء كان فرداً، أو مؤسسة رسمية، أو غير رسمية وقد يصدر موقعا

ينشر عليه مواد منقولة من أي مصدر أو مرسله من أي جهة دون معرفة، أو التأكد من مصدرها⁽¹⁰⁾ فالإنترنت ينظر إليها على أنها طريقة اتصال يمكن من خلالها إتاحة تبادل المعلومات ونقلها بكافة صورها وأشكالها المختلفة سواء كانت مرئية، أو مسموعة... الخ، وباعتبار أن تلك المعلومات ليس مجرد صفحات للمعلومات بل أماكن للتسوق وللأعمال والخدمات وغيرها من المجالات الأخرى، لذا نجد سهولة انتشار الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة قد ساهم ذلك في التعدي على الحقوق بحيث أصبح مفهوم ومدى الحماية المتوفرة لهذه المعلومات، موضوع اهتمام ونقاش وجدل للكثيرين في الوقت الحالي .

أما في ظل التطور الإلكتروني الحالي والمستمر، وبصفة خاصة ما أتاحتها شبكة الإنترنت من إمكانية التواصل بين الحاسبات، أصبح مجال حماية حقوق الملكية الفكرية في بيئة الإنترنت (الرقمية)، مثار تساؤل وجدل للكثيرين، وذلك بشأن تحديد المصنفات محل الحماية، واستقصاء الحماية اللازمة لمواجهة الاعتداءات والمخاطر التي تعترض هذه الحقوق، وتقييم ما إذا كانت تقع ضمن تشريعات الملكية الفكرية، أو غيرها من التشريعات الكافية لتوفير الحماية لتلك الحقوق، أم أن هناك حاجة إلى تشريعات خاصة للمصنفات في بيئة الإنترنت، والدراسة حين تبحث في التدابير التقنية لحقوق المؤلف، والحقوق المجاورة له في محيط تلك البيئة، فإنه يجدر بنا أن نتحدث عن⁽¹¹⁾:

1. أصحاب حق المؤلف والحقوق المجاورة، سواء المؤلف نفسه، أو المرخص له، أو المنتازل إليه من المؤلف عن حق الاستغلال المالي (كلياً أو جزئياً).
 2. عن مستخدمي المصنفات الخاضعة للحماية مثل الأفراد الذين يرغبون في استعمال تلك المصنفات سواء لمنفعة شخصية، أو لزيادة المعرفة، أو لإنتاج أعمال أخرى .
- وهذه المسائل ما تزال مثار جدل وبحث، وقد أدت هذه المشكلات الناجمة عن مستحدثات التطور التقني وظهور الإنترنت إلى تسارع خطوات التعاون الدولي في مجال تنظيم تلك الحقوق والحقوق المجاورة، وذلك في محيط تلك الشبكة، أو المحيط الرقمي؛ حيث صدرت بعض النصوص المنظمة لذلك في اتفاقية التريبس TRIPS، ثم تلاها التنظيم الوارد في معاهدتا الويبو WIPO اللتان عرفتا باسم معاهدتا الإنترنت الصادرتان عام 1996، تحت مسمى «معاهدة الويبو بشأن حق المؤلف»، و «معاهدة الويبو بشأن الأداء والتسجيل الصوتي»، ولذلك فإن الصعوبات العملية المرتبطة بالتدابير التقنية الحديثة، لحماية حقوق المؤلفين عبر شبكة الإنترنت تتجاوز الحلول المطروحة من خلال المعايير الدولية، ومن وقد رأت الدراسة وضع نماذج لتلك الصعوبات التي تواجه حقوق المؤلف المؤلفين الناشرين عبر الشبكة ما يلي⁽¹²⁾:

1. تعدد وإختلاف الجهات المختصة بنظر المنازعات المتعلقة بالاعتداء على حق المؤلف.
2. تعدد واختلاف القوانين واجبة التطبيق على تلك النزاعات اعتماداً على الأماكن، أو الدول التي تم فيها الاعتداء من خلال النشر، أو إعادة النشر، أو الاستغلال دون ترخيص، أو دون موافقة المؤلف.
3. القيام بالكثير من الاعتداءات مثل أعمال النسخ، والنشر، والإتاحة، والتوزيع بدون موافقة، أو تصريح صاحب الحق على أجهزة يملكها، أو أشخاص متفرقين لا يوجد بينهم رابط سوى الإنترنت.
4. في الحالة التي يرغب صاحب الحق (المؤلف) في مقاضاة المعتدين على المصنف محل الحماية، وحقوقه المرتبطة به، فإنه سوف يقاضي أشخاص كثيرين ومتفرقين ومختلفين ومن مواطني دول كثيرة، وبالتالي فإنه يواجه صعوبات جامة وكثيرة مثل تعدد القوانين واجبه التطبيق، بالإضافة إلى مشكلات تحديد الاختصاص القضائي، وارتفاع تكلفة التقاضي من حيث الوقت والجهد.

طرق حماية عناصر الملكية الفكرية بالوسائل الإلكترونية⁽¹³⁾ : أولاً: العقبات التقنية :

وهي عبارة عن استخدام شيفرة معينة، أو كلمة مرور توضع على أجهزة الكمبيوتر أو بعض البرامج فيه، أو على الأقراص المدمجة وما شابهها، أو على بعض مواقع الإنترنت، أو بعض المواضيع والمصنفات المحمية فيها؛ لتحويل أو تعيق وصول أي شخص لها، أو للحيلولة دون إمكانية نسخ هذه البرامج أو المصنفات والتعديل عليها، أو توزيعها أو حتى طباعتها دون إذن من صاحب الحق فيها، بل تقوم بعض المواقع بإجراء استكمالي آخر؛ وهو نشر بيانات صاحب الحق بالمصنف الرقمي المحمي، وإتاحة الفرصة للراغبين بالاستفادة من هذه المصنفات المحمية بالاستفادة الفعلية منها بمقابل مادي معن يدفعه المستفيد بطرق عادية أو إلكترونية.

ثانياً: فرض أنظمة الحماية الرقمية :

وهي عبارة عن أنظمة وبرمجيات معينة تعطي للجهاز الذي يقوم بتنزيل الملفات والمصنفات المحمية من الإنترنت كوداً أو كلمة سرّ معينة تسمح بفتح هذه المصنفات، والاستفادة منها فقط على الجهاز الذي تم تنزيلها عليه، وبذلك لا يتمكن المستفيد من نسخ هذه المصنفات التي قام بتنزيلها ولا حتى إعادة توزيعها، كما يمكن أيضاً - وفق ما أشير إليه سابقاً - استخدام هذه الأنظمة في حماية الأقراص المدمجة وما شابهها.

ثالثاً: فرض أنظمة التتبع الرقمية :

وهي أنظمة تتيح تتبع الأجهزة التي تم نقل مصنفات محمية لها بصورة غير شرعية أو تم من خلالها إحدى صور استغلال الملكية الفكرية،

ومعرفة مزود الخدمة الرئيسي لهذا الجهاز؛ مما يتيح ملاحقة صاحب هذا الجهاز قانونياً، كما تمكن أنظمة التتبع هذه من تتبع جميع النسخ الإلكترونية لأي من المصنفات المحمية، ومتابعة ما يحدث لها من نسخ أو توزيع وما شابه ذلك، مما يمكن صاحب الحق بهذه المصنفات المحمية من ملاحقة منتهكي حقوقه الفكرية.

رابعاً: توقيف أو تجميد أو إلغاء:

اشترك المواقع الإلكترونية التي تنتهك وتستغل أي من عناصر الملكية الفكرية، أو يتم من خلالها انتهاك عناصر الملكية الفكرية من خلال سماحها وسكوتها عن الاعتداءات التي تحدث لعناصر الملكية الفكرية في هذه المواقع

رأت الدراسة أنه لا بد من القاء الضوء على العديد من الاتفاقيات الدولية والإقليمية الوطنية التي أبرمت والتي تنظم حقوق الملكية الفكرية الأدبية والفنية بهدف حماية حقوق المؤلفين والمخترعين والمكتشفين والمبتكرين وذلك للأهمية ومن هذه الإتفاقيات ما يلي⁽¹⁴⁾

أولاً: الإتفاقيات الدولية :

- إتفاقية برن لحماية المصنفات الأدبية والفنية (Berne Convention) والتي وقعت في مدينة برن (سويسرا) في 09/09/1886م وتسري الإتفاقية بعد ثلاثة شهور من توقيعها، وتم تعديل بنودها في مؤتمرات ومناقشات عدة كان اخرها في باريس 1979، تضم هذه الإتفاقية في عضويتها (حسب إحصائية 2012) 168 دولة منها 11 دولة عربية (الأردن - تونس - المغرب - قطر - الإمارات العربية المتحدة - السعودية - الكويت - ليبيا - مصر - سوريا - اليمن).
 - الإتفاقية العالمية لحقوق المؤلف:
 - دخلت هذه الاتفاقية حيز النفاذ في 10 يوليو 1974. ثم دخلت لاحقاً حيز النفاذ بالنسبة لكل دولة في تاريخ إيداع الدولة لوثيقة انضمامها، إلا في حالات الإشعار بالخلافة التي تدخل فيها الاتفاقية حيز النفاذ في التاريخ الذي تحمل فيها الدولة على عاتقها مسؤولية إدارة علاقاتها الدولية.
 - في عام 1883م أبرمت في باريس اتفاقية من قبل اتحاد باريس لحماية الملكية الصناعية دعيت (اتفاقية باريس).
 - في عام 1891م أبرمت في مدريد بإسبانيا اتفاقية لقمع بيانات تصدير السلع الزائفة والمضلة دعيت (اتفاقية مدريد).
- ثانياً: الإتفاقيات الإقليمية للملكية الفكرية:**⁽¹⁵⁾
- الميثاق الثقافي لأفريقيا: تاريخ الإتفاقية يوليو 1977، الدول الموقعة على الميثاق 34 دولة ويعد السودان واحداً منها حيث انضم إليها في سبتمبر 1990م.

- بروتوكول هراري: وهي بشأن البراءات والرسوم والنماذج الصناعية، عدد الـ 17 دولة منها السودان حيث إنضم لها في أبريل من العام 1984م.
- إتفاق لوساكا: المؤسسة المضيفة هي المنظمة الإقليمية الأفريقية للملكية الصناعية، وهي بشأن الأسماء التجارية، البراءات، البيانات الجغرافية، التصاميم الصناعية، العلامات التجارية، المعلومات غير المكشوف عنها (الأسرار التجارية)، تصاميم الدوائر المتكاملة، نماذج المنفعة، عدد الأطراف المتعاقدة هي 19 دولة منها السودان الذي إنضم إليها في مايو 1978م.

أما في العالم العربي لم تظهر إلا حديثاً، فقد كان أول قانون حق المؤلف عرفته البلاد العربية هو قانون حق التأليف العثماني الصادر عام 1910م.⁽¹⁶⁾

ثالثاً: القوانين السودانية لحماية الملكية الفكرية⁽¹⁷⁾:

هي مجموعة من القوانين أصدرها الجهاز التشريعي السوداني يذكر منها على سبيل المثال :

- قانون المصنفات الأدبية والفنية لسنة 2001:
- الحماية القانونية لحقوق المؤلف وأصحاب الحقوق المجاورة:
- لا فائدة من الحق ما لم يكلل بالحماية القانونية وعدم التعدي عليها، والتعدي على الحق هو إنتهاك حقوق الآخرين، وذلك بإستغلال الحق محل الحماية إستغلالاً تجارياً في مجال حق المؤلف والحقوق أو المجاورة، وذلك باية وسيلة من وسائل التعدي دون ترخيص من صاحب الحق.
- أول وسائل هذه الحماية هي الحماية الذاتية بواسطة صاحب الحق نفسه حيث بإمكانه وضع تدابير تقنية تمنع الغير من الولوج لمصنفه الا عبر وسائل يملكها صاحب الحق.
- أورد قانون حق المؤلف السوداني الحالي لسنة 2013 الإجراءات التحفظية التي يمكن أن تتم بناء على طلب صاحب الحق.

حيث يتناول إنفاذ قوانين الملكية الفكرية والقوانين ذات الصلة، حق المؤلف والحقوق المجاورة، هيئة الملكية الفكرية التنظيمية

- قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة لسنة 1996:
- يتناول أشكال التعبير الثقافي التقليدية، إنفاذ قوانين الملكية الفكرية والقوانين ذات الصلة، حق المؤلف والحقوق المجاورة، هيئة الملكية الفكرية التنظيمية
- قانون النماذج الصناعية لسنة 1974:
- حيث تناول إنفاذ قوانين الملكية الفكرية والقوانين ذات الصلة، البراءات، التصاميم الصناعية،

- الملكية الصناعية، هيئة الملكية الفكرية التنظيمية
- قانون براءات الاختراع لسنة 1971:
 - يتناول إنفاذ قوانين الملكية الفكرية والقوانين ذات الصلة، البراءات، المعلومات غير المكشوف عنها (الأسرار التجارية)، الملكية الصناعية، هيئة الملكية الفكرية التنظيمية
 - قانون العلامات التجارية لسنة 1969:
 - يتناول إنفاذ قوانين الملكية الفكرية والقوانين ذات الصلة، الأسماء التجارية، البيانات الجغرافية، العلامات التجارية، المنافسة، هيئة الملكية الفكرية التنظيمية
 - صدرت عدة قوانين أخرى متعلقة بالملكية الفكرية مثل قانون حماية الآثار، وقانون المكتبة الوطنية، وقانون رعاية المبدعين وغيرها من القوانين.
1. حماية المصنفات الرقمية: توجد طريقتين هما: الحماية القانونية المنطقية وتعتمد على التحذير قبل الإستخدام والمعاقبة بعد إسائة الإستخدام .
2. الحماية التقنية : وهي السائدة في معظم دول العالم بما في ذلك دول العالم الثالث وتعتمد على وضع عقبات تقنية تمنع إسائة الإستخدام ومثال لهذا النوع من الحماية أن نوضع كلمات سر أو يتم تشفير العمل وهناك بعض المصنفات يتم إتاحتها بمقابل بحيث لا يتم الوصول الى المصنف إلا بعد الدفع.
- ولان المكتبات المبحوثة والتي أجريت عليها الدراسة هي الجهة المسؤولة عن نشر وإتاحة المحتوى الرقمي بالجامعات السودانية رأّت الدراسة ضرورة حماية المحتوى الرقمي بالمكتبات وفقا للآتي :
- مما لا شك فيه أن التحول للبيئة الرقمية وبناء المكتبات الرقمية يتم بعدة طرق :
- تحويل المصادر الورقية الى مصادر رقمية وهذا في حال اذا كانت المؤسسة تمتلك تلك المصادر او ان يكون هناك إتفاق يلتزم فيه المؤلف او المالك للعمل ويقر بموافقتة على النشر عبر الإنترنت ومثال لهذا ما يحدث في المستودعات الرقمية للجامعات حيث تحول المصادر الورقية الى رقمية عن طريق المسح الضوئي في حال عدم وجود أصول رقمية لها ولا تنتشر المصادر الا بموافقة اصحابها.
 - الإشتراك في قواعد البيانات حيث يشترط في هذه الحالة وجود إتفاق أو ترخيص مع الناشرين أو أصحاب المصادر، وهذا الإتفاق يحدد إستخدام هذه القواعد فهناك ترخيص يسمح

بالإستخدام لشخص واحد، وهناك تراخيص تسمح لمستخدمين متعددين حيث تتاح لهم الخدمة في نفس الوقت بغض النظر عن أماكن تواجدهم، وهناك إتفاقية ترخيص الموقع ويضع هذا النوع قيود جغرافية على الإستخدام من خلال IP Address ومثال لذلك قواعد بيانات هيناري(HINARI)) حيث يسمح بإستخدامها بعد أن تمنح المؤسسة أسم مستخدم وكلمة مرور تستخدم في إطار جغرافي محدد، وكذا قواعد بيانات ايفل (Eifl) حيث تتيح قواعدها من خلال الروابط وبعض منها عن طريق أسم مستخدم وكلمة مرور... الخ.

- الحصول على المصادر الرقمية من خلال الشبكة العنكبوتية ولا بد من مراعاة الجوانب القانونية التي تحفظ لكل ذي حق حقه.

المصنفات المستثناة من الحماية القانونية:

1. القوانين والحكام القضائية الصادرة من الدولة والقرارات الإدارية والوثائق الرسمية.

2. الأنباء المنشورة عبر وسائل الأعلام (الإذاعة - الصحافة)

3. المصنفات التي آلت الى الملكية العامة (الفلكور).

مدة الحماية بموجب حق المؤلف: (18)

تحدد فترة زمنية معينة للحقوق المادية حيث نجد القوانين الوطنية هي التي تحدد الحماية ولكن إتفاقية برن تنص على أن الحد الأدنى للحماية هو 50 عاماً وتستمر الحماية بدءاً من نهاية سنة وفاة المؤلف، ولكن في الفترة الأخيرة نجد في أوروبا وأمريكا أصبحت مدة الحماية 70 عاماً، الا أن هناك بعض المصنفات مدة حمايتها أقل من 50 عاماً مثل مصنفات التصوير الفوتوغرافي والفني التطبيقي -الأفلام السينمائية - المصنفات السمعية والبصرية - المؤلفات التي تنشر لأول مرة بعد وفاة المؤلف - المؤلفات التي تنشر باسم مستعار حيث تصل مدة حمايتها الى 25 عاماً، ونجد أن إتفاقية روما للحقوق المجاورة حددت مدة الحماية بـ 20 عاماً.

الحقوق المعنوية ليس لها مدة حماية بينما تستمر للأبد.

آليات حماية الملكية الفكرية: (19)

هي وسائل الحماية القانونية للملكية الفكرية وهي قسمان :

الحماية الوقائية: وتتم بوحدة من الأساليب الآتية:

- منع نشر المصنف المقلد، او صناعته، اونسخه.

- حجز المصنف المقلد .

- إثبات واقعة الإعتداء على الحق مكان الحماية.

- حصر الإيراد الناتج عن إستغلال المصنف، وتوقيع الحجز على الإيراد في كافة الأحوال.

الحماية العلاجية : تخص هذه الحماية الشخص المعتدي، ويعاقب إستناداً للقانون وهي تتمحور في صورتين هما:

الجزاء الجنائي ويتمثل في عقوبتي الغرامة أو الحبس أو الأثنين معاً وذلك في حال إرتكاب واحدة من الفعال التي حددها القانون وتعد مخالفة للقانون.

الجزاء المدني ويتمثل هذا الجزاء بتعويض يلتزم به المعتدي على حق المؤلف، او مرتكب مخالفة ينص عليها القانون.

ضوابط تنظم عمليات الإقتباس:

وهي الإلتزام بالجوانب الأخلاقية المتمثلة في:

1. المصادقية ونسبة العمل الى صاحبه حيث يجب أن تكون النتائج منقولة بصدق.
2. الخبرة بحيث يكون العمل مناسباً لمستوى خبرة الشخص الذي يقوم بالإقتباس ويمكنه الإستعانة بخبراء في مجال بحثه لتقديم يد العون.
3. الحصول على موافقة مسبقة من الجهات التي تود العمل معهم فلا يجوز مثلاً أن تتقط صورة أو تقوم بتسجيل الأصوات أو تصور فيديو دون موافقة أو علم الأشخاص المستهدفين.
4. عدم نشر الصور والتسجيلات والفيديوهات الماخوذة لإشخاص او جهات قبل أن يتم عرضها عليهم.
5. على المؤسسات المسئولة أن تقوم بمراجعة الدراسات المزمع إجراؤها بدقة عن طريق تشكيل لجان أخلاقية تقوم بتقديم النصح للباحثين.
6. لا يجب على المنظمات أن تمول عملاً إلا إذا ابدت الجوانب الأخلاقية فيهبوضوحوقدمت ضمانات مراقبة المبادئ الأخلاقية لهذا العمل.

الإطار التطبيقي:

لا بد هنا من الإشارة لمفهوم الإنتحال العلمي لإرتباطه بالملكية الفكري وحق المؤلف خاصة في ظل النشر الإلكتروني:
يمكن ان نعرف الإنتحال العلمي بأنه سرقة أفكار ومجهودات الآخرين ونسبتها للذات، وقد يحدث ذلك لعدة أسباب منها :

1. تدني المهارات البحثية واللغوية.
2. إدراك الشخص المنتحل بصعوبة كشفه.
3. التهاون مع المنتحلين وعدم تعرضهم في أغلب الأحيان للعقوبة.

أنواع الإنتحال العلمي:

1. الإستنساخ (تقديم عمل الاخرين بكاملة).
2. النسخ (يتم فيه نسخ أجزاء من النص)

3. الإستبدال (نسخ قطعة نصية بعد تغيير الكلمات الرسمية)

4. المزج (مزج أجزاء من مصادر عدة دون ذكرها)

لقد تفتشت هذه الظاهرة في الاونة الأخيرة بسبب الزيادة الهائلة في كمية المعلومات وتعدد أشكال مصادرها بسبب التطور المذهل في تكنولوجيا الإتصالات، لذا كان لا بد من عمل دراسة تبرز مدى تفشي هذه الظاهرة خاصة في مجال البحث العلمي وما هي الضوابط التي وُضعت للحد منها.

الدراسة الميدانية :

تناولت الدراسة الميدانية عدد من المكتبات الجامعية بالسودان (جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - جامعة الزعيم الأزهرى - جامعة غرب كردفان) إضافة الى مركز التوثيق والمعلومات التابع للمركز القومي للبحوث بإعتبار مؤسسة بحثية، وقد تم إجراء مقابلة مع المسئولين عن إدارة المحتوى الرقمي بتلك المؤسسات وذلك للوقوف على إجراءات حماية الإنتاج الفكري الخاص بتلك المؤسسات وكيفية التعامل معه وتوفير الحماية اللازمة للبحوث والدراسات التي تتم بتلك المؤسسات والتعرف على ضوابط التعامل مع قواعد البيانات بهذه المؤسسات وطُرح عليهم الأسئلة التالية:

1. هل توجد ضوابط وتشريعات تنظم عملية البحث العلمي وهل هناك تدابير حماية تقنية للمنشورات الإلكترونية التي تتاح على مواقع تلك المؤسسات (بوضع حد معين مثلاً للإقتباس من مصادر المعلومات المختلفة سواء كانت تقليدية أو رقمية)؟
2. هل يتم التأكد من مصداقية الباحث لدى اقتباسه من مصادر المعلومات بالرجوع الى تلك المصادر أو المواقع والتأكد من ذلك ؟
3. ما هي طرق حفظ وحماية المحتوى الرقمي الذي تتيحه المؤسسة (مثلاً بناء المستودع الرقمي - قواعد البيانات) وهل يتم نشر هذا المحتوى بإذن مسبق من صاحبه وهل هناك تراخيص للنشر بتلك المؤسسات ؟
4. بالنسبة لقواعد البيانات (التي يتم الإشتراك فيها) ، هل هناك التزام من جانبكم بتطبيق ما جاء في شروط عقد الإستخدام الصادر من دارات هذه القواعد كالإلتزام باستخدامها داخل نطاق جغرافي معين؟
5. هل توجد لديكم تطبيقات تقنية تستخدم من قبل المكتبة لكشف الإنتحال العلمي ؟
6. هل يوجد لديكم عقد او إتفاق مكتوب يوقع عليه المؤلف وذلك بموافقتة على نشر النص كاملاً؟

وبناء على ما تقدم ووفقاً للدراسة المسحية بالأسئلة التي طرحت على بعض الباحثين والمقابلات التي أجريت على مسؤولي المحتويات الرقمية بعدد من المكتبات الجامعية السودانية بطرح الأسئلة التي صممت للمقابلة الشخصية اوضحت الدراسة ما يلي :

لاحظت الباحثة من خلال عملها في مكتبة جامعة حيث يعد هذا النوع من المكتبات نشطاً في مجال البحث العلمي لا سيما وأن المنتمين له هم من فئات الطلاب وأعضاء هيئة التدريس وعند تتبعهما لحركة النشر والتأليف والإتاحة للمنشورات الإلكترونية إضافة للبحوث التي أُجريت بقسم الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) إتضح الآتي:

جامعة الزعيم الأزهري لا توجد ضوابط محددة لعمليات الإقتباس ولا توجد تدابير حماية تقنية لحماية حقوق المؤلفين وأن كثير من البحوث مكررة وفي بعض الأحيان عند مقارنة بعض البحوث تبين أنها متشابهة الى حد يدعو الى التشكيك في مصداقيتها.

تحتوي الجامعة العديد من المصادر ويمكن تقسيمها الى قسمين :

مصادر تنتجها الجامعة وفي هذه الحالة فهي تتمتع بحقوق النشر للإنتاج الفكري على المستودع الرقمي وتشتمل على كتب التعليم عن بعد، والمجلات التي تصدر عن إدارة النشر العلمي بالجامعة (المجلة العلمية - مجلة العلوم الإنسانية - مجلة العلوم الزراعية)، إضافة الى الأوراق العلمية (أوراق المؤتمرات - المقالات العلمية) لإعضاء هيئة التدريس والباحثين بالجامعة، والرسائل الجامعية وهذه المجموعات باستثناء الرسائل الجامعية يتم نشرها بالمستودع الرقمي للجامعة حيث يتاح النص الكامل لها وذلك بالحصول على موافقة شفاهية من صاحب الدراسة واقتناعه التام بضرورة النشر والإتاحة، أما الرسائل فيتم نشر جزء يسير منها لايتعدى الـ 25% من النص الكامل وذلك لعدم وجود إقرار يلزم الطالب بـ الموافقة على إتاحة النص الكامل لرسالته، وتسهيلاً لعملية النشر الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت تفضل المكتبة إستلام نسخة الكترونية (CD او Flash) من المصادر المذكورة وفي حالة تعذر وجود نسخة إلكترونية يمكن إستلام نسخة ورقية ويتم رقميتها عن طريق المسح الضوئي وتحويل كل الملفات الي صيغة pdf لضمان عدم العبث بمحتواها كما توفر المكتبة وسائل الحماية اللازمة للمصادر التي تمتلكها سواء كانت مصادر تقليدية او رقمية، وبهذا تتمتع المؤسسة بملكية كافة حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

مصادر لا تمتلكها الجامعة وتشمل قواعد البيانات (قاعدة هيناري للعلوم الطبية - قاعدة بيانات أجورا للعلوم الزراعية)، وهي مصادر مجانية تستفيد

المكتبة منها حيث يتم الإشتراك عبر المالكين بتوقيع عقد بين إدارة القاعدة المعنية وبين المؤسسة المستفيدة من الخدمة وهذا العقد يلزم الجهة المستفيدة بضرورة إستخدامها والإفادة من محتوياتها في نطاق جغرافي محدد لا يتعدى حدود المؤسسة وهناك حد معين للإقتباس يُسمح به، ولا يتم الوصول الي النص الكامل إلا من خلال منح المؤسسة اسم مستخدم وكلمة مرور ولا بد من إحترام تلك الشروط والإستفاد المؤسسة حقها في الإستفادة من محتويات القاعدة، ومؤخراً إستفادت المكتبة من قاعدة بيانات ايفل في معظم التخصصات وهي أيضاً يتم إستخدامها داخل المؤسسة بإستخدام روابط للوصول للنص الكامل، وحفاظاً على إستمرارية التمتع بمحتويات هذه القواعد كان لا بد من وضع ضوابط للإستخدام بحيث يتم إتاحة محتوياتها داخل الجامعة فقط.

أما فيما يتعلق ببرامج كشف الإنتحال فلا يوجد بالجامعة أي من هذه البرمجيات. (وهنا وضع جليا ضعف تدابير الحماية التقنية للحقوق) .

جامعة غرب كردفان:

أفادت الأستاذة حنان (وهي رئيس قسم المستودع الرقمي الجامعة) بعدم وجود اي ضوابط واضحة من قبل كلية الدراسات العليا والشئون العلمية لعمليات الإقتباس والتأكد منها.

فيما يتعلق بالمصادر التي تقوم الجامعة بإتاحتها عبر المستودع الرقمي وتشمل:

الكتب العلمية:

(وهي الكتب التي يقوم بتأليفها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة) - مقالات الدوريات الرسائل الجامعية حث تقوم المكتبة بإتاحة النص الكامل للكتب عبر المستودع وذلك باخذ إذن الكامل من مؤلفيها وموافقتهم على النشر الإلكتروني حيث تتم معالجتها وتحويلها الى Pdf لحمايتها من العبث بمحتواها الفكري.

مقالات الدوريات:

تصدر الجامعة عدد من المجلات العلمية إلا أنه يتم إتاحة المستخلص فقط ولم تتوصل إدارة المستودع الرقمي بالجامعة الى إتفاق بينها وبين اصحاب المقالات لإتاحة النص الكامل .

الرسائل الجامعية:

ويقصد بها رسائل الماجستير والدكتوراه التي تمت مناقشتها بكلية الدراسات العليا يتم إتاحة %25 من النص الكامل للرسالة لعدم وجود إي إتفاق بين طالب الدراسات العليا وإدارات الجامعة المعنية (الدراسات العليا - الشئون العلمية - المكتبة) يلزم الطالب بموجبه بالموافقة على نشر النص الكامل لمحتويات رسالته العلمية.

أما قواعد البيانات الموجودة بالمكتبة فتوجد قاعدة بيانات ايفل ويتم

إتاحتها داخل الجامعة فقط وفقا لشروط الإستخدام والتراخيص المصرح بها من قبل الجهة المالكة .

كما أكدت أنه لا توجد برامج خاصة بالإنتحال العلمي ولا توجد تدابير حماية تقنية للمنشورات الإلكترونية .

جامعة النيلين: أفادت الاستاذة ليلى نائب رئيس وحدة المحتوى الرقمي بوجود ضوابط تنظم عمليات البحث العلمي يم وضعها من قبل الإدارات المختصة بالجامعة، اما فيما يتعلق بالمنشورات الإلكترونية و الخاص بالإنتاج الفكري لمنتسبي الجامعة من اعضاء هيئة التدريس والباحثين فيتم اتاحته على شبكة الإنترنت من خلال المستودع الرقمي للجامعة وفق ضوابط محددة تتمثل في :

المقالات العلمية: يتم نشر النص الكامل لها وذلك بعد الحصول على إذن من اصحابها وفي حال اذا كانت منشورة مسبقا في جهة ما، فلا يتم نشرها مرة اخرى وتكتفي المكتبة بوضع رابط الوصول لها.

اما الرسائل العلمية ففي السابق كان يتم إتاحة المستخلص والبيانات الببليوجرافية فقط ، اما اتاحة النص الكامل للرسالة فتم السماح بنشره قبل ثلاثة اشهر فقط من الآن حيث يحق للجامعة نشر الرسالة كاملة.

قواعد البيانات: تتيح المكتبة قواعد بيانات افل وتلتزم بشروط الإتفاق الموقع بال عقد مع إدارة القاعدة وهي عدم الإستخدام لأغراض تجارية، والإتاحة محليا في نطاق الجامعة.

لا تستخدم أي برمجيات للإنتحال العلمي.

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا: إفادت د.ريا الفكي رئيس قسم قواعد المعلومات بعمادة شؤون المكتبات بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا بأنه بالنسبة للرسائل الجامعية وغيرها من منشورات الجامعة يتم رفعها على المستودع الرقمي وفي العام 2014 كان هناك إقرار مرفق مع الرسالة الجامعية وضعته عمادة الدراسات العليا بالجامعة يلزم الباحث بالموافقة على نشر النص الكامل لرسالته على الإنترنت الا انه العمل به توقف منذ العام 2016 لبعض الإعتبارات القانونية الخاصة بصياغته، وحاليا قامت المكتبة بإصدار إقرار بالموافقة على إتاحة النص الكامل بالمستودع الرقمي وضحت فيه الغرض العلمي للمستودع بحيث يقوم الطالب بالتوقيع عليه واخيرا تم إضافة البصمة لضمانات سلامة الإجراء، ووضعت المكتبة سياسة لحماية الإنتاج الفكري الموجود لديها ومقاضاة اي شخص ينتهك حقوق الملكية ، اما بالنسبة للكتب والأوراق العلمية لإعضاء هيئة التدريس والباحثين يتم إستلامها دون إقرار، وفيما يتعلق بالبرمجيات الخاصة بكشف الإنتحال فهي مستخدمة بعمادة البحث العلمي والتي من مهامها إصدار مجلة الجامعة.

نموذج من إقرار الموافقة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



Sudan University of Science & Technology
Deanship of Library Affairs

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
عمادة شؤون المكتبات

قسم قواعد المعلومات

إقرار موافقة

بإتاحة البحث بالمستودع الرقمي لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا للأغراض العلمية

..... اسم الطالب :
..... الكلية :
..... عنوان الرسالة :
.....
.....
..... النوع : ماجستير () دكتوراة ()
..... رقم الهاتف :
..... البريد الإلكتروني :
..... توقيع الطالب بالموافقة :
..... التاريخ : / / 201

هاتف : 83778922 فاكس : 792724 بريد إلكتروني library@sust.edu ص.ب 407 الخرطوم

المصادر والمراجع:

- (1) أحمد المداحة -. النشر الإلكتروني -. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع (1102) ص: 9.
- (2) صلاح زين الدين. المدخل إلى الملكية الفكرية -. عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2006. - ص: 24 - 26.
- (3) تمت زيارة الموقع في 2019/9/23 ueimaroc.wordpress.com / غالب شنيكات. حقوق المؤلف في البيئة الرقمية والنشر الإلكتروني. - متاح في
- (4) حسام الدين عوض الله أحمد القدال. مدى إلمام المكتبيين في السودان بحقوق الملكية الفكرية
- (5) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم 4639
- ماخوذ من الموقع <http://www.binbaz.org.sa/fatawa/3313>. تم زيارة الموقع بتاريخ 2019/10/23 الساعة 3:30م
- (6) هند علوي. حماية الملكية الفكرية في البيئة الرقمية من خلال منظور الأساتذة الجامعيين : أساتذة جامعة منتوري نموذجاً. - cybrarians jour- nal. ع 12، مارس 2007. - متاح على journal.cybrarians.info/index
- (7) الملكية الفكرية للمصنفات الرقمية. <http://www.arablawn.org/download>. Citedin: December 23, 2008 [تمت زيارة الموقع في 2019/8/25، الساعة الثانية عشر ظهراً.
- (8) أيمن كمال السباعي. حقوق المؤلف وموقف القانون من المترجم ومهنة الترجمة <http://www.wataonline.net/site/modules/newbb> : January 2009، 8، تمت زيارة الموقع في 2019/9/10 الساعة الثالثة مساءً
- (9) أحمد عبدالله مصطفى. حقوق الملكية الفكرية والتأليف في بيئة الإنترنت. - ع 21، ديسمبر 2009
- (10) الملكية الفكرية للمصنفات الرقمية. مصدر سابق.
- (11) جمعية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في سياق الإنترنت. - في: ندوة الويبو الوطنية عن الملكية الفكرية لأعضاء هيئة التدريس وطلاب الحقوق في الجامعة الأردنية. ص. 2
- (12) جمعية . حقوق المؤلف والحقوق المجاورة في سياق الإنترنت نفس المصدر السابق. ص. 4.
- (13) رباح، غسان: الوجيز في قضايا حماية الملكية الفكرية والفنية، (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية 2008) ص: 140.
- (14) <https://ar.m.wikipedia.org> تم زيارة الموقع بتاريخ 2017/10/21، الساعة 11:30م
- (15) <http://www.wipo.int/wipolex/ar/profile.jsp?code=sd> تم زيارة الموقع بتاريخ 2019/10/22 الساعة 12:55م
- (16) عباس عيسى هلال. حق المؤلف والوسائل القانونية لحمايته. - مجلة حماية الملكية الفكرية. - ع 56، الربع الثاني (1998). ص. 4
- (17) <http://www.ipsudan.gov.sd/laws.html> تم زيارة الموقع بتاريخ 2019/10/22 الساعة 11:40 ص
- (18) حسام الدين عوض الله أحمد القدال . مصدر سابق
- (19) أفنان أبو مفرح. حماية الملكية الفكرية. ماخوذ من الموقع التالي:
- (20) www.mawdoo3.com تم زيارة الموقع يوم 2019/10/23 الساعة 10:20 ص